



فؤاد حمزة

في بلاد عسير



الطبعة الثانية ١٣٨٨ - ١٩٦٨

التاسعة
مكتبة النص الحديث
لصاحبتها
عبدالله ومحمد الصالح الرشيد
الرياض

م. ب. محمد العربي

فؤاد حمزة

في بلاد عسير

التاسعة
مكتبة النصر الحديثة
لصاحبتها
عبدالله ومحمد الصنابلج الرشيد
الرياض



الطبعة الاولى ١٣٧٠ - ١٩٥١



الطبعة الثانية ١٣٨٨ - ١٩٦٨

حقوق الطبع محفوظة

تصدير

بما لا شك فيه أن سعادة فؤاد بك حمزة رجل من أكرم رجالات المملكة العربية السعودية ، وأشدهم غيرة على قوميته ، وأبرزهم هممة ومروءة وشهامة .

ولقد خدم سعادته جلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود مدة نحو ربع قرن ، فكان ، ولا يزال ، الرجل المخلص في جميع المناصب التي تقلدها في جميع أدوار حياته ، والأمين الوفي لجلالته ، والحارس على شتى الشؤون الخارجية للمملكة . وتولى مفاوضات عدة ، وصاغ اتفاقات جمّة ، واضطلع بأعباء ومهمات خاصة . فكسب في جميع ما تولاّه ثقة جلالة الملك المعظم وتقديره السامى .

عرفته من نحو ثلاثة وعشرين عاماً في مواقف شتى وحوادث متعددة ، فكان فيها كلها بلا استثناء يهدف إلى الصالح العام ، ويرجو الخير لأهله ووطنه (وقليل هم الذين يحبون الخير للجميع) .

وتولى سعادته شؤون الخارجية ، إدارة ووزارة ، ومثل جلالة الملك المعظم لدى الجمهوريتين التركية والفرنسية ، وكذلك أوفدته الحكومة السعودية إلى البلاد المجاورة في بعض شؤونها ، فكان السفير المخلص ، والممثل الأمين ، والسياسى اللبق الحكيم .

واختاره جلالة الملك عبد العزيز — حفظه الله — ليكون إلى جواره مستشاراً خاصاً ، وعاملاً كبيراً لتصريف شؤون مملكته الواسعة . وها هو ذا سعادته يضطلع الآن بأعباء هذا المنصب الخطير ، فيبذل ما وسعه البذل والمهمة والجهد ، رغبة منه

فى تنفيذ توجيهات ملك البلاد المعظم من جهة ، وتحقيق أمانى الشعب من جهة أخرى ، برغم ما يعتور صحتة من إعياء وضعف .

وهو مع شدته فى الحق ، وصلابته فيما يراه صواباً ، طيب القلب ، لين المريقة ، كريم السجايا ، رضى النفس ، أعمودجاً للخلق العظيم ، ومثلاً حسناً للشباب والرجولة الحقة .

ومما اشتهر به الحركة والدأب على العمل ، يحب العلم ، ويميل إلى الدرس . وله بحوث قيمة فى تاريخ الجزيرة العربية ، يدل عليها كتابه النفيس : « قلب الجزيرة العربية » .

وفى مجلس خاص حدثنا سعادته عن كتابه هذا الذى تقدمه اليوم للمكتبة العربية ، فإذا هو سفر خالد ، وبحث مستفيض ، وتحقيق قيم دقيق ، لم يسبقه إليه أحد . فأشرنا عليه بأن يكشف عنه ، لينتفع به الكتاب والمؤرخون ، وأن يقدمه إلى عارفى فضله وصفوة محبيه . فأجاب بعد إحجام ، واستمع لهذه الرغبة المخلصة ، ودفع إلينا بهذا الكنز الثمين ، وهذه الجوهرة النفيسة . وذلك السفر الضخم الذى تقدمه ، تحفة نادرة إلى كل مخلص أكيد ، يحب العرب وبلاد العرب ، ويقدر لسعادة المؤلف الفاضل — كما قدرنا من قبل — بلوغه الشأو ، ووصوله إلى الغاية ، فى كل ما يقدم من بحث وتفكير .

أبهيح الشكر

مقدمة الناشر

عزيزي القارئ

سبق لدارنا ان قدمت لك من قبل الطبعة الثانية لكتاب « قلب جزيرة العرب » وكذلك الطبعة الثانية لكتاب « البلاد العربية السعودية » ، للأديب الراحل فؤاد حمزة . وما نحن اليوم نقدم لك « في بلاد عمير » واننا سنقدم لك عما قريب سائر كتب المؤلف لأنها سلسلة متكاملة لا بد لمن اطلع على احدها ان تتوق نفسه للاطلاع على الكتب الاخرى .

هذا ، وقد نخبرنا نشر هذه السلسلة لما لها من اهمية فائقة ، فهي كتب جامعة ، وهي مرجع ثبت لا بد ان يعود اليها كل من اراد الاطلاع على كيفية نشوء وتأسيس وتطور المملكة العربية السعودية ، وذلك لأن مؤلفها لم يكن نكرة في عالم السياسة بل كان دعامة من دعائم وزارة الخارجية السعودية وعلماً من اعلامها الكبار ، عرف اسرار الدولة وشارك في كثير من احداثها وسام في كثير من المحادثات والمفاوضات والمعاهدات ، وكان جيد الصلة بالملك الكبير عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه لانه كان من رجال حاشيته المقربين كما انه كان ذا صلة وثيقة بسائر امراء البيت المالك وحكام المناطق والاعيان .

ولهذا كله فان كتب فؤاد حمزة تعتبر بحق ادق المراجع التي تتحدث عن الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العشرين . وهذه الدار التي اعتادت ان تقدم للقارئ اجود الكتب وانفسها لتفخر اليوم بما تقدم راجية ان تكون قد حظيت برضاك وتابعت رسالتها التي التزمت بها وهي تخير الأفضل .

وبالنسبة لا يسع مكتبة النصر الحديثة في الرياض الا تقديم جزيل شكرها الى السادة مدام وعمر انجال المرحوم فؤاد حمزة مؤلف هذا الكتاب للروح الكريمة التي ابدوها حين طلبنا منهم اعادة طبع هذا الكتاب القيم ، فهم لم يكتفوا بالقبول بل تفضلوا فوق ذلك بالتبرع بايرادهم من هذا الكتاب لضحايا العدوان الصهيوني الفادر على الاردن الشقيق ، وهذا ليس بمستغرب على ابنائه الرجل الكبير الذي نذر حياته لخدمة القضية العربية في مختلف المجالات السياسية والادبية والعلمية وكانت له اياد بيضاء لا تزال تذكر فتشكر . ادامهم الله ذخراً للعلم والمعرفة والعمل .

الناشر

وفقنا الله لما فيه الخير والسداد .

تيسير

لهذا الكتاب قصة بدأت منذ بضع عشرة سنة ، فقد كتبت في أعقاب رحلة قمت بها في بلاد عير كنت أسجل مشاهداتي خلالها في مذكرات يومية ، ثم أضفت إليها المعلومات التفصيلية التي كنت أستقيها من مصادرها . وكنت أرجو أن تتاح لي الفرصة لنشرها في وقت لم أكن أتوقع أن تطول به الشقة ، ولكن الأحداث التي توالى منذ فرغت من وضع الكتاب وكثرة الأسفار وتوالى عدم الاستقرار حال دون تحقيق مبتغاي .

وقد ظلت مسودات الكتاب رهينة محبسها ، حتى تراءى لي مؤخراً أن نشرها فائدة للذين يهتمون أمر الاطلاع على شئون منطقة هامة من مناطق المملكة العربية السعودية ، وعلى أحوال بلاد ما زالت بكرأ لم تكنسحها مؤثرات الحضارة الحديثة . والآن أتقدم بها إلى القراء على الحال التي كتبت بها دون أى تغيير أو تعديل ، على الحال التي دوتها بها ، حتى تجيء صورة طبق الأصل لما انطبع في الخاطر في تجوالاتي إبّان تلك الرحلة ، وعذري في ذلك أن محاولة تحويلها أو تبديلها — برغم ما يمكن أن يكون له من فوائد — يمس طرافة الكتاب ويؤثر في الصورة الأصلية التي أردت إخراجها عليها .

وإني لأرجو أن يتلقى حضرات القراء كتابي هذا بما هو أهله ، وبالله العون ومنه التوفيق .

فؤاد حمزة

الرياض في { غرة رجب ١٣٧٠
١٩٥١ ميلادي }

القسم الأول

أهل الوديان

الفضل الأول

مقدمات الرحلة

الأزمة مع اليمن — معدات السفر — خطة العمل — رفاق السفر — عود على بدء

١ — الأزمة مع اليمن

ليس كتابي هذا كتاباً يبحث في السياسة أو يشرح أسباب النزاع بين الملك ابن سعود والإمام يحيى والحرب والمفاوضات والصلح وما جرى خلال ذلك من أحداث حسام بين الحجاز واليمن ، وإنما هو كتاب رحلة وجغرافيا وتاريخ واجتماع . وقد كان السبب في كتابته الأزمة اليمنية — السعودية التي اشتد أوارها عام ١٣٥٢ وقدح زنادها عام ١٣٥٣ . هذه هي العلاقة بين هذا الكتاب وبين الأزمة اليمنية أحببت أن أوضحها بجلاء في مستهل الكلام .

الملك عبد العزيز والإمام يحيى ، حاكمان عرييان مسلمان ، كلاهما جاهد جهاد الأبطال في سبيل دينه وعروبه ووطنه ، وكلاهما خاض المعارك وناجز القروم والأبطال ، فاستتب له في النهاية ملك طويل عريض ، والعاقبة للمتقين .

انصل ملك الملكين العرييين مباشرة واختلطت مصالحهما على حدود واحدة باستيلاء الملك ابن سعود على عسير السراة وامتداد حمايته على عسير تهامة واتصاله بأهل نجران من أيام ، وذلك بعد زوال السيطرة العثمانية عن بلاد العرب عام ١٩١٨ ميلادية .

تطورت علاقات الملكين خلال عشر سنوات انقضت على اتصال حدودهما مباشرة تطوراً كان يلحظ في ثناياه وتضاعيفه عوامل خفية ، وأدرك كثيرون من العقلاء أنها ستؤدي حتماً إلى اللجاج في النزاع في الحرب ، وقد تنبه كثيرون إلى نقاط

الضعف في علاقات الملوك وحاولوا إطفاء الوميض السكامن فلم يوفقوا إلى اجتثاثه من أصوله .

كانت الشرارة الأولى عقب احتلال الملك ابن سعود للحجاز ، فقد تطرق الوهن والضعف إذ ذاك إلى الإمارة الإدريسية في تهامة ، وتقلصت أطرافها باحتلال الجيوش المتوكلة لأكثرها وفي مقدمتها الحديدة واللحية فيدي وما صاقبها من جهة الجبال وكادت تصل إلى حيزان ، بل قد وصلت بالفعل إلى سامطة بقرب أبو عريش ، وإذا بالقنبلة السعودية المنذرة بالخطر والحذرة للثانيين من الاندفاع وراء أهوائهم تنفض انقضاء الصاعقة . وكانت القنبلة على شكل معاهدة الحماية السعودية على بلاد الأدارسة في ربيع الأول عام ١٣٤٥ .

وكانت الشرارة الثانية في شعبان عام ١٣٥٠ حينما تقدمت جيوش الإمام يحيى فاحتلت بلادا تابعة للمقاطعة الإدريسية التي تعهد ابن سعود بحمايتها من كل خطر داخليا كان أم خارجيا . دارت المفاوضات بينا الاستعدادات الحربية من الجانبين جارية بكل همه ونشاط ، وتكلفت المساعي السلمية والله الحمد بالنجاح التام بفضل حكمة الملك ابن سعود ورغبته في السلام والسكون . جاء حكم ابن سعود على نفسه في قضية جبل العرو مثلا من المثل العليا في الشهامة العربية والحكمة والبقرية ، ففضى على الفتنة ولكن دون اجتثاث جذورها .

وكانت مسألة نجران ثالثة الأثافي للموقد الذي تطايرت منه الشرارة الثالثة التي ألهبت الضرم وأججت النيران ، إذ كان كل من الفريقين يدعى بنجران دون أن يكون محتلا فعلا بقوى أحدهما . لقد أبرق الإمام يحيى للملك ابن سعود مستريبا من اتصال أهل نجران من اليامية بأمرائه في عسير ، فأراد ابن سعود أن يبعد الريبة بشكل مقبول ، فأبرق إليه برقية تأولها الإمام يحيى لمصلحته ، وكأنه قرأ فيها تنصل ابن سعود من نجران واليامية ، فأمر جنده بالتقدم لاحتلاله بينا كان وفد ابن سعود يدخل حدود اليمن من جهة تهامة للمفاوضة في مشروع حلف عربي عظيم .

فشل الوفد في مهمته ، وتم احتلال نجران ، فلجأ أهلها إلى ابن سعود يطالبونه بحمايتهم وفاء بعهده الذى قطعه لهم منذ سنين ، ودارت المحاربة بين المملكين بالبرقيات ، وطال الأخذ والرد ، وحصل تحرش آخر آلم ابن سعود وأثار حفيظته ألا وهو احتلال قسم من جباله في تهامة ، والقبض على رهائن من قبائله على الحدود ، فظهر أن الأمر أكبر من أن يحلّ بالخبايا البرقية .

قرر المملكان أن يعقد مؤتمر في أبها للنظر في حل الخلاف ، فانتدب الإمام يحيى ابن عمه السيد عبد الله بن أحمد الوزير — أحد كبار القواد والساسة في اليمن — أمير الجيوش المتوكلية في تهامة لرياسة وفده ، ونثر الملك عبد العزيز كنانته فعهد إلى مؤلف هذا الكتاب رياسة الوفد العربى السعودى .

وكان أن توجهت إلى أبها في ١٤ شوال ١٣٥٢ (٣٠ يناير ١٩٣٤) ، وآليت على نفسى أن تكون رحلتى مزدوجة الفائدة من الناحيتين : السياسية بالعمل على إجماع المؤتمر ، والأدبية بتدوين مشاهداتى الجغرافية وجمع المعلومات التاريخية والاجتماعية عن أحوال ما أمرّ به من تلك البلاد البكر التى لم يكتب عنها إلا اليسير وإخراج ذلك للناس في سفر . هذه هى قصة ميلاد كتابى ، وتلك هى العلاقة بينه وبين الأرملة اليمانية .

٢ — معدات السفر

يحتاج السفر في بلاد العرب إلى ترتيبات خاصة هى من مقتضيات طبيعة البلاد ، وقد أفادتني رحلاتى العديدة ما بين نجد والحجاز والأحساء فوائد لا أنكرها ، غير أنى كنت هذه المرة قاصداً بلاداً غير مطروقة تكاد تكون معلوماننا عنها كمعلومات صبيان المدارس ، فرأيت أن أستعد للمجهول أكثر من استعدادى المعتاد ، لاسيما لاعترامى تدوين مشاهداتى للأماكن والمسافات والأبعاد والآبار والموارد والقبائل والقرى والأودية ، واستقصاء ما هو مجهول عنها ، ووضع خريطة للطريق يصح أن يرجع إليها .

أما من الوجهة العلمية فقد أحضرت ما أمكننى مداركه من الآلات البسيطة التى يستعين بها الزواد فى رحلاتهم ، وأعددت كشوفاً وأوراقاً خاصة لتسجيل الأبعاد والانحرافات المغناطيسية ودرجة الحرارة والبارومتر ، كما أعددت مكتبة صغيرة مما طبع من كتب الأقدمين عن بلاد العرب وعددا من الخرائط الأفريقية ، وكانت نيتى التوغل فى نجران وهو القسم المجهول حتى الآن فى الجزيرة ، وجعل عودتى إلى مكة المكرمة عن طريق كتف السراة مسمينها بالإبل والخليل على اجتيازها إلى الطائف ماراً ببلاد بنى شهر وغامد وزهران ، فأكون قد جست خلال الديار التى نجهلها فى الجزيرة وحقت مواضع مشهورة كالخلصة فى بلاد دوس وتباله وجرش وسواها ولكنى حرمت — مع الأسف — من العودة بالطريق التى كنت أقصد ، فاكثفت بالمعلومات عن البلاد التى زرتها .

أما أدواتى العلمية فقد كانت مؤلفة من :

- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) بوصلة مضبوطة | (٢) بارومتر |
| (٣) ميزان حرارة | (٤) شريط مساحة |
| (٥) جداول وكشوف جغرافية وفنية | (٦) آلات تصوير من قياسين |
- وكان عداد السيارة يقوم بمهمة تسجيل المسافات .

٣ — خطة العمل

كنت أرى أنه مما يمس العزة القومية فى الصميم ألا نقوم — ونحن أبناء البلاد وأهلها — بدرس أحوالها وكتابة جغرافيتها وتاريخها كما يفعل الأفرنج من تتاح لهم زيارتها فترة قصيرة فيملثون الدنيا كتاباً وخطابة عن مشاهدات كثيراً ما تكون سطحية مدسوسة ، وكنت شديد الحرص على الاستفادة جهد الطاقة من كل أسفارى فأخدم بذلك العلم وأرفع عنا سبة يوجهها إلينا الأفرنج فى غير تورع ولا قصد ، فوطنت النفس فى رحلتى هذه على اهتبال الفرصة السانحة لى والخروج منها بنتائج علمية باهرة ، فاستشرت أحد أصدقائى من الأفرنج المقيمين فى هذه البلاد

من اعتاد القيام برحلات في البادية ؛ ورجوته أن يسفني ببعض معلوماته ويعيرني بعض أدواته ، ومع أنه كان لا يزال من أصدقائي فإنه كان شحيحاً بمعلوماته ضئيلاً بأدواته ، ولحظت منه أنه غير آبه كثيراً للموضوع ، بل بالأحرى لم يكن على ثقة من أن وطنيا يستطيع أن يأتي بمثل ما يأتي به الأفرنج ، كأن العلم وقف عليهم .

كل هذه العوامل جعلتني مرهف الأذنين حاذّ العينين ، منقباً عن الكبيرة والصغيرة ، محققاً جزئيات الأمور ودقائقها ، سائلاً متعلماً جامعاً للروايات والأخبار ، مهتماً بكل ما تقع العين عليه أو تسمع الأذن به أو تمسه اليد .

واصطحبت صديقاً من المهندسين لكي يفيدني في أخذ قياسات الانحراف المغناطيسي ورسم خريطة الطريق ، كما اصطحبت من كل منطقة يمتتها دليلاً خبيراً بها .

كنت أجمع أسماء الأماكن والمواقع والآبار والأشجار والأخبار من الأدلاء والخبراء المرافقين أو المصادفين في الطريق ، وكانت ظروف مواتية للبحث بدقة ، إذ كان على أن أبحث مع وفد اليمن في مقاطعات الحدود ، وهذا لا يمكن إلا بجمع المعلومات الصحيحة المفصلة الدقيقة عنها وعن سكانها وما فيها ، الأمر الذي أفادني فائدة كبرى ما كانت تتسنى لغيري في ظروف غير ظروفى . وبالفعل لم يمسك عني أحد معلوماته ، ولم يدخر وسعاً في سبيل إطلاعي على كل ما أريد من أهل الخبرة والدربة ومن رجال الحكومة وأمرأ القبائل والموظفين وغيرهم ، وكنت أعارض المعلومات بعضها ببعض فيظهر لى صريحها من هجينها وغتها من سمينها ، ولذلك فأتى واثق من أن ما أعرضه في هذا الكتاب من المعلومات هو أدق وأصح ما يمكن الحصول عليه .

أما الأرصاد العلمية فإننا كنا نتخذ عداد السيارة أساساً لقياس المسافات ، وكنا نعارض عدادى السيارتين ليتبين لنا الفرق بينهما ، وحينما ظهر لنا أن الفرق بين العدادين جزئى جداً قررنا الاعتماد على أحدهما ، وبناء على ذلك فقد وجهنا اهتمامنا

إلى تسجيل قراءات الانحراف المغناطيسي في البوصلة في مسافات معينة ، وكانت القراءات في الأماكن الفسيحة السهلة أقل منها في الأماكن المنعرجة أو الكثيرة المنحنيات . لقد أخذنا مثلاً ٤٩ رصداً من بئر القرشية في أطراف ركبة إلى جهة الطائف إلى آبار بريم في طرف حصن الشمالى ، والمسافة بين الموضعين ٩١ كيلومتراً ، وأخذنا ٤٨ رصداً للانحراف من بريم إلى الخربة في مسافة تبلغ ٦١ كيلومتراً .

وأما الاتجاهات التي كنا نرصدها فقد كانت دائماً اتجاهات طريقنا ، وكنا نعتد على مشاهدة شجرة أو قلعة لتسجيل الرصد عليها ، غير أننا وجدنا أن عملنا يكون أضبط وأدق لو تقدمنا السيارة الكبيرة لتتخذها هدفاً للرصد .

وكانت الأرصاد في بعض الأحيان كثيرة عند المنحنيات ، كما كنا نأخذ أرصاداً متعددة من نقطة واحدة إلى اتجاهات مختلفة عن اتجاه طريقنا . ففي نقطة واحدة في القرشية أخذنا خمسة أرصاد في اتجاهات مختلفة ، وفي مواضع أخرى كانت الأرصاد تبلغ ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب الظروف ، وجل قصداً من هذا الدقة في تسجيل الصفات البارزة على الطريق وأطرافه ؛ علماً تتمكن من رسم خريطة مضبوطة يصح الاعتماد عليها ، وكنا نسجل إلى جانب دفتر الأرصاد شروحاً عن ظاهرات الأرض وطبقتها والشجر والمياه والأودية والقرى ، وعلى الإجمال كل التفاصيل التي يجب الوقوف عليها .

وكنا نسجل درجة الحرارة ثلاث مرات في اليوم ، صباحاً وظهيرة ومساءً .
وأما (البارومتر) فكنا نسجله كلما تراءى لنا أننا في صعود وارتفاع ، وكنا نسجل القراءات بالإنش وأقسامه وبالقدم أيضاً ، لأننا نعلم أن استحصا الارتفاع بتعديل قراءات (البارومتر) على درجة الحرارة أدق من قراءة الارتفاع بالأقدام .

٤ — رفاق السفر^(١)

أكثر ما ينطبق المثل القائل « الرفيق قبل الطريق » على السائح في بلاد العرب ،

(١) من المعلوم أن رفاق السفر غير رفاق المؤتمر . اشترك معي في المؤتمر الشيخ عبد الله ابن زاحم قاضي مسكر الأمير سعود ، والشيخ عبد الوهاب أبو ملحمة مدير مالية عسير والشيخ دليم ابن محمد أبو لثة أمير قحطان عسير ، والشيخ تركي بن ماضي أمير غامد وزهران .

في البداية ، في الجاهل والمفاوز ، وقد كنت كذلك ، ولو كنت سأثأ في غير الجزيرة لما اهتممت بالبحث عن الرفيق قبل الطريق .

كنا نجهل ما تأتينا به الأقدار بمد وصولنا إلى (أبها) واقترابنا من منطقة الخطر ، ولذلك اخترت رفاقي ممن يعتمد عليهم وقت الشدة ، فكان في مقدمتهم المهندس محمد كنعان خريج الجامعة التركية في إستانبول ، وهو من شباب العرب الذين اشتركوا في أكثر الحركات العربية ، وقد كان وجوده معنا مساعدا على أخذ القياسات وتسجيل الأرصاد ودراسة حال الطريق ، فضلا عن أنه كان مصدر أنس وتبسط بسبب بعض الصفات البوهيمية فيه . أذكر ويذكر رفاقي بكل اغتباط وقائع مسلية كان بطلها وفارسها كنعان . لقد افتتح الرحلة بنكتة ظلت وقتاً طويلاً باعثاً على الضحك والانبساط . حين ركو بنا من مكة المكرمة كان نصيب كنعان في سيارتي الخاصة ، فوجد فيها بنادقنا ومسدساتنا وبنادقية الصيد وقرطيس الخرطوش ، فانتقد وجودها فيها ، واقترح نقلها إلى مكان متسع في السيارة التي تتبعنا ، مع كوننا مسافرين إلى ساحة الحرب وقد نضطر إلى الاشتراك في المعارك . ولا نسل أيها القارئ العزيز عن ابتهاجنا بهذا الاقتراح ولمزنا لكنعان بسببه . وكان أن وصلنا إلى مكان بقرب السيل الصغير على طريق الطائف ، فنقد بزين سيارتنا ، ومكثنا ساعتين في انتظار السيارة الكبيرة لنملاً خزان سيارتنا مما تحمله من وقود ، وهناك قلنا لكنعان : وما رأيك لو كنا في البر وصادفنا صيداً ، أو وحشاً كاسراً ، أو عدواً ، ألا يحسن بنا أن نرجوه الصبر والتأني حتى نأخذ سلاحنا من السيارة الكبيرة ونستعد لمقاومته حسب اقتراحك ؟ ! . هذه النكتة وكثير غيرها يدل على روح كنعان الخفيفة وطبيعته الساذجة البريئة .

والشخصية الثانية في الرفاق بعد كنعان : سكرتيري الخاص محمد شيخو ، وهو أليف الأسفار ورفيق المسافر ، صحنى في كل أسفاري في البدو والحضر ، وأصبحت له ملكة في إعداد معدات السفر وإدارة الرفاق .

وهناك تابعان خصوصيان لخدمتي الشخصية ، وهما مكلفان بكل ما يتعلق بشخصي فقط .

وهناك « القهوجى » ، وهو زميل الرفاق وسيرهم ، تجمعهم أكوابه وأباريقه ، وعنده الحلقة الكبرى ساعات الحل وأوقات الاستقرار .

وهناك أيضا شخصية عقيد الحملة الذى هو بمثابة رئيس للأتباع ، ووظيفته الإشراف على الخيام والمياه والخطب ، وإصدار التعليمات إلى رفاقه بالاستعداد للسفر ، أو بالتوقف عنه ، أو بنصب الخيام ، وهو همزة الوصل بين السيارة الصغرى وبين ما يتبعها من سيارات الرفاق .

أما الطاهى ومعاونه وأدواته فإنه لا يقرن « بالقهوجى » إلا إذا صفت المعد من الجوع وألحّت في طلب الطعام ، عندئذ يهرع الكل إلى قدره ، هذا ينفخ في النار وذلك يوقد الخطب ، وغيره يذبح الذبيحة ويسلخها ، وآخر يجلب الماء ، والكل في تلك الساعة أتباع للطاهى . أما إذا امتلأت البطون وعافت الأنفس الطعام ، ترفع الرفاق عن الطاهى ، وعاد هو إلى وحدته لا يؤنس فيها إلا معاونه .

أما السائقون ومعاونوهم فإنهم يتعبون في السفر ليستريحوا وقت الإقامة ، إذ ما يكاد يصل السائق بسيارته إلى المقيّل أو المعشّى أو المضجّى ، وما يكاد يترك عجلة القيادة حتى ينبطح على الأرض في ظل سيارته أو في ظل شجرة .

والشخصية الفذة في السفر هي شخصية الدليل أو الخبير ، وهو في الغالب بدوى من أهل الديار التى نجتازها ، ويختار عادة من البادية ، لأنه أوسع خطى ، وأبعد مدى ، وأعلى كعباً من الحضرى الذى تنحصر معلوماته في الحواضر وما جاورها . وقد استخدمنا أدلاء كثيرين ، فكان فيهم الخفيف الروح والثقل الظل والماسر بيع معلوماته والمبالغ في الوصف والمقل المقتّر .

٥ — عود على بدء

لم تنح لي الظروف الفرصة التي أردت ، فقد اصطدمت مفاوضاتنا بعقبة كؤود لم يمكن تذليلها ، وانقطعت المفاوضات بين الوفدين في (أبها) ، فانتقلت إلى يد الملكين من جديد ، ومكثنا في (أبها) مدة لم نضعها عبثاً ، فقد جُسْنَا خلال بلاد عسير وما جاورها من بلاد شهران ؛ وتفقدا العقبات الثلاث المشهورة ، وأرسلنا المهندس للكشف عن أسهلها وأقربها تناولاً ، لشق طريق منها إلى تهامة لعبور السيارات ، واجتمعنا بأعيان البلاد — وقد جمعتهم دعوة الحرب — في نخيم سمو الأمير سعود ولّى العهد في بلاد شهران ، واتصلنا بأشخاص ما كان الزمن يسمح بالوصول إليهم ، فضلاً عن الاتصال بهم ، لولا حالة الحرب وضرورتها ووجوب الوقوف على كل شاردة وواردة مما يتعلق ببلادهم ، فجمعنا معلوماتنا وربناها وبوّناها على قدر الإمكان ، وعارضنا الأقوال والروايات ، إلى أن قنعت بأنى لم أترك أمراً هاماً ما قيدته ، ولا خبراً من أخبار القوم ما دونته ، فإن كنت فشلت في إكمال رحلتى على النحو الذى رسمته لها ، فقد وقّعت في جعل القسم الذى قمت به من الرحلة ناجحاً موفقاً .

الفصل الثاني

ركبة

السمر في القمر — عكاظ — آبار القرشية — سهل ركة

١ — السمر في القمر

فادرنا الطائف عصر يوم الثلاثاء الواقع في ١٥ شوال سنة ١٣٥٢ (٣١ يناير سنة ١٩٣٤) وكُنّا في ركب سمو الأمير فيصل ، فأرادنا على أن نسمر في أحد الأودية في أرض الجُدّة ، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً من الطائف ، وناهيك بالسمر في الخلاء تحت أديم السماء الصافية الزاهية ، والقمر بدر ينير الأرجاء ، فتعكس أحسن صور الليل للقمر ، وترسم أجمل المناظر في الصحراء المرتفعة . ومجلس الأمير فيصل جزل بالنكتة عاصر بالمحاورات الأدبية النثرية والشعرية العامية ، ويتخلله نوع من إنشاد الأشعار يسمى بالردح ، وطريقة الردح أن ينقسم المجتمعون والشعراء فريقين فيلقى أحدهم موضوعاً للإنشاد فيه ، وعلى شعراء كل فريق أن يردوا بيت شعري ، ولا يجوز التكرار لا في المعنى ولا في القافية . وكل يحاول بث روح الحس في شعرانه ، فترى هؤلاء يتسابقون إلى إلقاء البيت المنشد على البديهة ، ويظل رفاق الشاعر يرددون البيت حتى يفتح الله على شاعر في الفريق الآخر للرد عليه ، وهكذا دواليك .

عاشت الأمير فيصل في بلاد التقاليد والتمدن ، وفي الحفلات والولائم الأوربية ، وعاشرته في الحجاز وفي نجد ، كما عاشرته في بعض نزواته الخلوية ، وإذا به أمير المجالس أينما كان ، متمدناً في بلاد التمدن ، بدوي بين البداوة ، فارس مغوار بين الفرسان متى أطلقت للخيال أعتنتها . ففي هذه الليلة أرسل الأمير نفسه على سجيّتها محاكياً بذلك البداوة الساذجة فتمثّل أميراً أعرابياً ؛ يشارك قومه ما هم فيه ،

فيشترك معهم في إيقاد النار وشواء لحم الضأن على طريقة البدو ، ويأكل الشواء الناضج على الرماد الحار أو المطبوخ في جلد مدفون بالرماد .

من أراد نشاط البرّ، وطلاوة العيش الحرّ في الخلاء والفقر، فعليه بمجلس الأمير فيصل ، فقيه الفضاءان العقلي والجسماني ، ولكن أين نحن الآن مما نحن مقبلون عليه ؟ ودّعنا الأمير في آخر السهرة ، وسرت بنا سيارتنا تنساب في ضوء القمر . وكانت الليلة عامرة ، وكان الهواء عليلاً ، وكل ما في الليل من رفق وهدوء وعذوبة يبعث على الاغتباط ، فوصلنا حوالى منتصف الليل إلى آبار القرشية في طرف ركبة من جهة الطائف ، حيث اعترطنا تمضية مابقي من الليل ، لكي نتمكن من القيام بواجبنا العلمي الذي أخذناه على عاتقنا في وضوح النهار

٢ — عكاظ

قد يخال القارئ أني أقصد تسمية مجلس الأمير فيصل عكاظاً ، والواقع أني أقصد عكاظاً آخر ، أقصد عكاظاً الصحيح الذي لا يوجد من يعرف العربية دون أن يكون قد سمع بعكاظ وسوقه .

وليس هذا الكتاب موضوع بحث عن عكاظ ، فلذلك مقام آخر^(١) ، غير أني — في مطلع رحلتي — عرفت عنه أمراً مضى على وقت غير قصير لم أوفق إليه . كنت أبحث عن عكاظ وموقعه ، وأجمع المعلومات وأتفقد المواقع التي ورد ذكرها في أخباره ، وكنت أعلم أن موقع السوق مختلف فيه ، وأنه بجوار « نخلة » بينها وبين الطائف ، أو عند ذات عرق بينها وبين قرن المنازل ، وأنه جرت بقربه حرب الفجار أيام الحريرة والأثيداء وشرب ، وأن في أطرافه المَبِيلَاء والفتق وغيرها من المواضع ، وبرغم كل محاولاتي لم أستطع تعيين أكثر هذه الأماكن على وجه التحقيق ، ولكنني اكتشفت خبر شرب ليلة سمرى في مجلس الأمير فيصل ، وإليك البيان :

(١) وضع المؤلف رسالة عن « عكاظ » وتحقيق موضعه لم تطلع لآن .

بين الطائف وذات عرق جبال وهضاب وسهوب تقسم المياه إلى خطّين مائلين ،
فالخط المائل الغربى تجتمع مياهه فى أودية السيل الصغير ووادى المحرم (قرن
المنازل) والكفو والسيل الكبير ، وأما الخط المائل الشرقى فإنه يصبّ فى مياه السفوح
والهضاب الشرقية .

تعرف الأرض المستوية الممتدة من جوار بلدة أم الحمض إلى الرّوبة بأرض
الجديرة ، وتجتمع المشارب ومجارى السيول فى الجديرة فى واد كبير هو وادى شرب
الوارد ذكره فى قصّة الفجار وعكاظ . ويمتدّ وادى شرب من الرّوبة إلى قرب
الأخضر ماراً بالضلع الصالح والعقرب والمبعوث ومجتازاً ضلع التّخلص وضلع الككّية
إلى القرشيّة ، ثمّ تمور مياهه فى سهل ركبة فى مكان اسمه الخاش .

وركة تبتلع كثيراً من مياه الأودية القادمة من جهة الطائف ، فهناك غير
وادى شرب الذى يعدّ من أعظم أودية هذه الجهة والذى تصب فيه المياه المتجمّعة
فى سبيل القمّ وأم الحمض والرّوبة والجديرة ، هنالك وادى العرج ووادى ليّة
وغيرهما .

أفادنى هذا الاكتشاف فائدة عظيمة فى بقاعى بمكان عكاظ الصحيح ، وكنت
من قبل قد لمست أطراف الحقيقة فى أبحاثى وتحرّياتى عن موقعه ، وشرعت فى
تكوين فكرة سميّة له ، فجاء خبر شرب فاطمة جازماً بصحة الفكرة وقاضياً على
كل شك فيها .

كنت أذهب قبل اكتشافى الحالى إلى أن السّهْب الواقع بقرب جبل القانيس
بين السيل وذات عرق هو المكان الذى يحتمل انطباقه على عكاظ أكثر من غيره .
وكانت الروايات مترادفة بأن مكان عكاظ هو المحل المعروف باسم القهاوى عند
أعلى مجرى السيل الصغير على بعد ٣٥ كيلو متراً من الطائف .

وكنت أقرأ فى كتب الأدب والجغرافيا عن تعريفات عكاظ المختلفة ، ما يفيد
أنه سوق بصحراء عندها صخرات ملساء وبجوارها المَتَق وهو لبني نصر والعُتَيْلَاء ،

والآن تعرف باسم العبيلاء ، وكل هذه الأوصاف تنساق بكل صراحة للدلالة على المكان الواقع في طرف ركة الجنوبي — الشرق بين أودية شرب والأخضر والعرج وبين جبل المبعوث والخلص ، ليس يبعد عن بلدة الأخضر ، فجاء اكتشاف الحديث مؤيداً لصحة ما ذهبت إليه . وإنى لأرجو أن تتيح لي الظروف فرصة لإخراج رسالتى عن عكاظ علماً تكون أساساً محددًا لموقع سرقه يبنى عليه فى المستقبل .

٣ - فى آبار القرشية

تبعد القرشية عن الطائف ٥٥ كيلو متراً . وهى آبار فى مجرى شعيب شرب قبل أن يغيب فى ركة عند الخاش ، تقع إلى الجنوب الغربى من ركة ، وتقع عشيرة إلى شمالها ، والمسافة بينهما قصيرة ، والمتجه من مكة المكرمة إلى الخرمة لا يبطأ آبار القرشية بل يمر على عشيرة ومنها إلى ركة فريم رأساً ، وأما المسافر من الطائف إلى الخرمة فلا بد له — قبل الدخول فى ركة — من التزود بالماء من القرشية ، إذ لا يصادف بئراً أخرى قبل فريم على بعد ٩١ كيلو متراً منها .

كانت درجة الحرارة حينما وصلنا القرشية ليلاً ٢٠ عشرين ، فلما أفقنا عند الفجر هبطت إلى عشر .

مشينا من القرشية حوالى الساعة الثامنة صباحاً ، وأركبنا معنا الدليل الشيبانى ليدلنا إلىنا بعلوماته عن ركة ، وهى ديرة لعتيبة كما هو معلوم ، وقسنا الاتجاهات المختلفة من القرشية لنعين موقعها بالدقة فإذا هى واقعة فى مكان مشرف على عدة جبال بارزة فى أطراف ركة هى :

١ - وقير . ٢ - الوقيرات . ٣ - الخالص . ٤ - الكلية ، ثم أمامنا سهل ركة المنبسط .

كان الشيبانى خفيف الروح دقيق الملاحظة ، رفع عقيرته — عقب تحرك السيارة — منشداً أغنية بدوية فى مدح السيارة ومقارنتها بالدلول والفرق بين سرعة الاثنين :

ركبت في موتر^(١) يوضي^(٢) بلماعه يعضي عن النضي^(٣) سلسات الاقران
عمشة عيس النضي يومين له ساعة وإذا براكيه يُحَبَّرُ بالعريبان
راكبه اللي^(٤) مايفديه^(٥) الدليله غير من رأس العمود القضيَّان^(٦)
البدوي كالبعير قد يكون أليفاً وقد يكون شروداً ، وقد يكون ظريفاً حاضر
البدية خفيف الظل أو يكون كسائر البدو جفاة عراة حفاة . ويشترك البدو في
غريزة الخوف من القوى والحذر من المجهول ، والطمع الشديد ، وكثرة السؤال
والاستيضاح دون أن يمكن البدوي مخاطبه من أخذ أخباره وكشف أسرارها ، وقد
اجتمعت في صاحبنا أوصاف البدو العامة ، ولكنه كان من القسم المقبول المستساغ .
أما من حيث المعلومات عن أحوال ديرته فكان سيويوه عصره ، وأصمعي
مصره ، عرف بقاع الأرض رقعة رقعة ، وخبرها من طفولته شبراً شبراً ، وجاس
مفاوزها ، وسبر غورها ومجاهلها ، ورأى ليلها ونهارها ، وجرب صيفها وشتاها ،
وعرف الشجر والعشب والنبات ، وعرف على الإجمال كل ماله اتصال بحياته اليومية منها
سألته عن أمر ما استطعت حلّه منذ سنوات ، فخلّ لي الإشكال بكلمتين ،
وكشف المعطى بدون أقل عناء . كنت أخلط بين شجر السَّمِّ والسَّمَر والطلّح ،
وكُلّها من فصيلة « الأكاسيا » البريّة ، وتنشابه جذوعها وسوقها وأغصانها وأوراقها
وأزهارها تشابهاً عجيباً ، فلما سألته عن الفوارق بينها أجاب على البدية : « تفرّق
بشوكها ، فشوك السَّمِّ دقيق وشوك السَّمَر أكبر قليلاً وشوك الطلّح أكبرها » .
بوركت أيها الشيباني ، وزادك الله علماً ياراعى الجليّة ، لقد حلت لي معضلة عاجتها
كثيراً وفشلت في معرفة كنهها ، فسكنت في نظري سيد العارفين وإمام النباتيين .

٤ - سهل رُكْبَة

رُكْبَة ، اسم يطلق على سهل فسيح من الأرض المنبسطة يبلغ طوله زهاء مائة

(١) سيارة (٢) يضيء (٣) القلول : السهولة ، زيادة (٤) الذي (٥) يكفيه

(٦) عمود القيادة في السيارة .

كيلومتر وعرضه أقل من ذلك بقليل ، وهي محصورة بين هضاب ومرتفعات جبال الحجاز عند المبعوث والوَقيرات من الجنوب ، وحَصْن وما اتصل به من الجبال المتجهة من الجنوب إلى الشمال من جهة المشرق ، والحرّة المسماة بحرّة البس من جهة الغرب ، وأما من جهة الشمال فإنها تنقهي عند الهضاب الواقعة بين بُرَيْم والحِلْمَة والمُوَيّه ودحروج وسَيْسَد والأشْفِيان وجبال المويّه .

وركة من أهم المراعى لقبيلة عتيبة ، ويكثر فيها العشب والشجر ، وأهم شجرها السّرة وفيها أيضاً الطَّلح والوَهْط والسَّرَح ، غير أن الأول أعمها وأكثرها . وأما أعشابها فالعراد والخصاب والعِجَلَة والنَّصِي والثَّمَام والمِلْمَة والقَطَف . وشاهدنا قليلا من نبات الحنظل والسنا والعشوق .

ويكثر الظبي الأنثب في ركة ، ولكنه شرع في هجرها منذ إدخال طريقة صيده بالسيارات . وقد كان من قبل يفر من الجبال إلى السهل ، فانفكست الآية الآن وأصبح فراره من السهل إلى الجبل حذراً من السيارات . ومع أن ما صيد منه خلال السنوات الأخيرة يبلغ الآلاف فما زالت قطعانه كثيرة جداً .

ومياه ركة قليلة ، وليس فيها بئر واحدة برغم خصب أرضها وإحاطة الجبال المرتفعة بمنطقتها ، والآبار توجد في أطرافها من سائر الجهات ، وأهم هذه الآبار :

- ١ — عشيرة ، ٢ — القرشية ، ٣ — سامودة ، ٤ — بريم ، ٥ — صِلْبَة ، ٦ — حراضة ، ٧ — البُدَيْعة .

ومع أن الجبال محيطة بركة من سائر جنباتها كما مر بك ، فإن من توسطها لا يشاهد إلا أفقاً متراًمياً لا يملوه أثر مرتفع كالسائر في اليم لا يرى إلا السماء والماء ، ولذلك فإنها مخفية ويخشى من التيه فيها ما لم يكن الإنسان عارفاً بمدخلها ومخارجها . ذكرنا أن جبل حَصْن^(١) يقع إلى الشرق من ركة ويحدها من القياى الشرقية الواقعة إلى جهات عرق سبيع ووادي الدواسر ، ولكن هناك سلسلة من الهضاب

(١) روى في الحديث : (من رأى حصناً فقد أهدى) .

القليلة الارتفاع تقع بين ركبة وحضن ، وتعرف باسم البرقان نظراً لياضها واختلاف
لونها عن لون حضن الأسود .

وقد سمي لنا الدليل عدداً غير قليل من الأبارق والجبال ذوات الأشكال العجيبة
المخروطية أو الهرمية أو المسنمة . وتنتهي ركبة من جهة الشمال على طريق الذهاب
إلى بريم عند أبرق النوار على بعد ٦٢ كيلومتراً من القرشية . وأما الجبال التي يمر بها
المسافر بعد أبرق النوار فهي دحروج الأيمن ثم النميلاء ثم دحروج الأيسر لوقوعه
عن يسار الطريق ثم عدامان وعدامة ثم سيسد . ويدخل بعد ذلك في منطقة حضن
وما جاورها ، وهو ما سنصفه في موضع آخر .

حينما مشينا من القرشية كانت الأرض أرض العراد والسمر ، وبعد مسير
٣٦ كيلومتراً قل العراد والسمر وكثر الخطاب والعجلة ، وبعد خمسة كيلومترات أخرى
عاد السمر والعراد يخاطه شجر الوهط ، وكلما توجهنا شمالا بشرق ظهرت لنا قم
جبل حضن السوداء مستعرضاً من الجنوب إلى الشمال ، وبينها وبين ركبة البرقان .
فإذا سارت السيارة ستة كيلومترات بعد أبرق النوار أى ٦٨ كيلومتراً من
القرشية بدأت أرض كأنها جبال من الحصباء السوداء بينها خيب ، ويكون هنا بدء
الانحدار قليلاً ، ثم نصادف صخوراً ابتدائية تشبه الصخور الرسوبية ، ثم حصباء
مرة أخرى لمسافة بضعة كيلومترات حتى ندخل بين الجبال حيث يكون دحروج
الأيسر على بعد حوالى ٣٠٠ متر عن الطريق . وتمر الطريق في نقطة بين جبل
البرما الذى هو منتهى جبل حضن من الشمال وبين جبل البتيلة . وبعد مسيرة خمسة
كيلومترات تصبح الطريق محصورة بين الجبال التي ذكرناها من قبل وهي النميلاء
على اليمين وعدامة على اليسار ويسسد إلى وراء ؛ وبعد مسيرة بضعة كيلومترات
أخرى في أرض متعولة من رخوة إلى حصى إلى حرة إلى رملية ، تتغير استقامة
الطريق من الاتجاه الشمالى الشرقى إلى الشرق تماماً ، ثم تميل إلى الجنوب الشرقى
بعد أن تدور حول خشم جبل البرما فتصل إلى آبار بريم الثلاث .

الفصل الثالث

ديار البقوم وسبيع

الطريق إلى الحرما — البقوم — وادى تربة ووادى سبيع — قبيلة سبيع

١ — الطريق إلى الحرما

تبعد الحرما عن آبار بریم ٦٦ كيلومتراً ، وتسیر الطريق فی استقامة شمالية حتى تصل حرة الرحيان بعد كيلومترين تقريباً ، وليست هي من الحرار العظيمة ، بل هي عبارة عن جبلين من الحجارة السوداء بينهما خُبة ، ويبلغ طول الطريق وسط الحرة حوالي الخمسة كيلومترات .

ثم اعتدل الطريق بعدد الحرة وتسیر فی أرض سهلة متهاوجة ذات قاع صلب الظاهر رخو الباطن مسافة ١٦ كيلومتراً ، ثم يعترضها واد مشهور يسمى « وادى القطان » ، وهو الحد الفاصل بين ديرة البقوم أى حضن وتوابعه وبين ديرة سبيع ، ويبعد عن البریم ٢٣ كيلومتراً ؛ والوادى المذكور مجتمع المياه المنحدرة من حضن الشمالى ، وتصب فيه شعبان كثيرة ، ثم يمتد مسافات بعيدة إلى أن يغور بقرب جبل الأشفيان . وعلى بعد ٣٠ كيلومتر من وادى قطان تصل الطريق إلى سبخة جفجف ، وحينما يكون المسافر فى منتصفها يشاهد إلى اليمين حرة الكلبة وهي قسم من البقوم . بعد أن قطعنا بریم ، أصبحت خبرة دليلنا محدودة ، فهو برفاوى عتيبي ، والأرض من البریم إلى الحرما ملك للبقوم وسبيع ، وهم أعداء عتيبة وكانوا معهم قوماً ^(١) . ولم يكن يتسنى لهذا الدليل قبل حكم ابن سعود أن يظن بمواشيه إلى هذه الديرة ، ولذلك بدلناه بغيره فى الحرما .

٢ — البقوم

ينسب البقوم إلى الأزد ، وهم — بادية وحاضرة — أهل قوة وبأس . جنبهم المنيع حضن ، ومركزهم بلدة « تربة » والقرى التابعة لها . ومُحَارِبَتُهُمْ يبلغون الألف أويزidon ، غير أنهم صمدوا لجيرانهم من عتيبة وسبيع وقحطان وثبتوا على حربهم ، وهم إلى عتيبة أميل وأقرب ، وتنقسم القبيلة إلى خمس بدائد : ١ — المرازيق ، ٢ — الموركة ، ٣ — الكلبنة ، ٤ — الرواجح ، ٥ — الفواصل .

ومن البقوم حاضرة استقروا في بعض بلدان نجد مثل قرية القصب التي يسكنها آل زاحم ؛ ومثل عائلات آل سويد وآل غدبر وآل فائز وآل عوجان .

قلنا إن البقوم كانوا أعداء سبيع وكانوا يتنازعون على المراعى والموارد ، ولكن ابن سعود ألف بين قلوبهم ووحد كلمتهم . فلما تنازع أهل الخurma من سبيع مع أشراف مكة المكرمة وقف البقوم أهل تربة إلى جانبهم وحاربوا معهم جنبا إلى جنب . والمركة الشهيرة بين الإخوان وقوات الأشراف إنما وقعت في تربة التي هي مركز البقوم . وليست للبقوم إمارة قائمة بذاتها مثل سبيع ، بل إن أميرهم يعينه ابن سعود من رجاله ، وسنأتى على طرف من أخبارهم في موضع قريب .

٣ — وادى تربة

وادى تربة أو وادى سبيع هو أحد الأودية الرئيسية الستة التي تتجمع فيها مياه الشعبان والسيول المتكونة من الأمطار التي تهطل على السفوح الشرقية لسلسلة جبال السراة ضمن حدود المملكة العربية السعودية وأقربها إلى الشمال ^(١) . وينشأ هذا الوادى من أطراف جبل حضن الجنوبية وما جاوره من السلاسل والهضاب ، ويسير في ديرة البقوم مسافة طويلة حيث تقوم على جانبيه بلدان البقوم

(١) الأودية الستة اعتبارا من الشمال إلى الجنوب هي : ١ — وادى تربة ، ٢ — وادى رنية ، ٣ — وادى بيشة ، ٤ — وادى تثيب ، ٥ — وادى حوبة ، ٦ — وادى محزون . وسيرد ذكر هذه الأودية مفصلا في مختلف أقسام الكتاب .

التي أهمها تربة المشهورة بواقعتها الحربية عام ١٩١٩ بين الإخوان والأشراف مما
سندكره في موضعه القريب . وحينما يصل الوادى إلى المسكان المسمى « الفريض »
على بعد ٦ ساعات للمطية من انحرما ، تكون حدود البقوم من جهة الجنوب الغربى
قد انتهت ، وتبدأ حينئذ حدود سبيع عند المروة المجاورة للفريض ، كما تبدأ هذه
الحدود من الناحية الأخرى عند وادى قطان المار ذكره . وهذه أسماء القرى الهامة
والموارد الشهيرة الواقعة على أطراف الوادى اعتباراً من دخوله ديرة سبيع :

١ — الفريض .

٢ — القرين : وهى عين ماء وقعت بجوارها معركة حامية بين الإخوان
والشريف شاكر .

٣ — حوقان : وهو مجمع مياه ونخيل وقصور .

٤ — انحرما : وهى أكبر بلدان سبيع على الوادى ، وتقع على ضفته الغربية ،
وتتألف البلدة من قسمين : أولها انحرما القديمة أو القصر العتيق ، وثانيها هجرة
خالد بن لؤى التي أنشأها فى الحرب العامة .

٥ — الدُّبَيْلَة : ماء ونخيل .

٦ — الدُّعْنَمَة : على ضفة الوادى اليمنى .

٧ — السَّمَلِيَّة : على الضفة اليسرى .

٨ — الوطاة .

٩ — أبو جُمَيْدَة .

١٠ — الحِنُو ، وهو ماء لانخيل فيه ، وقعت فيه معركة عظيمة بين الإخوان

والشريف شاكر .

١١ — الثَّف ، والخنفا ، والقنصلية ، وكلها مياه على الوادى ولا نخيل فيها .

وينتهى الوادى فى عرق سبيع ويفور فى رماله ، ويمكن اجتياز المسافة من
الفريض فى أعلى حدود سبيع على الوادى إلى العرق فى أربعة أيام على المطية .
ويمكن تخمين طول الوادى من علوه إلى مصبه بمسافة مائة وعشرين كيلومتراً .

٤ — قبيلة سبيع

تقيم قبيلة سبيع في الوادي المعروف باسمها (وادي تربة) . وفي وادي رنية ، وفي أطراف حرة سبيع وعرق سبيع ، وهي من أهم القبائل في هذه الجهة ، ولها قسم آخر يقيم في العارض المحسوب بادية لنجد ، كما أن كثيرين من سبيع قد تحضروا وسكنوا قرى نجد .

ويحيط بقبيلة سبيع في ديارها : قبيلة عتيبة من الشمال والشمال الغربي ، والبقوم من الغرب والجنوب الغربي ، وقبائل الحجاز وبيشة وغامد وزهران وأكّاب من الجنوب ، والدواسر وقحطان من الشرق .

ويحدهم عن ديرة عتيبة مفيض وادي قطان عند الخنزيرية وخشوم الرّحى وسعيب خنّشل من جهة الشمال ، وماء الأيسري الواقع بقرب خشم عرق سبيع من الشرق . ويحدهم عن ديرة قبائل بيشة أرض الذّهاب التي تبعد عن رنية مسافة ٦٥ كيلومتراً إلى الجنوب .

ومركز سبيع بلدتان هامتان : الحُرما في الشمال ، ورنية في الجنوب . وللقبيلة فروع وأقسام متعددة نذكرها فيما يلي :

أولاً — الذين في الحُرما من سبيع :

القَمَلَة ، في السَّلَمِيَّة

العَجْرِيَّة ، في الحُرما

بنو كور ، في الحُرما

القرشيات ، في الحُرما

ثانياً — الذين في رنية من سبيع^(١)

(١) أما الذين في نجد من سبيع فهم :
أولاً — بنو عمرو ومنهم (١) الحضران وأقسامهم العَمَلَة والجبور والنبطة والعرينات .
(٢) الصعبة وأقسامهم الجاللين وآل علي وآل عزة .
ثانياً — بنوعاص ومنهم الفدقة والعيادين والصياغة والفدعة وبنو سعد .

المكحلة	آل محمد
الصنادلة	الرؤبة
المشاعبة	السودة
المفالية	الفراغة
الجهوم	الشُمُيسَات
الملوح	المَرَاغِين
المجاعة	الوِزْرَان

ولكل فريق من هؤلاء كبير ، غير أن الذين في الحرم يتبعون أميراً من الأشراف العبادل هو ابن لوى ، والذين في رنية يتبعون شريعاً آخر من العبادل أيضاً هو ابن صامل .

وقد كان السبعان — قبل حكم ابن سعود وامتداد حركة الإخوان إليهم — معادين لجميع جيرانهم من الرُّوقة وبرقة من عتية والدواسر وقحطان وأكّاب والبقوم ، ولكن حركة التدين شملتهم قبل غيرهم ، فتآخوا مع البقوم ، وقاوموا عتية التي كان أكثرها موالياً للأشراف في مكة المكرمة ، ووقعت بينهم وقائع عظيمة سنذكرها في موضعها إن شاء الله .

الفصل الرابع

تربة والخزما

الأشراف والإخوان - مقدمات تربة - الوقائع قبل تربة - معركة تربة - وقائع ووقائع

١ - الأشراف والإخوان

يطلق على النزاع الذى قام فى أعقاب الحرب العامة بين البقوم وسبيع وأحلافهم من أهل نجد وبين حكومة الأشراف فى الحجاز اسم «النزاع بين الأشراف والإخوان» بالرغم من أن رؤساء الاختلاف فى الجانبين كانوا من الأشراف العبادل : الملك حسين وحكومته من ناحية الحجاز ، والشريف خالد بن لؤى وأتباعه من سبيع والبقوم من ناحية نجد . وقد تطور هذا النزاع من نزاع محلى بسيط إلى خلاف شديد بين الإخوان والأشراف ، ثم إلى حرب شعواء بين نجد والحجاز كان من نتائجها إقصاء العائلة الهاشمية عن حكم الحجاز وانضمام الحجاز إلى المملكة العربية السعودية . نشأ النزاع عن محاولة الشريف حسين بن على أمير مكة المكرمة أن يبسط سلطته ونفوذه على بلاد عتبية وحرب عام ١٩١٠ على أثر توليه شرافة مكة ، وعن اضطدامه بالحيوية الجديدة التى بعثها ابن سعود فى عقائد أهل نجد وفى معاشهم بنشره تعاليم الإسلام الصحيح ، وقضائه على الخرافات والأوهام المسيطرة على أفهام الناس وحلومهم منذ أجيال . ويمكن إرجاع أسباب النزاع الحقيقية إلى عاملين جوهريين : الأول دىنى ، والآخر سياسى .

أما العامل الدينى فهو أن السبعان والبقوم كانوا قد أطاعوا داعى التوحيد أيام آل سعود الأولين ، ونشأت بينهم وبين أهل نجد صلات ودة لم تذهبها الأيام بعد أن عصفت الأرزاء بحكومة آل سعود الأولى ، فما قام عبد العزيز بن سعود بدعوته السلفية قبل الحرب العامة بوضع سنوات حتى أجابها عدد غير قليل من هاتين

القبيلتين ، وكان من نتيجة ذلك تولّد أسباب الاحتكاك مع جيرانهم المحافظين على جاهليتهم ، ونشوء حزازات ومطامع أدت إلى اكتساب الأمر شكلاً سياسياً خطيراً بين مكة والرياض كما هو معلوم . والحقيقة أنه يصعب تعيين مدى تأثير كل من العاملين أو تعيين المتقدم منها . فمحاولة الأشراف توسيع حدودهم من الحجاز إلى قلب نجد عام ١٩١٠ كان العامل السياسى الأول والأخير فيما وقع ، ثم إن نهوض ابن سعود بأمر الدعوة الدينية الخالصة في نجد وإقبال البادية على اعتناق هذه الدعوة وامتداد نفوذها إلى قبائل الحجاز كان العامل الدينى السياسى الذى خشى الأشراف شره وحاولوا صدّه ووقفه .

أسرف الأقدمون فى التساهل فى تحديد الحجاز ونجد ، وأين مبتدأ كل منهما وأين منتهاه ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح فى إمكان أى حاكم قوى أن يدعى تبعيّة هذا القسم أو ذلك من البلاد للحجاز أو لنجد . ويروى فى الحديث الشريف أن حدود الحجاز تنتهى حينما يشاهد جبل حَضَنَ ، وعلى هذا التقدير يمكن اعتبار عُشْبَرَة وأطرافها حداً طبيعياً فاصلاً للحجاز عن نجد ، غير أنّ الشريف حسين لم يقنع بذلك ، فادّعى تبعية عُتَيْبَة وحرّب للحجاز على أمل الوصول من وراء ذلك إلى توسيع دائرة نفوذه وسلطانه على القصيم ونجد ، ووضعت محاولته هذه فى موقف التحدى لنجد ولأميرها على السواء ، وقد تفاعل الشريف حسين بما أصابه من نجاح أو صله فى هجومه على نجد عام ١٩١٠ حتى القاعية وخُفّ عند نفوذ السُرّ ، فشرع يعدّ عدته لبسط نفوذه الكامل الشامل . وديار البقوم وسبيع واقعة بين نجد والحجاز ، فأذن ليبدأن بها ولتكون مفتاح النصر والظفر .

رجع الشريف حسين إلى التاريخ فوجد فى بعض مادته ما حمله على الاعتقاد بأن فى استطاعته الاستيلاء على بلاد البقوم وسبيع ، دون أن يحسب للعوامل الأخرى حسابها ، فاصطدم بإرادة الأهالى أنفسهم وبمصالح جوهرية للقائمين بأمرهم ، فثار العجاج واشتد اللجاج ، ولم تفنه قرابته من أمير انحرما ولا علاقة مكة التاريخية بالأشراف العبادل فتिला .

٢ — مقدمات تربية

اطلعت على رسالة بالإنجليزية وضعها المكتب العربي بالقاهرة عام ١٩١٩ لإطلاع الحكومة البريطانية على مقدمات تربية وفضائل حوادثها وقت اشتداد الأزمة ، فرأيت أن أسرد خلاصتها فيما يلي :

١ — في ٢٤ أكتوبر ١٩١٨ ذكر الملك حسين للكونونيل واسن المعتمد البريطاني بجدة أن أمراء الحرم من الأشراف كانوا تابعين لمكة وكانوا يعينون من قبل الشريف ، وأنه (أى الحسين) عزل أربعة أو خمسة منهم ، وأنه بعد وفاة منصور بن لؤى والد خالد عين أخاه عوضاً عنه ، ولكنه بعد سنتين أصيب بمرض عضال قضى عليه ، فعين خالد بن منصور بن لؤى وكيلًا للأمير .

٢ — في ديسمبر ١٩١٧ ذكر الأمير عبد الله للكونونيل كورنواليس أنه — في الحقيقة — لم يحاول أحد من أشراف مكة بعد الشريف عبد الله بن محمد بن عون (المتوفى ١٨٧٧) أن يسيطر على بلاد عتيبة إلى أن تولى والده الحسين شرافة مكة . وذكر أيضاً أن مجازفة والده كانت سبباً في استياء ابن سعود وتحرشاته . وقد كتب الحسين لابن سعود بأن عتيبة وحرراً تابعون للحجاز ، فلم يوافق ابن سعود على ذلك ، غير أنه وافق على ذلك وعلى دفع ضريبة معينة للحجاز أيضاً بموجب معاهدة ١٩١٠ حين غزا الحسين نجداً .

٣ — وفي يناير ١٩١٨ جرى حديث بين الكومندر هوغارث والملك حسين بجدة ، كان رأى الملك حسين فيه خلاف رأى ابنه الأمير عبد الله ، فذكر أن معاهدة ١٩١٠ أصبحت ساقطة لقيمة لها . وزاد على ذلك أن حقيقة الواقع هي كون الأمير سعد بن عبد الرحمن تعهد بأن تعفى حرب وعتيبة وسبيع ومطير من دفع الزكاة لابن سعود أو لابن رشيد ، وبأن تطلق الحرية لمدين القصيم لاختيار أمرائها وأن يدفع للحجاز مبلغ ٣٠٠٠ ريال في السنة ، وأنه برغم هذا الشرط فإن المبلغ لم يدفع قطعياً ، وذكر الملك أنه اعترف لابن سعود بحقه على عتيبة حينما يكونون في بلاده .

٤ — وفي فبراير سنة ١٩١٧ ذكر الأمير فيصل (الملك فيصل) للكونغرس أن منذ نحو خمس سنوات شرع ابن سعود في خطته المدائية تجاه مكة ، فاستمال إلى جانبه بعض البقوم وسبيع وهذ الطائف ، فاضطر الشريف إلى اتخاذ تدابير زجرية ، فأرسل ابن سعود أخاه سعداً ليتلافى المسائل ، فتم الاتفاق على أن يكون وادي الدواسر إلى النقطة التي يصبح اسمه فيها وادي رنية تابعاً لابن سعود ، وأن تكون أودية الخرماء وريشة وريشة للشريف ، واعترف الشريف بإمارة ابن سعود على قحطان ، كما اعترف ابن سعود بإمارة الشريف على عتبية^(١) . وفي عام ١٩١٢ عاد النشاط لابن سعود فاضطر الشريف إلى إرسال ولده عبد الله إلى ديار عتبية فبلغ حداً لم يبلغه الأشراف من قبل من جهة الشرق .

٥ — وفي ٢٩ مارس ١٩١٩ كتب الشريف حسين إلى المعتمد البريطاني بمجدة كتاباً برقم ١١٠٧ قال فيه : « نحب أن نوضح لكم أننا بذكرنا الرقعة فقط في الخريطة التي وضعتها لولس باشا لأجل إرضائه قسماً من المملكة العربية الهاشمية ، لم نكن نقصد مطلقاً أن الخرماء وتربة وريشة وريشة والدواسر غير تابعة للعاصمة (يعني مكة) لأنه حتى هذه الساعة نحن الذين نعين أمراءها ونجبي زكاتهم وجهادهم يرسل إلينا ، وأنا الذي عينت خالداً أميراً على الخرماء وعزلت الشريف محمد بن سلطان من ريشة ، وضممتها إلى خالد^(٢) .

٦ — أما رأى ابن سعود الذي أدلى به للشريف حسين وللحكومة البريطانية فهو أنه لا يوجد أساساً لمذيعات الشريف حسين بشأن تربة وريشة وريشة ؛ فضلاً عن المذيعات بشأن ديار عتبية في نجد ، وأن حدود الحجاز من جهة الشرق تنتهي بقرى وادي العقيق (عُشَيْرَة) عملاً بالحديث الشريف وبالتعامل الجاري بين العرب ، وأنه لم يسلم قط بأن الشريف أى حق على نجد أو قبائلها ، وأنه لا يوجد ما يبرر سياسته

(١) لاشك في أن الذي نقل الكلام من لسان الملك فيصل كان يجهل أوضاع الأودية المذكورة فجاء الكلام غير مستقيم كما يرى .

(٢) في هذا الكتاب مطلب صعب جداً بشأن وادي الدواسر لا يسلم به أهل نجد .

التفهرية ضد أهل الحرم وأهل الوديان على الإجمال لاعرفا ولا ناريغا ، ولا من حيث الدين ، وأن أهل الوديان يحسبون من أهل نجد ، وأن إرادتهم وميلهم هما الأساس في حل الخلاف ، ولا يوجد بينهم من يريد الشريف أو حكومته .

وقد عجزت أساليب السياسة والتحكيم عن حل الإشكال ، فأهل الحرم وأتباعهم لم يقبلوا الشريف ولا حكومته وطلبوا الإمداد والنجدة من الإمام ابن سعود في الرياض ومن كافة الإخوان في نجد ، وحكومة مكة أصرت على خلع « خالد » وضم بلاده للحجاز فلم يكن بدّ — والحالة هذه — من نشوب القتال واستعار لهيبه بين الفريقين .

٣ — الوقائع قبل تربة

لم يعلن أهل (الحرم) خلع نير حكم الشريف في مكة إلا عقب إعلان الحرب العالمية وقيام الشريف حسين بالنهضة العربية . وقد اشترك الشريف خالد بن لؤي أمير الحرم في حركات الحرب الأولى حول المدينة ، ولكنه كان يرى نفسه مضطراً إلى مجارة أهل ديرته فيما هم عليه من اتباع أهل نجد والسير على خطتهم ، وكان يرى رأياً مخالفاً لرأي الأشراف فيما يتعلق ببعض المسائل الاجتهادية . وقد ذكر لي في الحرم أنه لم يكن موافقاً على قصر الصلاة بدعوى إعلان الجهاد وغير ذلك من التسهيلات .

عاد « خالد » من عند الأشراف في الحجاز إلى ديرته ، فوجد الخلاف على أشده ، بين أنصار الفئتين من جماعته ، غير أنه رأى الكفة راجحة بجانب أهل نجد ، فترأس الحركة الجديدة وانضم إليها وجاهر بها ، ثم سافر إلى الرياض وأعلن خضوعه وولاه ، وطلب « مطوعاً » ليكون مرشداً لأهل الحرم لأن شئونهم الدينية ، وقاضياً يفصل في منازعاتهم ، فأجيب إلى طلبه ، وسلم إليه لواء من ألوية الجهاد . وبعد عودته إلى الحرم أنشأ هجرته التي ذكرناها فيما تقدم من البحث ، وأصبح منذ ذلك الحين عاصياً لحكومة مكة ثائراً عليها ، ووجب على الحكومة أن تؤدبه . غير أن الشريف حسين لم يحاول ذلك في مطلع الأمر ، ولم يرسل عماله لجمع الزكاة كالمعتاد .

وفي أوائل عام ١٩١٨ أرسل الشريف حسين عماله لجباية الزكاة من سبيع ،
فما كان من خالد بن لؤى إلا أن اعتقلهم ومنعهم من القيام بمهمتهم ، ثم جمع قوة
من الإخوان طهر بها العناصر المعادية له من أهل الخرماء ، وبذلك بدأ النزاع بينه
وبين مكة .

وفي شهر مايو من ذلك العام كتب الملك حسين إلى الحكومة البريطانية ملفتاً
نظرها إلى أعمال ابن سعود ومدخلاته مع القبائل التي كانت تخضع للحجاز من قديم
الزمان ، وملئاً لها اعتزاه إنفاذ قوة تأديبية إلى الخرماء ، وقد أنفذ بالفعل قوة مؤلفة
من ١٠٠٠ مقاتل بقيادة الشريف حمود بن زيد ، فالتقى بها الإخوان في ٢٥ شعبان
سنة ١٣٣٦ هـ (مايو ١٩١٨) في حَوْقَان ، وهزموها وشتتوا شملها .

أعلن الملك حسين في جريدة (القبلة) أن القوة بلغت هدفها الذي رسمه لها ،
ولكنه بالرغم من ذلك أمدها في شهر يونيو بنجدة عسكرية فنية معها عدد من المدافع
والرشاشات ، ولا يعلم في الخارج شيء عما جرى للقوة الأولى ولا للنجدة . والحقيقة
أن النجدة وقعت في كمين نصبه لها الإخوان في جَبَّار في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٦ هـ
خفّضى على أكثرها .

وقد بلغت الوقائع قبل معركة تربة حوالى عشر كان الفوز فيها دائماً حليف
الإخوان . أنشدنى بعض أهل الخرماء شعراً طويلاً جديراً بتسميته (ملحمة) للوقائع
وتفاصيلها جاء فيه :

قَرَيْنَ^(١) وَحَوْقَان^(٢) وَحِنْو^(٣) مَصَارِعُ وَجَبَّارَ لَيْسَ بِجَابِرٍ لِلْكَافِرِينَا
وهذا بيان الوقائع حسباً أملاه على أهل الخرماء :

أولاً : وقعة حَوْقَان السالفة الذكر في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ (مايو ١٩١٨)
قائد الإخوان فيها خالد بن لؤى ، وقائد جند الشريف حمود بن زيد .

ثانياً : وقعة جَبَّار في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٦ هـ (يونيو ١٩١٨) القائدان كما

في الموقعة الأولى ، ولكن جند الشريف يمتازون بسلاح المدافع والرشاشات .
ثالثاً : وقعة الحِنُو ، في ٩ ذى الحجة سنة ١٣٣٦ هـ (أغسطس ١٩١٨) ،
وذلك أنه على أثر انكسار قوات الشريف حمود مرتين كما تقدم ، صدر الأمر
لشريف شاكر بن زيد أخيه بأن يتقدم لاحتلال الخرما ودرية عتبية بصفته أميراً
على كافة عتبية ، فجاء الشريف شاكر وعسكر في مرَّان إلى الشمال الغربي من الخرما ،
وشرع في إثارة خواطر عتبية على سبيع وأهل الخرما . ووفق إلى تأليف غزو من المَظَلة
برئاسة شايويع ، ولكنه مَنَى بما منى به الغزوان السابقان . ولم يجد الأمير شاكر
بَدْءاً من الهجوم بنفسه ، فجمع ما لديه من قوات بدوية وحضرية ، وجهاز مدفعية
ورشاشته ، ووصل آبار الحِنُو على بعد ٢٥ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من الخرما ،
وكانت قوة الإخوان مؤلفة من ١٥٠٠ رجل من مقاتلة أهل الخرما ووادي سبيع
و٥٠٠ مقاتل من أهل النَطَظ من ٢٥٠ من أهل الرِّين . وأما قوات الشريف شاكر
فإنها كانت مؤلفة من ألف جندي نظامي و٤ مدافع و٦ رشاشات ، ومن غزو العتبان
الموالين للأشراف وغزو أهل الطائف من قبائل بني سعد وهذيل وسفيان وغيرهم ؛
بحيث أن أهل الخرما كانوا يقدرعون مجموع قوات الشريف شاكر بستة آلاف مقاتل .
بدأ الإخوان المعركة بهجومهم الليلي المعلوم ، وصَبَّحُوا القوم « هَجَاجاً » من
الفجر المبكر ، واشتبكوا معهم في معركة حامية الوطيس دارت الدائرة فيها على جند
الشريف شاكر ، فقرَّبَيقية جنده قافلاً إلى مرَّان على عجل . وكانت حجة الأمير
شاكر في انكساره أن كثيراً من الرُّوْقَة وَرَقَة انحاز إلى جانب الإخوان قبل أن
تدور المعركة وتركوه مع القوة النظامية وغزو تَقِيْف وسعد وهَذَل من أهل الطائف ،
ولم يكن له قَبِيل بمقاومة هجوم الإخوان العنيف .

وهجعت الحوادث بعد الحِنُو بضعة أشهر تخللتها هجمات من سرايا الإخوان
على القوافل التي كانت تنقل الأرزاق والذخيرة إلى معسكر الأمير شاكر . وكان
الأمير عبد الله بن الحسين محاصراً المدينة ، فأراد القدوم بنفسه إلى (الخرما)
غير أن ضرورات الحرب ألجأته إلى التريث خوفاً من رد الفعل والانتكاس .

٤ — تربة

(تَرَبَة) بلدة البقوم كما ذكرنا ، وهي واقعة على الوادى المعروف باسمها الذى يصبح اسمه — بعد وصوله إلى الغريض — وادى سبيع ، وهي أصغر من الخُرما ، وأقل سكاناً وأهمية ، إذ كان مركز النقل السياسى فى النزاع بين الإخوان والأشراف مستقراً فى الخرما ، غير أن شهرة تربة بعد الموقعة الشهيرة التى دارت رحاها فيها فى شعبان سنة ١٣٣٧ (١٩١٩) قد طفت على الخرما وكسفتها .

دارت الوقائع التى سردناها فى النبذة السابقة خلال الحرب العامة ، حين كانت القوات العربية الحجازية محاصرة للأتراك فى المدينة المنورة ، وكان القائم بأمر الحصار حضرة صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين (ملك شرق الأردن حالا) ، فأراد أن يزحف بقواته على (الخرما) وينهى أمرها عقب واقعة الحِنُو التى دارت فيها الدائرة على جند الأمير شاكر . غير أن الخوف من أن ينتهز غزى باشا فرصة غيابه ونقص القوات المحاصرة للمدينة فيقوم بحركة خروج قد تمتد إلى أطراف مكة اضطره إلى التريث على مضض .

استعاد الأمير عبد الله حريته فى العمل ضد أهل (الخرما) بعد استلام غزى باشا فى المدينة فى يناير سنة ١٩١٩ ، وخطا الخطوة الأولى بمقارنته المدينة ، ترافقه القوة الحضرية من جُند الحجاز بمدافعها ورشاشاتها ، تظاهرها القوات البدوية ، وسار من المدينة على الطريق الشرقى ، وعسكر فى أوائل إبريل فى عُشَيْرَة . وقد اختلف الرواة فى عدد القوات الحضرية التى كانت تحت قيادته ، فبعضهم يبالغ فيها ويجعلها آلافاً ، وبعضهم على الضد من ذلك يزعم أن عددها لا يتجاوز المئات . أما ضباط الاستخبارات الإنجليزية حينئذ فيقدرون القوة الحضرية بما لا يزيد عن ٦٠ ضابطاً و ٧٧٠ صف ضابط وجندى و ١٠ مدافع و ٢٠ رشاشة . والواقع أنهم يفوقون هذا العدد .

وما إن بلغ خبر حركة الأمير عبد الله من المدينة مسامع ابن سعود حتى احتج على ذلك وأنذر خصومه بما يجره عمل الأمير من النتائج الخطيرة ، وأنه مضطر لمقاولة حركة الملك حسين والأمير عبد الله بمثلها .

بدأ الأمير أعماله العسكرية بإبناذ السرايا لتأديب القبائل العاصية ، فقابل الإخوان أعماله بمثلها وشرعوا في شن الغارة على القبائل الموالية له . وكانت الحادثة الأولى في الدَّغْيَبَجَة في أوائل مايو ١٩١٩ ، إذ هجم الإخوان على بعض العتبان ونهبهم ، فأنفذ الأمير سرية تقتفي أثرهم فلم تنظر بهم بل ظفرت بغزو آخر من الإخوان كان قاصداً المعجوم على مخفر شريف يدعى مُدْرَج . وفي تلك الأثناء أيضاً هجمت سرية من سرايا الأمير على فريق من الإخوان في الرِّخْم وقضت عليه .

ظن الأمير بقواته من معسكره وخيم في البديع في سفح حصن ، وتوجه منها إلى تربة . وفي ٢١ مايو ١٩١٩ أعلن احتلاله لتربة بعد معركة دامت ساعتين ونصف ساعة ، وأنه — بعد أن جمع قواته — شرع في الاستعداد للتقدم على الخرما ، ثم خاطب رؤساء قبائل سبيع والبقوم وأمرهم بتقديم الطاعة والخضوع وهددهم في حالة عدم الطاعة بسوء المنقلب . غير أن الأمر لم يدم طويلاً ، إذ كان الإخوان يعدون معداتهم لمفاجأة معسكر الأمير في ذلك اليوم نفسه .

وكان ابن سعود على علم بتدابير حكومة مكة ، وكان — بواسطة جواسيسه — على اتصال وثيق بما يجري في نخيم الأمير عبد الله في عُشيرة ؛ ولذلك فإنه لم يؤخذ على غرة حينما سمع بحركة جيوش الأمير من عُشيرة في طريقها إلى وادي سبيع بعد اجتماع الأمير بوالده الحسين والتشاور معه في الخطة ، بل شرع في الاستعداد للحرب بأن أنفذ بعض قوات الإخوان من هجرة الغطاط وسواها من هجر عتيبة لتكون إلى جانب أهل الخرما ، كما جهز قوات أهل العارض تحت إمرته وماربها غرباً وعسكر في السَّاحَة شمال شرق الخرما على بعد أكثر من مائة كيلو متر عنها . وأصدر أمره إلى الإخوان بأن لا يكونوا بادئين في القتال ولا مهاجمين بل يظلوا صادين مدافعين .

ولم تكن تربة هدف الأمير الأسامي بل كان يستعد لضرب الإخوان في انخرما ، ولهذا فإنه ما كاد ينتهى من مسألة تربة حتى شرع في الاستعداد للتقدم إلى انخرما ، ولكن الإخوان كانوا أسبق إلى لقائه فلم يتركوا له مجالاً للوصول إليهم ، إذ لما بلغتهم أنباء هجومه على تربة كانوا في موقع اسمه القرين ، وهو ماء على وادى تربة بينها وبين انخرما ، فلم يلبثوا إلا ساعتهم ثم شرعوا في المسير بعد غروب شمس يوم ٢٥ مايو ١٩١٩ (٢٥ شعبان ١٣٣٧) فوصلوا تربة بعد بضع ساعات دون عناء .
الديرة ديرة الإخوان ، فهم يخبرونها شبراً شبراً ويعرفون سهلها وجبلها وحزمها وشعيها ونخيلها ومزارعها وبيوتها وقصورها ، فلم يحتاجوا إلى كبير عناء لمعرفة ما يجب عليهم عمله حين مباغته جند الأمير بهجوم مفاجئ .

رتب الإخوان أنفسهم رتباً وفرقا ، وتولى كل فريق أمر فريق معين من جند الأمير النظامي والبدوي ، وكانت جواسيس الإخوان وعيونهم قد عرفت مواقع الجند ومنازلهم وعدد من فيها بالتقريب ، واستعانوا بالرحمن في هجومهم الليلي الذي اشتبهوا به والذي يلقي الرعب في قلوب خصومهم ، وحلوا حملة صادقة مكبرين مهللين .

ولم يكن الأمير متوقفاً هجوماً سريعاً كهذا ، وظن أن احتلاله لتربة قد ألقى الرعب في قلوب الإخوان وأحلافهم ، بل ظن أنهم لا يجرون على الوقوف في وجهه فضلاً عن الهجوم عليه . ولذلك نام جنده ، وهو خالى الذهن مطمئن البال .

وأفاق الجند كما أفاق الأمير على أصوات الإخوان مهللين مكبرين ، وقد عقد الذعر سرادقه فوقهم ، فمجزوا عن استجماع قوتهم للمقاومة ، وفر كثيرون تاركين أسلحتهم وبنادقهم دون أن يلجأوا على شيء ، وتمكن الأمير من امتطاء فرس له قريبة منه ، وعاد أدراجه من الطريق التي جاء منها منذ أيام ، ولم يقف إلا عند الأخيضر .

تحتسب معركة تربة من أشد المعارك الحربية الفاصلة في تاريخ جزيرة العرب الحديث . وستظل ذكرها عاقلة بالأذهان كلما ذكر اسم تربة والإخوان ، إذ قد

تمزقت فيها قوة الأشراف شرمق ، وقتل كثيرون من أفراد الجند النظامي كما قتل كثيرون من زهرة الضباط الذين اشتركوا في الثورة العربية وفي حصار نخري باشا بالمدينة المنورة . وما زالت آثار نخيم الأمير بادية للآن يراها من يزور تربة . وهناك من أهل تربة من يأخذ المتفرج إلى تلك الساحة في بطن الوادي وأطرافه ، فيدله على موضع خيمة الأمير الخاصة وموضع سرادقه الكبير وخيام أركان حربه ومدافعه . وقد يشاهد المرء في الميدان بقايا تلك المعركة من جهاجم وأشلاء ، فلا يسهه إلا إظهار الأسف على ما كان والترحم على من قضى .

وطارد الإخوان فولول الجيش الهاشمي ولكنهم لم يتعقبوه طويلا ، وإنما هاجم فريق منهم في فجر ٢٦ مايو مخفر كلالخ الذي كان الشريف شرف بن راجح قائده . ومع أن الإخوان لم يتمكنوا منه ، فإن الشريف انسحب إلى الأخيضر لكي يكون بجانب الأمير عبد الله الذي بذل همهته لجمع فولول جيشه لصد عادية الإخوان لو فكروا في مهاجمة معسكره في عشيرة أو بالتقدم إلى الطائف .

خاف الملك حسين كما خاف الإنجليز من تقدم الإخوان إلى الطائف الذي لم يكن لدى الأشراف فيه ما يكفي لصد عاديته عنه بعد تحطيمهم لقوات الأشراف في تربة . والواقع أنه لم يكن في استطاعة الحكومة الهاشمية الدفاع عن عاصمتها مكة ، فتوسل الإنجليز بكافة الوسائل السامية لحل ابن سعود على التوقف ، فوافق كارهاً .

أراد الملك حسين والأمير عبد الله أن يجعلوا من تربة والخرما مقدمة للاستيلاء على بلاد سبيع كلها وعلى بلاد عتيبة وزبما على نجد بأسره ، ولكن إرادة الله شئت أن تكونا مقدمة لثل عرش الهاشميين في الحجاز وضمه إلى ملك ابن سعود كما هو معلوم .

ليس في تربة والخرما ورنية من الخيرات ما يمكن أن يطعم فيه ، وليس من بأس في نظر العروبة أن تكون تابعة للأمير هاشمي أو للأمير نجدى ، ولكنها هي حكمة الله شامت أن يكون منها سبب لتوحيد أقطار عديدة من الأقطار العربية تحت ظل

ملك واحد ، فتحيا حياة واحدة ، ويكون من اتحادها عزّ وعظمة ، ومبدأ وحدة عامة شاملة بإذن الله .

٥ - وقائع ووقائع

بعد معركة تربة ، اشتدت العداوة بين الإخوان والقبائل الموالية للأشراف في الحجاز من حصن إلى قرب عُسَيْرة والطائف ، وكان القسط الأكبر من عبء الهجوم والدفاع واقعاً على عاتق أهل تربة والخزما من سبيع والبقوم نظراً لقرب ديارهم وكونهم أول من قام بالدعوة في غرب نجد ، فكثرت الوقائع وتعددت السرايا من الجانبين على غير جدوى . وكان للأشراف مخفران في كَلَالَخ والأخْيَضِر ، ولكن الإخوان كانوا يتعدونها إلى جوار الطائف فيصولون ويجولون ، وينهبون ويقتلون ، ويد حكومة الشريف قاصرة عنهم .

فمن الوقائع الهامة وقعة قريش على الأخْيَضِر في أواخر عام ١٣٣٧ (١٩١٩) ، فقد أغار الإخوان على قبيلة قريش وأحلافها ، واستاقوا كثيراً من الحلال والمال ، وعادوا إلى ديارهم سالمين .

وفي عام ١٣٤٠ وقعت وقعة الخزاني ، وفيها قتل عبد المحسن بن خالد ابن لؤي .

وأم الوقائع على الإطلاق هي التي وقعت في مطلع صفر ١٣٤٣ (١٩٢٤) حينما زحف الإخوان تحت إمرة خالد بن لؤي على رأس جماعته أهل تربة والخزما من سبيع والبقوم ، وأحلافهم من عتيبة (برقة والروقة) بقيادة سلطان بن بجاد كبير هجرة الغَطَفُط ، وتقدموا من الخزما إلى كَلَالَخ ثم الأخْيَضِر ، حيث جرت موقعة كبيرة لم تحل دون إحداقهم بالطائف وحصاره ، ثم الاستيلاء عليه وضمه إلى أملاك ابن سعود .

سار الفاتحون من أهل الوديان بعد الطائف إلى الهدى ، وتقدموا إلى الزينة
فسكة المكرمة ، ودخلوها محرمين ملبين . فأصبح الثائر العاصي فاتحاً ظافراً ،
والشريد الطريد أصبح أميراً حاكماً . وهذا من عبر الزمان وتقلباته .

لو علم الشريف حسين أن ابن عمه خالد بن نؤى سيكون سبباً لثلّ عرشه
لما عينه أميراً على الحرم ، ولو اطلع على لوح القدر لما أقدم على ما أقدم عليه
من مناوأة أهل الحرم ومحاولة الاستيلاء عليهم بالقوة .
ولكن (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) .

الفصل الخامس

وادی رنية

المسير من الحرما - صفة الطريق - رنية - الوادی من علوه إلى مصبه

١ - المسير من الحرما

كان مسيرنا في أوقات قلقة غير عادية ، إذ كنا نشاهد في طريقنا كتائب المجاهدين سائرة الموهيني ، فنسألها حين نمر بها عن أخبارها . أما في الحرما فقد قابلنا غزو الزوقة من عتية بقيادة الأمير عمر بن ربيعان . كان سير الغزاة بطيئاً بسبب إبلهم وخيلهم ، أما الإبل فكانت تقضي ضعف الوقت اللازم لاجتياز المسافات بسبب ضعفها وندره الكلاء على جانبي الطريق ، وأما الخيل المُجَنَّبَة فكانت على وشك الوضع ، فلم يكن بد من السير على مهل .

تقابلنا مع الأمير عمر وأبناء عمه ، وتباحثنا في الموقف مع اليمن ، وكانت ذهنية المحاربين غريبة في بابها ، وهي تدل على شيء كنا جميعاً نلسه في علاقاتنا مع جارتنا الشقيقة حكومة اليمن ، ذلك الشيء هو السياسة المقنعة غير الواضحة وسياسة المظل من جانب اليمن ، وقد قاسى الإخوان بسبب ذلك مشقات كثيرة . فإنهم سيقوا إلى الحدود عدة مرات ، ولكنهم كانوا يرجعون في كل مرة بدون قتال ، وما يكادون يصلون إلى أوطانهم حتى يناديهم منادى الغزو وداعى الحرب أن عودوا إلى الحدود اليمنية . فشموا هذه الحال ، ورأوا أن لا بد من حل المشكلة حلاً نهائياً ، إما بالصلح الشريف المرضي وإما بالحرب ، وليس ذلك عن رغبة في الحرب من حيث هي ، بل عن نفرة من ترك الأمور على غواربها ، فتضطر الحكومتان في كل وقت وحين إلى إنفاذ السرايا والبعوث . ومن أجل ذلك قال لي ابن ربيعان : « إن لم يكن الصلح الذي تمقدونه صلحاً أساسياً دائماً فإنتي أدعو لكم بالفشل في مهمتكم » .

تركنا ابن ريمان وجماعته ، ومشيئنا من الجانب الغربى لآوادی على أمل اجتيازه إلى الجانب الشرقى ، ففرزت سيارة الانتقال فى رماله ، ولم يتمكن الرفاق بمعونة أهل القرية من إخراجها إلا بعد جهد دام ست ساعات تقريباً . أما أنا فقد اغتنمت هذه الفرصة لأدوّن معلوماتی عن ألخرما ووادی سبيع ، ولأستمع إلى بعض شیوخ ألخرما وهو یروى لى وقائع الإخوان والأشراف مما ذكرته فى الفصل السابق .

كان البرد عند الصباح شديداً جداً ، فقد سجل مقياس الحرارة ٤٦ درجة فهرنهايت ، وكانت قراءة البارومتر ما یقرب من ٣٥٠٠ قدم ، والريح كانت تعصف بشدة وتلفح الوجوه بصقيعها ، فوجد الرفاق فى إخراج السيارة العارقة فى الرمل مييلاً للدفء والنشاط ، غیر أن حماسهم لرفیقهم الجدید « الدلیل » كان ضعيفاً . والحق یقال إنه كان خبيراً بديرته كل الخبرة ، ولكن حينما اجتزناها إلى حدود رنية ظهرت علیه علام البیئ والرغبة فى إعطاء المعلومات صحیحة كانت أم خاطئة ، ولم تكن له خفة دلیل الیوم السابق ولا ذلاقته .

كانت خطتی عدم السیر لیلاً إلا مضطراً ، کى اتمكن من مشاهدة معالم الطريق فى ضوء النهار . ولذلك فین تأخرنا فى المسیر من ألخرما حتى الظهر حتم علینا المیلت قبل أن نبلغ رنية ، مع أن المسافة بینهما لا تزيد على ١٤٠ کیلومتراً ، وسأصف فیما یلى طریقنا التی سسکنا وما على أطرافها من المعالم البارزة .

٢ - صفة الطريق

المسافر من ألخرما إلى رنية لا یطأ أرض حرة سبيع المشهورة ، ولا یطأ عرق سبيع الرملی وهو مشهور أيضاً . أما طریق القوافل والمنشأة فلینها تحترق الحرة من جنوبها إلى شمالها .

كانت استقامة سیرنا من ألخرما إلى رنية استقامة الجنوب مع میل خفیف بادئ الأمر إلى ناحیه الشرق ، وحينما یفارق المسافر نخیل ألخرما یدارى سلسلة من الهضاب القلیلة الارتفاع والمنتدة على ضفة الوادی الشرقیه برهة غیر قصیره إلى

أن يصل مقطع شعيب « أم ران » وهو من الشعبان الصغيرة التي تفيض في وادي سبيع . وتتغير طبيعة الأرض من سهلة ناعمة إلى سهلة حصباء إلى رملية إلى قاع رخو قد نثرت عليها حجارة من بقايا الحرة السوداء النخرة ، فجعلتها شبيهة بأرض الحرة إلا أنها ليست منها . وتقع حرة سبيع على يمين المسافر من الحرما إلى رنية .

وبعد نحو عشرة كيلومترات تبدأ أرض تسمى « الشقيق » إلى مسافة خمسة كيلومترات ، ثم تأتي أرض تختلف عنها اسمها أرض « القشاشة » ، وتختلف عن سابقتها بأنها رخوة ناعمة قد كسى سطحها بالطحاء والحصباء . ثم تأتي أرض « الجعدة » وطولها تسعة كيلومترات ، تشبه الحرة في شكلها وحجارتها وسواد لونها . وتأتي بعد ذلك أرض « أم الملح » ومنها يشاهد إلى جهة الغرب بقرب الأفق ضلعان هما : « الأسَّيَّان » ثم تتابع الأراضي بأسمائها المختلفة على الوجه الآتي :

كيلومتر	اسم الأرض
٣	دحلة المصابعة
٥	أرض شعيب البَذْرَى ، وبقربها ضلعا المسكر
٧.٥	وإلى الشرق ضلع عنيزة ، ثم جبل « تين »
٨	أرض المعاشير ، وبقربها ضلع الحميمة إلى الشرق
١٧	أرض « شعيب الناصفة » وبقربه ضلعان أبو السنون وضعيم واليعايم
١٥	أرض الشجرة
٥	أرض سَرْجُوج ، ويشاهد منها إلى الجنوب الشرقي من ضلع ضبع جبل مرتفع كالسنان اسمه غرمول
٥	أرض « ذليقان » ، وتقع جبال اليعايم إلى شرقيها
٧	أرض شعيب « مراخة » ، ومنها يشاهد « كراع حنجرات » إلى الغرب

ومما يجب الالتفات إليه أن الأرض في هذه الجهات تسمى بأسماء الضلعان والمضاب التي تجاورها . فلكل جبل أو هضبة اسم معلوم ، وشعيب يصنى مياه الأمطار المتساقطة ، وأرض محاذية تمتد بقدر امتداد الهضبة أو الجبل أو سلسلة الجبال . بعد أرض « المراحة » تبدأ أرض تعرف بأرض « شعيب الجزعة » بقرب درجة من الصخور قائمة وسط السهل ، وهذه الأرض تشبه الحرة في تكوينها . ثم تأتي إلى أرض « الأغر » ، وبعد مسير ١٥ كيلومتراً فيها تدخل الطريق بين منطقة جبلية وتصبح المضاب على الجانبين ، ولكن الفرجة تستمر في التناقص إلى أن تصبح صغيرة جداً حينما تصاقب الطريق جبل بضيع . ومتى وصل المسافر بضيماً علم أنه أصبح بقرب رنية . ومن هنا تشاهد جبال مختلفة تعرف باسم « الرزبزاء » و« الخراسيف » و« القُدوة » و« ورك منيرة » .

٣ — رَنِيَّة

لكل قرية أو بلاد علامة تدل على الاقتراب منها . فالسافر من مكة إلى الرياض يعلم أنه قد اقترب من المويه حينما يصل الحلة ، ومن الدفينة حينما يشاهد النهود ، ومن القاعية إذا شاهد ذريع وهكذا . وأما القادم إلى رنية فإنه يرى أمامه من بعيد منظراً عجيباً جداً هو أقرب ما يكون إلى منظر بلدة عظيمة ذات قلاع وأبراج ومآذن ومساجد ، ولكنها في الواقع مناظر الجبال والتلال التي تظهر في الأفق بأشكال بهيجة تنعكس عليها أشعة الشمس فتكسبها منظراً خلاباً يأخذ بمجامع القلوب ، وقد يكون للسراب وخداع البصر دخل عظيم في روعة المنظر وإكسابه ذلك الشكل المعرى الخلاب .

ويطلق أهل هذه البلاد على أما كن فيها أسماء غريبة مستهجنة يخجل السكاتب من تسميتها بالصراحة التي يستعملها أهلها . ويكثر في هذه الجهات استعمال جملة (طيب الاسم) ، يكونون بها عضو التأنيث . وهناك قرية في وادي شهران بجوار سوق خيس مشيط اسمها (طيب الاسم) ويسمونها أهلها (كيسان) . أما في رنية

فهناك كما ذكرنا (غرمول) ، وهناك (ذكر الخنمى) و (ورك منيرة) ، وهناك (الرزّزاء) و (طيب الاسم) . يذكرون الأسماء بالألفاظ المستهجنة ذكوراً وإناثاً بدون أى تكلف أو خجل .

لتسمية « . . . الخنمى وورك منيرة » قصة يتناقلونها فى رنية بدون استحياء : كانت امرأة من رنية ترعى غنمها بقرب الجبل الواقع إلى جنوبى الديرة ، وكانت هزيلة قليلة الشحم واللحم ، فتمنت على الله أن يمنحها الصحة والعافية بحيث يصبح كفلها كالجبل القريب منها ، فأطلق على الجبل اسم « ورك منيرة » صاحبة القصة . وكان يقرّبها رجل من خشم تمنى لو منح ذكراً كالجبل المستقيم كالسنان ، والواقع بقرب الورك ، فأطلق على هذا الجبل المحدد الشامخ اسم « . . . الخنمى » دون حياء .

تقع رنية أو بالأحرى البلدة الكبيرة فى رنية على أطراف الوادى المعروف باسمها والذى ينحدر من جهة الغرب والجنوب متجهاً إلى الشمال الشرقى . وتحيط الجبال بالبلدة — من بعيد — من جميع جهاتها ، حتى إن القادم من الشمال يضطر إلى ولوج فجوات عديدة بين الجبال إلى أن يصل الديرة .

والجالس أمام قصر الأمير ابن صامل — شريف من العبادل — يرى جبل « التَّعدُّوة » أمامه من جهة الشمال ، وجبل الورك والخنمى من الجنوب والجنوب الشرقى ، وسلسلة السلوخ إلى الشمال الغربى ، والمرّاشيف والسّوادة والفهدان من الغرب .

وقصر ابن صامل بنى على ربوة مشرفة على الوادى والسهل المحيط به فى منطقة متوسطة بين أسفل الوادى وعلاه . وتسمى البلدة التى فيها القصر (الحَزْم) وقرّبها بلدة (الرُّوقة) التى هى السوق .

بتنا ليلتنا عند جبل الرّزّزاء ، وكانت الليلة باردة ، فلجأ الرفاق إلى كهف طبيعى نصبوا الخيام عند مدخله .

٤ — وادى رَنِيَّة

كان يجب أن يطلق اسم (وادى سبيع) على (وادى رنية) لأنه ملك لسبيع من منبعه في بلاد غامد إلى مصبه في رَغْوَة ، على حين أن الوادى المعروف باسم وادى سبيع هو القسم الأخير من امتداد وادى تربة بعد دخوله في حدود بلاد سبيع كما مر في فصل سابق .

يتألف وادى رنية من مجموعة من الشعيان تنشأ في بلاد غامد في السراة الحجازية وهو أحد الأودية الستة التي ذكرناها في الفصل الأول . ويتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، وكان يظن أنه ينتهى في وادى الدواسر ، والواقع أنه ينتهى في عرق الدواسر ولا يتصل بالوادى نفسه .

وتقوم على أطراف الوادى المزارع وحدائق النخيل والقصور والقرى إلى مسافات بعيدة ، ولكن أكثر العمران فيه يبدأ من حين دخوله في بلاد سبيع ، والقرى الواقعة على الوادى متقاربة متصلة ، يرى الإنسان إحداها من الأخرى ، إلا أن أعظمها وأهمها ما كان واقعا عند منتصفه حيث يأخذ الشعيب أقصى اتساعه وحيث تكون الأراضي الواقعة على أطرافه أخصب وأصلح للزراعة والفلاحة .

علو الوادى عند ماء (ثَرَاد) في ديرة غامد . ومن منبعه إلى حين دخوله في أراضي سبيع هو خال من القرى ، ولكنه لا يخلو من مياه أهمها (ثراد) ثم (العقيق) وهو ماء ونخيل لغامد ثم للشوَّرة ، وهو ماء لغامد تجاوره مزارع ، وهذه هي أسماء المياه والقرى الواقعة على الوادى بعد دخوله في أرض قبيلة سبيع :

الصغيرية ، للصَّيدة ، عين أبى مليح ، الملاح . كلها مياه لسبيع ، وقد يكون بقربها مزارع وعثارى .

الخفيفة : ماء ، وبقربها نخيل ينزله الشواوى من شمران وسبيع .

المفسرة : ماء ، وفيه نخيل وقصور .

الفجانة : مزارع ومياه ، ولا نخيل فيها .

الأملح : وهو أول العمران في وادي رنية من جهة الجنوب الغربي ، وهو ملتقى طرق القوافل بين الخرماء ورنية وبيشة .

الحَجَف : قرية ونخيل .

الجُرْمِيَّة : » »

الضُرْم : تتألف من خمس قرى متلاصقة ومزارع شتوية هي : اللّوى ، قرّة ، الظهيرة ، حوَيْد ، مقابل .

كويكد : قرية ونخيل .

ملهى : » »

الخرم : وهي بلدة الحكم ، وفيها قصر ابن صامل

الروضة : وهي السوق الأسبوعية .

الدعيكة : قرية ونخيل .

المساورة

العطف

المداهل

العاير : وهي قرية ونخيل للشميسات من سبيع ، وهي آخر العمران من جهة الشمال الشرقى .

وبعد هذه القرى توجد مياه يردها الرعاة وهي : الرّج ، المنشة ، رَغوة ، جَرِيد في بلاد الدواسر ، وماء الوغدية وظاعن حيث يختفى في عرق وادي الدواسر عند هجلة الختمية .

ويفيض في وادي رنية من اليمن شعيب البَحْرة ، ومن الجهة اليسرى شعيب عَثْران عند الأملح وشعيب قرّة عند بلاد الضُّرم .

معيشة أهل رنية بسيطة هادئة . هم زراع بالطبع ، وأهم زراعتهم الفخيل والحبوب ، وهم بعدُ أهل ماشية وجمال ، وعندما ذوق في صناعة النسيج الصوفي الخاص بالأخربة والمهينات . وهم وأبناء عمومته في الخرماء متفقون ضد أعدائهم الكثيرين في كل

أطرافهم ، ولكنهم في رنية أبعد من غيرهم عن الفتن والحروب . وقد رأينا في المنازعات التي قامت بين الأشراف والإخوان أن سبع من أهل الخorma وجيرانهم من البقوم قد حملوا القسط الأكبر منها ، أما أهل رنية فكانوا يفزعون وقت الحاجة فقط .

ويقع معظم العمران على الجانب الشمالى الغربى للوady ، والاجتياز من جانب إلى آخر يستلزم قطع المفازة الرملية في بطن الوady أو بالقرب منه ، وكثيراً ما تفرز السيارات — وبالأخص الثقيلة منها — في رماله ولا يمكن إخراجها إلا بمد عناء شديد ، وهذا هو السبب في أن أكثر السيارات تفضل السير مع الضفة الشمالية الغربية إلى مسافة بضعة كيلومترات غرباً حتى تدور من جوار قرى الصرم الأربع في علو الوady ، ومع ذلك لا نسلم من التغيريز .

حينما رجعنا من أبها ، كانت الأمطار غائمة والرمال متماسكة ، فسلطنا بطن الشعيب أمام قرية الحزم ، واخترقنا المسافة اختصاراً ، فوجدنا الفرق بين الطريقين عظيماً يتجاوز بضعة عشر كيلومتراً .

مما يؤسف له أن حالة هذه البلاد الاجتماعية كحالة سائر البلدان المنعزلة عن العمران ، لا تفكر في غير معيشتها المادية اليومية ، وليست لها آمال أو أمانى بعيدة . يستغلون الأرض بعد حرثها ، ويزرعون النخيل ، وينتظرون لقاء الله في الآخرة . ومن هنا نشأ عدم اهتمامهم بالتغيير والتجديد .

ونساء هذه البلاد في معاشهن مثل نساء بلاد الطائف ، وإن كنَّ إلى البداوة أقرب ، ويشعر المسافر بالفرق بين أحوال النساء في هذه الجهة وبينها في عسير بمجرد وصوله إلى بلاد « خير » في منتصف بلاد شهران ، ومنتصف النساء وأزياءهن في موضعه إن شاء الله .

والمسافة من الخorma إلى قصر ابن صامل في قرية الحزم ١٤٧ كيلومتراً ، وحينما بقنا في الزيزاء كانت درجة الحرارة ٦٠ بمقياس فهرنهايت ، وهبطت في الصباح المبكر إلى ٤٨ درجة .

الفصل السادس

وادی بيشة

على طريق بيشة — وادی بيشة وأقسامه — رواند بيشة — قبائل بيشة — فى بيشة

١ — على طريق بيشة

سرنا من رنية ضحى يوم الجمعة الواقع فى ١٧ شوال ١٣٥٢ (٢ فبراير سنة ١٩٣٤) بعد أن أخذنا كفاية سيارتنا من البنزين ، فى طريق طويلة إلى جهة مرتفع الوادى حتى وصلنا قرى الضُرم ، وهنا كان علينا اجتياز مجرى الشيب الرملى ، وتحترق الطريق أعلى الضُرم ثم تنساب جنوباً على محاذاة سلسلة من الجبال تمتد غرباً من الشمال إلى الجنوب ، وفيها قنن وهضاب مرتفعة تسمى على الترتيب : صَوْلَة — العَوَيْن — الكُرشَاء والحِصَان — والجمَاء . وإلى يسار المسافر سهل منبسّط ممتد إلى جهة قرية الرُوقَة وما وراءها من جبال المسلوخ . وهضبة الجمَاء تقع بين « ... الخثعمى » وورك منيرة ، ويبعد الخثعمى عن الضُرم مسافة ٣٠ كيلومتراً إلى الجنوب .

وللأرض التى تخترقها الطريق كما للتلال والهضاب أسماء لا أريد أن أنعب القارئ بذكرها ، بل أكتفى بذكر المهم البارز منها أو ما كانت له صفة خاصة كجبل (طيب الاسم) الذى يتألف من هضبتين تسمى إحداهما « حفير » والأخرى « شفير » . وبعد اجتياز هذا الجبل بمسافة بضعة كيلومترات يشاهد المرء أمامه وعلى يساره (شرقه) عرقاً من الرمال البيضاء هو عرق (حضران) الذى يبدأ فى مكان اسمه « الحفرة » وهو ملتقى العرق الرملى والضلع الأسود .

ويرافق العرق الطريق مسافة أربعة كيلومترات ، ثم ينقطع بقرب « الحيمة » وهو هضبة سوداء تفصل الرمل عن السهل وتمنعه من الطغيان على الطريق ، وهذه الهضبة فريدة فى سوادها الفاحم الذى لا يشبهها فيه شيء مما يجاورها .

وحينا يصل المسافر إلى بئر الجاهلية يكون قد قطع من رنية مسافة ٥٦ كيلومتراً .
كان رفيقنا هذا اليوم رجلاً من أهل الضُرم خبيراً بالأرض عارفاً بأسماء الجبال
والأودية ، فلم يترك شاردة ولا واردة . وقد ذكر لنا طرقاً من قصص أهل هذه البلاد
منها ما هو من قصص الزير وأبي زيد الهلالي والسلطان حسن ، ومنها ما هو مقتبس
ومنسوب إلى رجال معاصرين .

وحينا سرنا من بئر الجاهلية اجتزنا بضعة كيلومترات من الأرض السهلة المحاطة
بالجبال من بعيد ، وهى أرض يكثر فيها الظبي ، فصادفنا ثلاثة طاردها برهة حتى
اصطدنا أحدها . وقص علينا دليلنا طريقة صيد البدو للظباء قال : « إن البدوى
الماهر يأتى الظبي من الجهة المضادة لمهب الريح حتى لا يشعر الحيوان بريحه فيستنكرها
ويفر منه ، فإذا تلفت الظبي إلى ورائه ليُشاهد هل هناك من يطارده وقف البدوى
فى مكانه كأنه جمد مستقر ، فيطمئن الظبي ويشرع فى الرعى ، فيتقدم الصياد البدوى
إذ ذاك مسافة أخرى ، فإن اتبته له الظبي توقف كأنه جمد لا يتحرك ، وهكذا دواليك
حتى يصبح على مسافة رمية منه فيرميه ببندقيته » . والبدوى مقتصد محتاط لا يسرف
فى إطلاق الرصاص على طريده .

مشينا من أرض السليل إلى أرض العريض وطولها سبعة كيلومترات ، ثم دخلنا
أرض « حيم » وطولها كيلومتراين ، ثم أرض الشميط ، ثم أرض الخاوى حيث
ضلع « منيظير » الذى قِيلنا بجواره للعداء .

سرنا بعد العداء كيلومترات قليلة فوصلنا أرض « دحلة المعاز » ، ويقع إلى يمينها
ضلع صغير وإلى يسارها خشوم بنى رثفان ، والمسافة بين الضلعان الثينى والبسرى
حوالى كيلومتر ونصف .

تدخل الطريق بعد ذلك فى أرض النعام ثم أرض الحبل ، وهنا تضيق الفرجة
بين الجبال ، فتصبح الطريق هى مسيل الوادى المسمى بالسوادة إلى مسافة سبعة
كيلومترات ، ثم تصل إلى هضاب بنى رثفان ، وترى وراءها سلسلة جبال عظيمة

تسمى « الجفر » ، ثم تصل الطريق إلى أرض صعبة تشبه أرض الحرّة وتمتد مسافة ستة كيلومترات .

ذكرت أن دليلنا كان ظريفاً خبيراً ، فكنا نلتقط منه أقوالا ندل على خفة الروح وتصوير الوقائع بالأمثال ، حينما اقتربنا من ييشة قال الدليل إنها ييشتان : ييشة القمح وهى علو الوادى فى بلاد قحطان وشهران ، وييشة النخل المعروفة فى كتب العرب باسم ييشة عبطان . ويتمثل البدو بقى ييشة بقولهم : « لو أن مع ييشة ييشة لسابت العيشة » يقصدون بذلك كثرة خيرات وادى ييشة وخصبه وغناه .

وأخبرنا الدليل أن ديرة سبيع تنتهى عند ضلعان بنى رفان فى أرض الذهاب ، وتبدأ من هنا ديرة أكّلب من قبائل ييشة .

تمرّ الطريق فى أراضي النَّفَخَة و بطن ذى خَشي وأرض الشَّديدة التى يشاهد منها جبل « جُعمور » وهو الدليل الذى يهتدى به فى الوصول إلى ييشة ، وجبل جعمور هذا كثير الشبه بجبل النور فى أعلى مكة من حيث شكله وارتفاعه وبرزوه عن الجبال المجاورة له .

وكما قربنا من جعمور تغيّرت طبيعة الأرض المسماة بأرض الحونة ، ثم يزيد هذا الاختلاف حين تنبسط أمامنا السهول المحتوية على شجر الحوض والفضى وشجر آخر أكبر من الفضى ما كنت شاهدته اسمه « تَنْضُب » . وهذه الأرض على كثرة شجرها وعرة كثيرة الجفر والأقواز الرملية والتماريج ، ومنها يشاهد النخيل فى وادى ييشة فى متسع رملى عظيم .

حينما يقترب المسافر من الوادى يكون قريباً من نخيل الجيرة فى أسفل وادى ييشة ، وتكون المسافة التى قطعها من رنية ١٦٨ كيلومتراً .

وبعد قرية الجيرة بمسافة نصف كيلومتر تقريباً تبدأ السيارة بإجتياز الوادى الذى يبلغ عرضه فى هذا المكان أكثر من نصف كيلومتر ، ويمتد متتى الرمل الواقع على ضفتيه مسافة أخرى بحيث يمكن اعتبار مجرى الوادى قرابة كيلومترين ، إلا أن

هذا لا يغطيه الماء إلا نادراً حينما يكون السيل عظيماً جداً ، والغالب أن الوادى ينقسم هنا إلى مجرىين شمالى وجنوبى . وهذا هو السبب فى كون المجرى عريضاً هذا العرض .

وصلنا قصر الحكومة فى قرية الروشن مركز بيشة بعد مسيرة ١٧٦ كيلومتراً من رنية .

٢ — وادى بيشة

ربما كان وادى بيشة أكبر الأودية الستة وأطولها ، فإنه ينبع من سفوح سراة عبيدة من قحطان إلى الشرق الجنوبى من جبال عسير ، وتجتمع فيه أكثر مياه جبال عسير وشهران وقحطان . قلنا أكثر لأن هناك وادياً آخر يصبى قسماً من مياه تلك البلاد وهو وادى تثليث .

يبدأ وادى بيشة كما ذكرنا من سراة عبيدة ورُقَيْدَة ، وكانت تقوم عند مبدئه قرية عظيمة لم يبق منها إلا أطلال وخرائب ، هى بلدة جُرَش الوارد ذكرها فى كثير من كتب العرب ، ثمَّ يقطع هذا الوادى حدود بلاد قحطان حيث يكون اسمه « بيشة ابن سالم » أحد زعماء قحطان ، ويدخل فى ديرة قبيلة شهران ، ويمر من مكان تقوم على أطرافه قرى شهران ومنها خيس مشيط ، وبعد أن يجتازها بقليل نصب فيه أودية فرعية غير أنها غاية فى الكبر والأهمية ، منها وادى « تَنْدَحَة » ووادى « أبها » المسمى « خَيْبِي » ، ويسمى عندئذ (أى بعد انصباب وادى أبها فيه) وادى « ابن هشبل » أو وادى « شهران » . أما بعد أن يجتاز وادى بيشة بلاد شهران التابعة لابن مشيط وشهران التابعة لابن هشبل عند المكان المسمى « واعر » والمعتبر فى الواقع أول وادى بيشة ، فيسمى الوادى « بيشة الفخل » أو « بيشة عبطان » المعروفة فى كتب العرب ^(١) .

(١) ذكر الأمير سعيد بن مشيط أن وادى بيشة يقسم ثلاثة أقسام : بيشة ابن سالم ، وبيشة ابن مشيط ، وبيشة الفخل .

فالقسم المرتفع من الوادى إلى جهة منبعه لا يمكن زراعة النخيل فيه ، بل إن سكان تلك الأطراف يعتمدون في حياتهم على زراعة الحبوب ، ولذلك سمي « بيشة القمح » كما أسلفنا . واعتباراً من واعر يكون الإقليم معتدلاً وصالحاً لزراعة النخيل فيسمى الوادى عندئذ « بيشة النخل » . وسنذكر تفاصيل الأودية والشعبان التي تصب في أعلى الوادى حين تفصيلنا لبلاد شهران وبلاد عسير وقحطان ، وسنكتفي هنا بذكر بيشة النخل .

تقوم على أطراف الوادى اعتباراً من واعر إحدى وعشرون قرية يتراوح عدد سكانها بين أربعين وخمسين ألف نسمة . وهذه أسماء القرى متبعين في ذكرها مجرى الوادى من أعلاه إلى مصبه :

- | | |
|---|--|
| ١ — واعر | ١١ — الحمة |
| ٢ — الحيفة | ١٢ — الحريرة |
| ٣ — المدرة | ١٣ — الدحو |
| ٤ — الباقرة | ١٤ — الدبلى |
| ٥ — نمران ، وهي محل سوق الخيس | ١٥ — السقية |
| ٦ — الروشن ، وهي مركز الحكومة ومقر الأمير ومحل سوق الأربعاء | ١٦ — الدوار |
| ٧ — روشن المهدي | ١٧ — الرقطة |
| ٨ — النيفضة | ١٨ — النقيع |
| ٩ — أبا الشوك | ١٩ — الخرسة |
| ١٠ — الصبيحي | ٢٠ — الشقيقة |
| | ٢١ — الجنينة ، وهي منتهى العمران والنخيل . |

ويمتد الوادى في مسيره إلى أن يلتقى بوادى رنية في « رغوّة » ، ويفوران معاً في « المَهْمَل » عند « ظاعن » .

أسد تبالة وأسد تَرْج وبيشة وأسد عَتود . فأما تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نجد ، ولا يكون بها أسد ولم يكن ، وإنما تريد العرب أسود بَيْش ويزيدون فيه الهاء^(١) فيقولون بيشة بفتح الباء ، وهي مواضع الأسد « وبيشة بعتان » فهي بكسر الباء ، وقيل بل أرادوا بيشة نجد ، وأن رؤوس هذه الأعراض من أعلى السراة منها ما ينحدر إلى نجد ومنها ما ينحدر إلى تهامة ، فما انحدر إلى تهامة فالأسد فيه ولهذا الجوار نسبوها إلى هذه الأعراض ، وربما قد طلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطعاً من بلدة فمات فيها ، فلعل أول من نسب الأسد إلى هذه المواضع عين الواحد والزوج في بعض هذه الأودية .

وينسب إلى تبالة بيت « ذو الخلصة » وهو من الأصنام التي كانت العرب تعظمها في جاهليتها^(٢) .

وهي واقعة على طريق الحج من صنعاء إلى مكة ، وفيها آبار عذبة ذكرها شعراء العرب وكتّابهم ، ولكنها في زماننا الحاضر بلاد فقيرة ، وفيها من القرى ١١ قرية منها : أربع لفرقة المصعبين من خشم قبل أن يتغير اسم الوادي فيصبح « وادي الثنية » وهي : (١) السو (٢) الهضبة (٣) واسط (٤) القوز . وسبع في وادي الثنية وهي : (١) الجبارين (٢) الفدنة (٣) الخرب (٤) خريب السوق (٥) مصر (٦) القوزية (٧) الشديق .

وأما سكان الوادي فهم كما ذكرنا من خشم ، ويقسمون أربعة أقسام :

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) المصعبين | (٣) البطّنين |
| (٢) بنو خنّاس | (٤) بنو واس |

ثالثاً : وادي هرجاب من الأودية العظيمة في بلاد شهران ، وينبع من أعلى السراة فيصفي مياه الأمطار في قسم كبير من بلاد شهران . ويقطعه طريق بيشة إلى

(١) وادي بيش في تهامة عسير .

(٢) انظر بحث ذو الخلصة في كتاب تاريخ مكة للأزرق طبعة مكة بتعليق الأستاذ رشدي ماحس

خمس مشيط في موضعين : الأول على بعد ٢٧ كيلومتراً من بيشة ، والثاني بعد ارتقاء الجبال قرب خير على بعد ١٣٣ كيلومتراً من بيشة . ويصب هرجاب في وادي بيشة بقرب الحيفة ، وليس على أطراف هذا الوادي سوى قريتين في السهل القريب من منبعه ، وهما قريتا الخضرا والعاير .

رابعاً : وادي بطنة . وهو يصب في وادي بيشة فوق واعر بقليل ، ومنبعه من بلاد غامد .

٤ — قبائل بيشة

في بيشة عدد من القبائل المتحالفة نذكرها فيما يلي :
أولاً : قبيلة أكّاب . ويبلغ عدد محاربيها نحو ألف رجل وتقسّم إلى بطنين : الأول : عامر . وفيه من الأقسام خمسة : للزائدة ، الجنبية ، الجبيرة ، آل منيع ، ابن عطبان .

والثاني : المخنف . وفيه من الأقسام أربعة : بنو هزر ، آل سحرة ، بنو سعد ، الجياهيّن .

ثانياً : قبيلة شهران . هؤلاء هم قسم من شهران الذين تمتد بلادهم على أطراف وادي بيشة من منبعه إلى مصبه ، وهم كثيرون العدد والعدة ، وأقسامهم ستة : بنو واهب ، بنو منبة ، الحلف ، الرّمثين . الحنارشة ، آل السّد .
وبمناسبة ذكر شهران لا نرى بأساً من ذكر أقسامها الرئيسية التسعة التابعة لصير (أي بلاد ابن هشيل وابن مشيط) وهي :

(١) آل زُشَيْد . وكبيرهم : ابن مشيط وأبو ملحّة

(٢) آل غمر .

(٣) ناكس . وفيهم خمس بدائد : بنو علي ، المزارقة ، بنو صفيّر ،

كل الذئب ، حوز .

(٤) كَوْد .

(٥) بنو بَجَاد .

(٦) بنو وَاهِب .

(٧) آل سِرْحَان .

(٨) بنو رَشْحَة .

(٩) آل يَنْفَع .

ويقيم شهران في الشعف : بنو مالك (أَبْنُو مَلِك) ، والقرعا ، وابن جابرة ،
والمسقى . كما يتبعهم في تهامة فرع الجهمرة .

أما القرى التابعة لكافة شهران فسندكرها في موضع آخر .

ثالثاً : قبيلة بلحرث^(١) قريبة من وادي تَرْج ، وتقسم قسمين :

الأول : الخشامرة ، ومنهم أربع بدائد : العُرْمَة ، آل الصَّعَّة ، الشَّحُوف ،
آل عيسى .

والثاني : آل خالد ، ومنهم سبع بدائد : الحُرْشَة ، الحُرْمَة ، القَمَلَة ، البطلان ،
آل الربيع ، الحراملة ، آل مرير .

رابعاً : قبيلة خثم . هم أهل قرى ومزارع ، ويقسمون إلى فرق أهمها :
بنو ميمون ، ابن عيدان ، أهل دِمَة ، أهل باشوت ، آل مرّة ، السروان ،
المزارقة ، السلطان .

ومن خثم أقسام في تهامة هي : المنتشر ، العوامر ، بنو سهم .

كنت دونت هذه المعلومات عن خثم في رحلتي إلى « أبها » ، وكانت هذه
القبيلة تابعة آنئذ لإمارة بيشة ، ولسكنها أتبعث منذ نحو سنتين إلى إمارة سراة
الحجاز المسماة بنامد وزهران ، فكتب أميرها تركي بن ماضي عن أقسامها ما يأتي :
الحضر من « خثم » هم :

(١) هم من الثلاثة . وتوجد قبيلة أخرى باسم بلحرث ذكرناها في كتابنا « قلب جزيرة
العرب » ص ٦٣٨ . وبعضهم يخلط بين القبيلتين .

(١) بنو ميمون

(٢) أهل القوكة

(٣) أهل الهطبة .

وأما البادية فهم :

(١) بنو داس

(٢) القزح .

خامساً : قبيلة بالقرن . هم أهل قرى ما عدا الصهب من دحيم فإنهم على البداوة ، وأقسامها ستة : دحيم ، آل مشيب ، بنو رزق ، آل سليمان ، آل الحميد ، آل كثير .

سادساً : قبيلة شمران . منها فرق تقيم في تهامة ، غير أن لها أقساماً في ديار ييشة هي : العبوس ، سحب ، آل مبارك .

٥ - في ييشة

أقننا في ييشة يوماً وبعض اليوم ، وتجولنا في أطرافها ، وزرنا بعض أعيانها ، ودرسنا أحوالها ، وجمعنا ما يلزمنا من معلومات وأرصاء عنها . وبيشة — بموقعها الطبيعي وخصب تربتها وتنوع إقليمها وكونها متوسطة بين عسير والحجاز والدواسر ونجد — ذات أهمية من الناحيتين الاستراتيجية والمواصلات . وقد كانت دائماً مركزاً هاماً للحشد العسكري الذي يساق من نجد إلى جهات عسير واليمن . وقد لعبت دوراً عظيماً في بلاد شمران وعسير أوائل زحف حركة الإخوان من نجد . وكان الغزو الأول الذي توجه بقيادة الأمير « ابن مساعد » لفتح عسير مؤلفاً من أهل ييشة علاوة على أهل نجد .

ويبلغ سكان وادي ييشة نحو ستين ألفاً . والجهاد المفروض عليهم في الدرجة الأولى يبلغ ١٥٠٠ مقاتل .

وأما درجة الحرارة يوم مرورنا منها فكانت ٧٤ درجة فهرنهايت عصراً و ٧٠

درجة فهرنهايت صباحاً ، وتشتد درجة الحرارة في أيام الصيف اشتداداً عظيماً ، ولولا ذلك لما كانت زراعة النخيل فيها موفقة ناجحة . وقد قلت مياه الآبار بسبب عدم فيضان الوادى منذ سنوات . أما الدنين التى تكثر فيها الأمطار ويجرى فيها الوادى تبعاً لذلك فإنها تكون سنين خير وبركة .

والصناعات فى بيشة بدائية ، وما هى إلا دبغ الجلود وصنع سرج الخيل والإبل ونسج النسيج الصوفى الجاف الخشن ، مما يستعمل فى صنع الأبسة أو الأخرجة . والبيوت فى بيشة تؤلف عادة من طبتين ، وتحاط بأسوار فى منتصفها أبواب كبيرة تتسع لدخول الجال بأحمالها . وقد شاهدنا بعض البيوت الكبيرة ذات الجدران المرتفعة تحترق سقوفها كوى لتصريف الدخان ، إذ أن النار توقد وسط البيوت للتدفئة وعمل القهوة والشاى .

أما طراز المعيشة فى بيشة فقد تحول تحولاً محسوساً واختلف عما عهدناه فى الحجاز وفى بادية الطائف • ومع أن العادات قريبة من عادات أهل نجد غير أنها لا تتفق معها تماماً ، كما أنها لا تشبه عادات عسير وشمران التى سنوضحها فى الفصول الآتية . شرب الشاى والقهوة ثم تقديم المَجْمَر يحترق فيه عود النَّد أو خشبة الإذخر التى تكثر فى البرية قاعدة عامة شاملة ، ويزيد أهل بيشة على ذلك تقديم النواشف من التمر وغيره للضيوف الممتازين . وهذا التفرد فى العادات ناشئ على الأكثر من وقوع بيشة على طريق القوافل الرئيسية التاريخية فى جزيرة العرب ، فهى ملتقى هذه الطرق أو الحاجز المتجه من اليمن وحضرموت وعمان ووادى الدواسر وعسير والحجاز ونجد . وفى القديم عرفت بيشة بأنها المعبر الذى دخل منه الأحباش فى طريقهم إلى مكة عام الفيل . وتوجد بالقرب من بيشة كتابة باللغة الحميرية القديمة تشبه الكتابة المنقوشة على صخرة فى ربع الزلالة بقرب السيل بالحجاز بينها وبين السيل الصغير على طريق الطائف للجمال . وقد جرت العادة بتسمية درب الجيش الحبشى بدرب الفيل ، لأن الفيلة والجمال معاً تعجز عن سلوك طريق السراة فتتركها إلى الغرب وتسير فى الطريق الشرقى السهل الذى يمر من بيشة .

تزودنا من « يشة » بالبنزين اللازم لسياراتنا ، وهى المحطة الأخيرة قبل خميس مشيط . وقدم لنا الأمير دليلاً من رجاله من شهران ، خبيراً بالطريق والأرض والجبال والقبائل ، لمرافقتنا إلى الخميس .

وقبل مسيرنا وقمت لرفيقنا المهندس « كنعان » قصة مسلية ، مازلنا نلزمه بها إلى يومنا هذا : انتهى كنعان كلوة الذبيحة . وأهل يشة لا يبذلون كبير عناية فى طهو الخراف ، وكانت النتيجة أن تناول كنعان قطعة من الذبيحة لا يجوز أكلها ظناً منه أنها الكلوة ، فكانت فرصة للرفاق يتسلون فيها بمشاكاة كنعان وتعييره .

الفصل السابع

بلاد شهران

في طريق الجهس — بلاد خير — بين خير وتندحة — وادى تندحة — خيس شيط
الأسواق الأسبوعية — قرى الوادى — السغور والزواج

١ — في طريق خميس مشيط

غادرنا قصر الروشن ، دار الحكومة في بيشة ، صباح يوم السبت الواقع في ١٨
شوال ١٣٥٢ (٣ فبراير ١٩٣٤) ، وخلصنا سوق « نمران » عن يميننا ، واتجهنا نحو
الجنوب تنهب بنا السيارات الأرض نهباً . وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات وصلنا إلى
ضلع اسمه « قرن الحديد » سرنا معه كيلومترين آخرين ، وكنا نشاهد من ورائه
جبال « الشبلاء » . ثم دخلنا في أرض اسمها « المتن » يطل عليها « أبرق المنقاد »
وفي مؤخرته ضلع « العيرة البيضاء » فالجرأ . وأرض « المتن » هذه سهلة رملية
تجانبها الجبال من شرقها وغربها ، وعرضها حوالى ثلاثة كيلومترات ، وسرنا فيها
من الشمال إلى الجنوب مسافة ١٤ كيلومتراً . وكنا كلما اتجهنا إلى الجنوب ضاقت
بنا الفرجة بين الجبال وتشتعت بما يكثُر فيها من الشجر ، حتى نصل إلى ضليعات
صغيرة تنسج بعدها الأرض مرة أخرى وتقوم إلى يمينها (غربها) سلسلة « لبت »
ومن دونها « جرياش » ومن ورائها « غرابة » . ويكون إلى جهة المشرق في الأفق
« اللَّبن » و « القرين » وهضاب « بنى منبة » .

وبعد اجتيازنا لأرض المتن دخلنا أرض « الحُبُوب » ، نباتها السَّمر ، وطينتها
رخوة رخصة ، تغرز فيها السيارات ، يخترقها وادى « هرجاب » عند جبل « مِرْيَاش »
الذى يقوم كالحارس الرقيب على الوادى العظيم .

وبعد أرض الحُبُوب تأتى أرض « الحزّة » التى يرافقتها « مِرْيَاش » من

غربها برهة قصيرة، ثم ينتهي «سراش» قبل أن تبلغ شعيبا اسمه شعيب «رنوم» على بعد حوالي كيلومترين ونصف متر.

ويشاهد المسافر من وسط أرض الحزّة سلسلة من الجبال إلى جهة الغرب تعرف باسم «الشراة»، وهى السلسلة الموازية لسراة الحجاز وعسير المرتفعة. والجبال فى هذه المنطقة كثيرة، بذل دليلنا جهده لتسميتها لنا وتعريفنا بحدودها من مبتدأها إلى منتهاها، غير أنى لن أتعب القارىء بذكرها هنا.

وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات من رنوم تبدأ أرض جديدة، مماها الدليل باسم «صهى» وهى مجرى واد محصور بين جبال الشراة من الغرب وضلعان وهضاب مختلفة من الشرق، وبعد أن نسير فيها مسافة كيلومترين نصل إلى الشعيب المسمى باسمها ونرافقه على ضفتيه مسافة غير قصيرة. وقد شبت أرض صهى هذه بطريق مكة — الطائف من حيث وعورتها وكونها فى واد يرتفع كلما تقدمنا فيه، إلى أن نصل بعد مسيرة خمسة كيلومترات إلى عقبة نرقاها وتتحول منها إلى أرض مستوية مسافة كيلومتر واحد، ثم نعتلى عقبة أخرى. ويستغرق قطع أرض صهى من أولها إلى آخرها مسيرة عشرة كيلومترات، حيث نفارق شعيب صهى ونسير فى واد آخر اسمه «وادی الميثاء» وهو ذو رمل أبيض خال من الحجارة والصخور. وتشبه الأرض هنا طبيعة الأرض الواقعة بين السيل والربع الكبير (ذات عرق) على طريق مكة — الطائف.

ندخل بعد ذلك أرض «جلالة». وهى سهب مرتفع، بقربه تلال وركام صخرية كالطرار، وبعد أن نسير فيها خمسة كيلومترات نصل إلى مكان يسمى «هضبة البئر» التى يمر بقربها شعيب جلالة. وبعد مسيرة كيلومترين ونصف متر عن الشعيب المذكور نصل إلى بئر غزيرة المياه، عمقها سبعة أمتار، تتجاورها صخور ملساء، نقشت عليها نقوش كثيرة، قد يخالها المرء كتابة هيروغليفية أو حجرية، غير أنها فى الواقع أوسام الإبل وأوسام أخرى لامتعى لها، وهذه البئر اسمها «بئر ابن سرار»

وبعد كيلومترين من البئر تقطع شعيبا اسمه « تلّاع » ، ثم ندخل فى أرض « الحدبة » التى تبدأ على بعد مسافة ستة كيلومترات من البئر ، وهى أرض محاطة بهضاب حجرية ملساء اسمها « الصمع » وهى بطبيعتها مشابهة لأرض « الجثامية » و « الجذيرة » بين « الربيع » و « أم الحض » على طريق الطائف . وتشاهد من هذه الأرض هضاب متعددة مثل : نجرة ، وحقالة ، وثعدة ، الواقعة بقرب قرية : العمار ، على وادى « هرجاب » . وترى أيضا أبارق العالة ، ورفضة ، والحصير ، وسيفان ، والصندب . ذوات اللون الأبيض الناصع الذى يميزها عما حولها من هضاب ومرتفعات ، وتمتد أرض الحدبة إلى مسافة ١٢ كيلومترا .

وتبدأ بعد ذلك أرض « السرين » ، السوداء اللون ، الممتدة إلى مسافة تسعة كيلومترات .

ثم تأتى بعد ذلك « كتنة » وهى أرض وواد مشهور فى كتب العرب ، تمشى السيارة فيه من أسفل إلى جهة منبعه عشرين كيلومترا فى ملتويات ومنحنيات تحيط بها الجبال من كل جانب ، وتقوم على أطراف وادى كتنة جبال مشهورة مثل ضلع « قرن الوشيل » وضلع « ربة » و « ابن سرار » . والسير فى الوادى يكون صعبا حتى نصل إلى ضور بنى منبه ، لأن الطريق صعد . وضور بنى منبه ضلع صخرى أملس يقع على يمين الصاعد على الطريق ، ويمتد إلى مسافة كيلومترين . وحين مفارقة الضور نصل إلى عقبة صعبة المرتقى عسيرته ، ولسكنا رقيناها بدون أى حادث ، وحوّلنا السير من جهتها الجنوبية الغربية إلى « وادى قرن الوشيل » ، فنضطر إلى ارتقاء عقبة ثانية ، ثم بعد كيلومتر آخر عقبة ثالثة غير أنها أقل انحدارا من الأولى .

دخلنا بعد ذلك أرض « الخلائل » التى بلغ ارتفاعها أعظم ما وصلنا إليه حتى الآن فى الرحلة ، إذ سجل البارومتر هنا علواً قدره ٧١٠٠ قدم . وأما أرض الخلائل فإنها سهلة كثيرة العشب والمرعى ، قد يتخذها بنو واهب من شمران حى لمواشيهم ، وتقوم إلى شرقها سلسلة « الحصاصة » . وقد شاهدنا فى هذه المنطقة رتلا من الظباء

طاردناها فلجأت إلى الجبال الصخرية فلم تتمكن منها . وأذكر أننا في عودتنا شاهدنا فيها نوعاً من الحبارى الجديية صدنا بعضها . وتمتد أرض الخلائل مسافة ١٩ كيلومتراً ثم نبدأ بالتصعيد مسافة كيلومترين حيث أطل على مجرى وادي «هرجاب» الذي قطعنا قسمه الأسفل في الصباح . وكانت الشمس قد قاربت الغيب ، والسيارات الصغيرة لم تكن قد لحقت بنا ، فقررنا المبيت في هذا المكان .

حياة البرية لذيذة مبهجة ، لاسيما متى كان المسافر مستعداً لها أو معتاداً إياها . وكانت معيشتنا في سفرنا الحالى سائرة على وتيرة واحدة من الترتيب والنظام ، غير أننا — بسبب مبيتنا ثلاث ليال في الحرما ورنية وبشة — لم نتمكن من الاستمتاع بحياة البرية الهادئة إلا ليلية مبيتنا في «هرجاب» . نصب الرفاق الخيام ، وأرسلوا الدليل في مشرتى ذبيحة لعشائهم ، وانتشروا أكثرهم يجمع الحطب استعداداً لهذه الليلة الباردة القمرية ، وسمرنا إلى ساعة متأخرة من الليل مع ضيوف جمعهم نار القري ، فكنا نسمع أحادث الصحاوى والشهرانى والعسيرة والنجدى والحجازى ، وامتزجت النفوس وطاب السهر ، فهب الرفاق إلى جذوع أشجار ضخمة فاقتلموها وجروها ، مقدين بذلك فلة الأمير فيصل ليلة الربوة في أرض « الجديرة »

أفقتنا في الصباح نشطين أقوياء ، فرفعنا متاعنا ، وانسابت بناسياراتنا تاركة وادي «هرجاب» إلى الشمال الغربى حتى دخلنا أرض « الحصاصة » التى تفصل بين مجرى «هرجاب» ومجرى وادي «أنط» الذى يصب في هرجاب أيضا .

وبعد مسيرة ١٥ كيلومترا من هرجاب نفارق وادي أنط ندخل في أرض النمر وهى سهلة في مبتدأها ، وتقع إلى الغرب منها ضلعان « الشفا » . ومما يلاحظ أن شعيب «نمر» يصب في وادي «المسرى» الذى يصب بدوره في وادي «تثليث» . ونسير في أرض النمر مسافة طويلة ، نقطع تارة شعيب عر نفسه ، أو الشعان الصغيرة التى نصب فيه ، ولا تكاد تنتهى من أرض النمر حتى تشاهد في الأفق إلى جهها اليسار نخيل بلاد خير وقصورها .

٢ - بلاد خيبر

حينما سمعت بخير عجبت من التسمية ، لأنى كنت أجهل أن هنالك خيبراً غير خيبر المشهورة بوقعها التاريخية في صدر الإسلام والواقعة إلى الشمال الشرقى من المدينة المنورة ، ولكن خيبر شهران قد تكون أكبر من بلاد خيبر المدينة ، وأعدل هواء وأعذب ماء . وأرض خيبر هذه فيها رجوم وركام من الصخور السوداء ، وفيها شعبان وأودية كبيرة ، إلا أن أكبرها شعيب « السليل » ، وأعظم منه شعيب خيبر الذى يرفد شعيب المسيرق الآنف الذكر .

وتقوم بالقرب من خيبر عدة جبال أهمها جبل « شاع »^(١) إلى الجنوب الشرقى منها . وتجتمع مياه الأمطار التى تهطل عليه وعلى جواره فى الوادى الذى يجتمع فى أول بيوت وادى خيبر مع وادى « الشيق » القادم من جهة الجنوب . وبعد أن يجتاز الواديان خيبر يتصل بهما المسيرق ، ويظل اسمه هكذا إلى أن يصب فى وادى « ثفن » بقرب الخرّص . وثفن نفسه يصب فى وادى تثليث الذى ينصفه ونذكر روافته فى موضع آخر من هذا الكتاب .

أما بلاد خيبر فإن أهلها من شهران ، إما من كؤود وإما من بنى واهب . وهى عدة قرى ممتدة على طرفى وادى خيبر والشيق والمسيرق . والبيوت هنا (ونسمى القصور) مبنية بالابن وهى كأحواش واسعة ، فى أحد أطرافها البيت الذى يشبه البرج ، ويتألف على الغالب من طابقين ، يستعمل الأدنى أيام الأمطار فى فصل الشتاء ويضم المواشى من بقر وماعز وغنم ، ويستعمل الأعلى فى فصل الصيف لحزن المئذ ، ولكن الغرض الرئيسى منه أن يستخدم للحرب ومراقبة العدو ومقاومته .

ومما يؤسف له أن انعدام الأمن فى هذه البلاد قبل ولاية الملك عبد العزيز آل سعود جعل السلامة الشغل الشاغل لأهل هذه البلاد وما جاورها ، ولذلك تراه

(١) مئة جزيرة العرب للمهدانى .

قد جهزوا بيوتهم بوسائل الدفاع ، وكذلك فعلوا بمزارعهم التي يبنون فيها القصبات الشبيهة بالمنائر فيها مخاريق لرمي العدو وصدّه .

أما القرى في وادي خيبر فهي :

(١) رِغْوَة : في أعلى الوادي ، أكثرها مزارع للحبوب ، وفيها قليل من النخيل .

وأهلها من كَوْد من شهران .

(٢) البَرْدان : وتأتي بعد رِغْوَة . وأهلها من الصوح من شهران .

(٣) العَمَار : وهي للصوح أيضا .

(٤) خيبر : وهي لآل خُزام من بني واهب ، وهي أحضر من العمار ، وفيها

نحو عشرين قصراً .

(٥) واسط : وقصورها عشرة .

(٦) العمار : وهي غير الأولى واسمها الحقيقي عمار بن بجاد وفيها عشرون قصراً .

(٧) الحامض : وفيها نخيل ، وقصورها عشرة .

(٨) القفاض : بها عشرة قصور .

(٩) المباريش : أكبر من السابقة .

(١٠) الحنفة .

(١١) القوز : وهي بلاد لابن دليقم .

(١٢) البثث .

(١٣) الحرفين : وفيها عشرة قصور .

وأهم زراعاتهم البرّ والشعير والذرة والنخيل .

ومما يلاحظ أنني لم أشاهد نخلا بعد خيبر من جهة الخيس وعسير ، فكأنها

الحدود التي ينتهي عندها زرع النخيل .

٣ — بين خيبر وتندحة

بعد مسير بضع مئات من الأمتار عن قصور خيبر، اجتزنا مجرى الوادى، وسرنا محاذين للجبل « شاع » الذى أصبح الآن عن يسارنا على بعد قليل منا، وكنا كلما تقدّمنا فى السير اقتربنا من الجبل حتى السير على سفحه، وأصبح السهل ممتداً إلى جهة اليمين حتى مسافة ثلاثة كيلومترات تقريباً، وهناك تبدأ سلسلة من الجبال الحمراء تسمى « سلسلة الشميط ».

أما أرض الوادى فإنها من التراب الأسود الناعم، ويكثر فيها شجر العراد، وبعد مسيرة عشرة كيلومترات تضيق أرض الوادى، وتبدأ السلسلتان البنية واليسرى بالاقتراب حتى يبلغ البعد بينهما أقل من ٥٠٠ متر، وعندئذ نصل إلى مجرى وادى السليل الذى يصب فى خيبر، وفى هذا المكان ينقطع جبل « شاع » ويبدأ المسير على سفح سلسلة جبلية واقعة على يمين الطريق.

تضيق الجبال الخناق على الطريق وتنفرج عنه مرة أخرى، وهى تناسب على جانبي وادى السليل أو على أحد جانبيه أو قاطعة له، ولكنها تتعرج مصعدة مع علو الوادى إلى مسافة بضعة كيلومترات، حتى تبلغ ارتفاعاً سجّله البارومتر بمقدار ٧٧٥٠ قدماً.

ننتهى من أرض جبلية إلى أرض رملية، ولكننا نعود بعد كيلومترين إلى المنطقة الجبلية حيث ترقى عقبة يكون الارتفاع عندها ٨٠٠٠ قدم، وتسمى الأرض التى وصفناها بأرض السليل نظراً لأن السليل يصفى مياهها وينساب فيها. ونسير بعد هذه العقبة قليلاً فنقطع عقبة أخرى دونها فى الارتفاع، ومنها تبدأ أرض اسمها « هضب الأشواط » وبقرها ضلع منفرد اسمه « قرن ». ومن هنا تتغير استقامة الطريق فنصبح مائل إلى الجنوب الغربى تماماً، وترك « قرن » على يميننا بعد أن نكون سائرين فى استقامته، وتصبح استقامة الطريق جنوبية تماماً.

نجتاز بعد ذلك شعبياً على بعد نحو كيلومتر واحد من قرن اسمه «شبيب ثقيف» ثم نرق عقبة يكون الارتفاع فيها ٨١٠٠ قدم . وحينما نجتاز كيلومترين آخرين نصل إلى أعلى الهضاب المقابلة لنا ويكون الارتفاع عندئذ قد بلغ ٨٤٠٠ قدم . ومما لاحظته أن هذه الهضاب هي الخط الفاصل لتقسيم المياه ، فإننا بعد أن بلغنا أعلاها شرعنا في الانحدار إلى جهة الغرب حيث تنصفي المياه إلى جهة وادي تندحة . وبعد مسيرة نحو كيلومترين قطعنا شعبياً صغيراً ثم قطعناه مرة أخرى بعد نصف كيلومتر في مكان تكثر فيه الحسيان وبعض شجيرات النخيل والدوم . ثم يتلوى الطريق بين رجوم وركام صخرية يسر المرور من بينها وتسير السيارة كأنها محشورة بين قلابين من الصخر الأصم . وهذه القلعة من الطريق من أشق وأعسر ما رأينا ، وقد اجتزنا بين هذه الصخور والركام الصخرية مضيقاً يكاد عرضه لا يزيد عن عرض السيارة بكثير وطوله يزيد عن مائة متر ، ولكننا ما نكاد نفارق هذا المضيق العسير ونرقى أعلى العقبة من الجهة الجنوبية الغربية حتى نشاهد منظراً بديعاً في الوادي المنبسط أمامنا ، هو منظر وادي تندحة وقراه الخضراء .

٤ — وادي تندحة

يحسب وادي تندحة من أهم روافد وادي بيشة حينما يكون اسمه وادي شهران أو بيشة ابن مشيط ، وهو يصب في السفوح الغربية للهضاب والآكام التي تفصل بين مجرى وادي بيشة ومجرى تثلث . وقد رأينا أن الشعبان التي اجتزناها في طريقنا كانت متجهة إما إلى ناحية وادي بيشة (أنط وكنته وهرجاب وتندحة) وإما إلى ناحية وادي تثلث (وادي السليل والمسريق وخيبر) ، وعلى ذلك فإن وادي تندحة هو الوادي الثاني الذي يرفد وادي بيشة .

يمتد الوادي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي في منحنيات وتعاريج شديدة الميل إلى أن يصب في وادي شهران في مكان اسمه « الثريراء » بقرب بلاد

ابن هشيل ، و يبلغ طوله من منبئه إلى مصبه حوالى ٨٠ كيلومتراً ، ويكون مجراه ضيقاً شديد الانحدار فى بعض المواضع ، كما أنه ينفصح وينبسط فى مواضع أخرى ، ويشاهد على أطرافه أرض خضراء جميلة جداً .

وحينما قطعناه وجدنا فى مجراه الماء جارياً ، وقد أخبرونى بأن ماءه لا ينقطع إلا فى أشد السنوات قيطاً بخلاف سائر الأودية التى اجتزناها . نعم إن كثيراً من هذه الأودية توجد فيها « غيول » أى مواضع عميقة ينبع ماء الوادى منها ويؤلف بركة ماء واسعة ثم يغور مرة أخرى تحت الأرض فإن نبش عنه قليلاً ظهر الماء وسرى . وأكثر مجارى أودية عسير وجبال تهامة عسير فيها من هذه الغيول ذات الماء الملوث والهوام الكثيرة والحرائم والآثار المرزغية .

وتقوم على أطراف الوادى قرى عامرة ترى إحداها من الأخرى رأى العين . وهى صفة لم أشاهدها إلا فى أودية عسير وبلاد شهران وقحطان . وقد ذكر لى بعض الذين سافروا بطريق السراة من الطائف إلى اليمن أن المسافر لا يفارق نظره القرى والقصور فى انتقاله من مكان إلى آخر .

أما قرى وادى تندحة اعتباراً من منبئه إلى مصبه فهى :

- | | |
|------------------|-------------------------|
| (١) أهل الديب | (٨) أهل الدر |
| (٢) الشجير | (٩) آل ذبابة |
| (٣) ابن سامة | (١٠) آل بؤذبان |
| (٤) المزارقة | (١١) آل العطف |
| (٥) آل الحجاج | (١٢) آل عياش |
| (٦) آل مستنير | (١٣) آل الشُمَيْثاء |
| (٧) أهل الزلال | (١٤) آل سويد الحوطة . |

ولأهل هذا الوادى سوق يومه يوم الأحد ، يجتمعون فيه مع كثير من أهل القرى المجاورة لوادئهم ، ويتبادلون فيه بيع السلع والأمنعة . وهذه العادة أى عادة

الأسواق الدورية الأسبوعية فاشية فيما كان إلى جنوبى الحجاز من البلدان ، حتى إن القبيلة الواحدة قد يكون لها أسواق على عدد أيام الأسبوع ينتقلون فيها من سوق إلى آخر كما صنيته في موضع آخر .

ولم نمكث في تندحة إلّا ريثما جمعنا ما أردنا من معلومات وأرصاد ، وسرنا مسافة ستة كيلومترات ، فانفرج السهل أمامنا ، ووصلنا إلى شعيب الأرض المسماة بالشرف بعد سبعة كيلومترات تقريباً ، ثم مشينا قليلاً فأشرفنا من أعلى الهضاب على مجرى وادى الخميس « خميس مشيط » .

٥ — خميس مشيط

كانت في ذهني صورة للخميس لم أجدها مطابقة للأصل حينما بلغتها سمعت بالخميس منذ سنوات ، وتصوّرتها مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء واسعة العمران معتدلة الإقليم ، لأنها كانت تتخذ مركزاً للمسكرات كلما حصل النفير إلى جهة الحدود اليمنية أو إلى جهة تهامة ، فحينما وصلتها لم يحقّ الخَيْرُ الخَيْرُ ، نعم وجدتُها معتدلة الهواء قائمة في سهل منبسط تبعده عنه الجبال مسافات كافية ، ولكنني لم أجدها المدينة العظيمة ، المدينة التي رسمها الخيال في ذاكرتي .

حينما أشرفنا على وادى الخميس من الهضاب الشرقية أصيل يوم الأحد الواقع في ١٩ شوال ١٣٥٢ (٤ فبراير ١٩٣٤) كان أول مالفت نظري الخيام البيضاء المنتشرة في أطراف الوادى وفي جنبات السهل المنبسط ، وحركة الجيش وتنقلات جند الإخوان ، وما يلازم المسكرات من حركات عسكرية أو قوافل مؤن وذخائر أو سيارات غادية رائحة ، كما استرعى انتباهي شكل جديد للبيوت لم أشاهده من قبل . وقد انساب الوادى في السهل كالثعبان يتلوّى من حمارة القيط ، وقد رُصّعت جنبات الوادى بالقرى المتصلة حتى كأنها تشبه قرية واحدة ذات حلل منتشرة هنا وهناك .

أما بلدة الخميس فقرية اسمها الحقيقي « الدّرب » ، وتسمى الخميس لأن السوق الأسبوعي ينعقد فيها يوم الخميس . ويضاف السوق إلى أمير شهران : ابن مشيط من آل رشيد ، فيقال للقرية « سوق خميس مشيط » ، ويضيع اسمها الأصلي « الدّرب » فلا يعلمه إلا أهلها .

بعد وصولي إلى الخميس فهمت السر في اختيارها مقراً للمعسكرات الحربية ، ذلك أن « أبها » وإن كانت أكبر منها وأقرب إلى الحدود اليمنية وتهاجم فإنها محصورة بين الجبال ، ولا توجد فيها الهلة لرمي الإبل ، وكذلك ليس فيها متسع لحركات جيش كبير . ووجدت أن ولي العهد قد اختار الإقامة في مخيم نصب على أطراف الوادي على سكنى بيوت القرية وقصورها .

بيوت القرية ، بل بيوت سائر القرى في بلاد شهران ، متشابهة . حينما أشرفت من أعلى « الخميس » على المعسكر والقرى المجاورة له ، رأيت من أمر البيوت عجيباً ! البيوت في هذه البلاد تسمى قصوراً أو حصوناً ، وهي في الواقع كذلك . جدار مرتفع يحيط بمساحة واسعة من الأرض بحسب قدرة صاحب البيت وسعته . وقد قامت في طرف منه أو أكثر أبراج بعضها مقنول له مزارق ومراييع للدفاع وقت الحصار . وقد قام في جانب آخر برج مربع هرمي الشكل تقريباً ، قاعدته متسعة ، ثم تضيق كلما ارتفعت الطبقات إلى أن تنتهي بحرف علوي مسنن ؛ يجعل للقصر منظراً جميلاً ، ويظهر القصر بجملة كبناء فرعوني على الطراز الحديث له نوافذ ضيقة لاتسع لمرور شخص متوسط الجسم . أما طبقات القصر فقد تكون اثنتين أو ثلاثاً أحياناً وتكون أربعاً في النادر . ومعدات البناء بأكملها وطنية محاية . اللبن النبي يصنع من تربة الوادي ، والسقوف وجميع الأقسام الخشبية في القصر تصنع من خشب الأثل المحلي الموجود بكثرة . وقد شاهدت عجيباً في أدرج سلم القصر المنسجمة مع شكله الهرمي ، فإنها متسعة في أسفل المارة ثم تضيق كلما ضاقت مساحة البناء في الطبقات العليا حتى تصبح دون المتر عرضاً في الطبقة الأخيرة .

ويتجلى في شكل العارة هنا فرق آخر لسنا طرفاً خفيفاً منه في بيشة ، وهو الاهتمام بزينة المنازل من داخلها ؛ فإن أكثر الجدران وأرضية الغرف وأدراج السلم تلون بالأصباغ النباتية المحلية غالباً ، ولكن أجمل الأصباغ التي رأيتها هي اللون الأخضر الحبشي الذي يؤخذ من عصارة البرسيم . شاهدت النساء يطلين بيوتهن من الداخل بهذه الأصباغ المبهجة ، ودققت في طريقتين متبعيتين في هذا الفن ، رأيت إمتاع قرأني بوصفهما .

تنقى كمية من التراب الرسوى ، وتمزج بكمية قليلة من القش المسحوق (التين أو ما يماثله) وترش بالماء إلى أن تتشرب تشرباً معتدلاً ، ثم تدعك الكتلة دعكاً قوياً ، وتفرش على الأماكن المقصود إصلاحها وتسوى بالأيدى (وألاحظ أنى لم أشاهد في شهران ، أو في عسير ، أوحى في العارض من نجد آلات «الاسطرين» لتسوية الطين ، بل إن المال يستعوضون عن الآلات المعدنية أو الخشبية بأ كفهم) ، ثم تبصص بملقة معدنية إلى أن تحف فتظهر مصقولة براقه ، عندئذ تأتى النساء بالبرسيم يفركن به الأرض المطينة بقوة مواظبات على عملهن برهة غير قصيرة . ثم يبلعن الأصباغ الأخرى من أحمر قان ، أو أرجوانى ، أو عنابى ، أو أسود ، أو كحلى ، يخططن بها رسوماً هندسية ، على قدر اجتهدهن في التنظيم ، وإذا بالسكان بهيج بالوانه الزاهية ، جميل بأشكاله ورسومه ، ولكنه غير لطيف الرائحة على من لم يتعوده ، لأن رائحة البرسيم المدهوس تملأ جو الغرفة وتضيق الخدق على ساكنها .

والعاراة بالطبع ليست قائمة على قاعدة هندسية منظمة ، فقد يكون طول الغرفة أكبر من عرضها ، وقد يكون السقف مرتفعاً في جانب أكثر منه في الجانب الآخر ، وقد يكون الجدار مائلاً أو بارزاً أكثر من ميل الجدار الآخر أو بروزه . والأبواب والنوافذ ليست متساوية . والمهم أن هنا بيتاً للسكنى يظل المقيم فيه ويقنه البرد والحر وعواصف الطبيعة . وأما الهندسة وجمال الفن فإنهما للآن قائمان على حسب مفهوم أهل هذه البلاد واستساغتهم لها . وحسب هذه البيوت أنها حرز لصاحبها تقيه عدوان أخيه الإنسان ، وتضمن له الدفاع عن نفسه وماله وعياله ، وهذا كل ما يلزم .

تسمى البيوت بالقصور أو الحصون ، وتسمى الحلة وطناً أو قرية ، وقد تسمى باسم معين لها ، ولكنها تعرف باسم ساكنيها ، فيقال قرية آل الحارث وقرية آل منصور وهكذا ، وليست البيوت على السواء من حيث الشكل والبناء ، فقليلها جامع للأوصاف السابقة ، وكثيرها يؤلف من بيوت واطئة متواضعة ضيقة . ولا حظت أنهم يسمون النافذة « كسترة » . والإقبال يسمونه : التقطيب ، فيقولون : « قطب الكسترة » بمعنى أقل النافذة . ويسمون الموقد : حلالا . والمطبخ : ملهبا . وكثير مثل هذا من الاصطلاحات الخاصة .

يفضل كثيرون مناخ « الخميس » على مناخ « أبها » ، ولكن المزيج في الخميس كثرة الرياح وشدها ، فإنها تهدأ أطراف النهار ، وتهب هبوباً شديداً من الضحى إلى ما بعد العصر ، وأحياناً تدوم إلى الليل ، وربما كان مناخ الخميس أقرب إلى مناخ الطائف في أواسط الصيف ، ولكن لياليه باردة جداً . وقد سجل مقياس الحرارة درجات مختلفة ، وأصغر درجة بلغها أيام إقامتنا فيها كانت يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٥٢ (٧ فبراير ١٩٣٤) أربعين درجة فهرنهايت . أما ارتفاع « الخميس » عن سطح البحر فهو ٧٣٠٠ قدم .

٦ — الأسواق الأسبوعية

شهدت يوم السوق في هذه القرية ، وهو كما ذكرت يوم الخميس ، فوجدت أن أكثر القرى المجاورة يستعدون له أسبوعياً ، ويحضرون إليه ببضاعتهم من جميع الجهات ، من بلاد قحطان : ربيعة ورُقَيْدَة ، ومن بلاد عسير ، كما أن الشهانة يحضرون بانتظام . وينعقد السوق اعتباراً من ضحى يوم الخميس في برحة متسعة واقعة بين القرية ومركز الخيم . وليس هنالك مخازن أو مباني لوضع البضائع وعرضها فيها ، بل إن الأمر لا يتطلب أكثر من بضعة أعواد تفرز على أبعاد متناسبة وتغطي بقطعة من القلع أو الخيش في خطوط متوازية أو متعاقبة ، يجلس أصحابها في ظلها ، فيسطلون

بضائعهم أمامهم ويعرضونها على المارة . والذي لايتسكن من نصب خيمة كهذه
يكتفى برقعة من الأرض في العراء يبسط فيها سلعته . وهناك موضعان داخلان
في السوق برغم بعدهما عنه : أحدهما لبيع الحطب والحشيش من برسيم وقصب
وخلافهما ، والآخر لبيع السائمة والماشية .

نعم إن في الخميس بعض المخازن الدائمة للبيع والشراء اليومى ، إلا أن الأهمية
العظمى للسوق الأسبوعى ، نظراً لكثرة العارضين والمشتريين فيه . وقد تجولت
في السوق الأسبوعى ، كما تجولت في السوق الدائمى وسط القرية ، فوجدت أن
الأهمية للأول منهما . وقد شاهدت جميع السلع التى تلزم لأهل القرى والبادية
من مأكل ، أو مشرب ، أو ملابس ، أو أدوات منزلية ، فلاحظت أن حاجات
الطعام والملبس أكثر من غيرها .

ويوم السوق هو يوم العيد الأسبوعى في المنطقة مثلما هو يوم البيع
والشراء ، وهو فوق ذلك يوم المقاضاة والمحكمة ، وإبلاغ إعلانات الحكومة
للناس ، ويوم تأديب المجرمين ، وغير ذلك من الأعمال التى تمرض للناس في معاشهم ،
وعلى الإجمال هو يوم جامع تقضى فيه الحوائج ، وتقضى فيه المنازعات والمشاكل ،
لذلك تجد القبائل كثيرة الاهتمام بأسواقها ، مدافعة عنها ، عاملة جهودها على إبعاد
المشاغبين منها ، وإقصائها عن كل مايشين سمعة أهلها ، أو يضعف حركتها .
وقد وضعت إحصاء لهذه الأسواق في الجهات الواقعة بين الطائف^(١) والحدود
اليمانية فوجدتها تزيد عن مائة سوق . وهذه أسماء بعض أسواق شمران
وعسير وقحطان وما جاورها مع ذكر مواعيد انعقادها :

(١) الطائف نفسه يسميه أهل المنطقة من بادية تقيفوسفيان وهذيل «السوق» ، وأما الطائف
فعرنهم فيطلق على المنطقة بكاملها .

اسم السوق	القيّة	يوم انعقاد السوق
سوق الدرب لابن مشيط	شهران	الخميس
» ثلوث أبها ^(١)	عسير	الثلاثاء
» ابن حوض	شهران	الاثنين
» بنى رزام من بنى مالك	عسير	السبت
» ابن سالم	قحطان	الأحد
» عبيدة	»	الخميس
» رفيدة ابن عامر	»	»
» أم زهران من ربيعة ورفيدة	عسير	»
» الحرجة	قحطان	الاثنين
» ظهران	وادة قحطان	الخميس
» صلب	رجال المع	السبت
» الفار بين	بالأحمر	الخميس
» آل خريم	بالأسمر	الاثنين
» ابن مطير	بالأحمر	الخميس
» الشعبين	رجال المع	الأحد
» كسان	» »	الخميس

(١) يسمى أهل المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء «الثلوث» ويوم الأربعاء «الربو» .

٧ - قرى الوادى

ذكرنا فيما تقدم من الفصول أن هذا الوادى الذى أطلقنا عليه فى هذا القسم اسم « وادى خميس مشيط » أو « يشة ابن مشيط » ينبع من ديرة « آل المسيرة » ، وهم قسم من « رفيدة قحطان » التى أميرها ابن هيف ، فى مكان يقرب جداً من خرابات جرش الوارد ذكرها فى كتب العرب فى أعلى مرتفعات عسير التى يسميها أهلها « السقف » أى الجبال بالقرب من محن « تمنية » الذى يحسب حداً فاصلاً لتقسيم المياه الغربية والشرقية والجنوبية أيضاً .

أولاً : تقوم على أطراف الوادى حينما يكون فى ديار قبيلة رفيدة^(١) قحطان القرى الآتية :

(١) المصيق	(٧) آل زهير	(١٣) آل الرميح
(٢) القرحاء	(٨) ليوان	(١٤) الجوف
(٣) عنقرة	(٩) آل الداحى	(١٥) آل شوية
(٤) آل الشيخ	(١٠) آل السواد	(١٦) آل عريفة
(٥) الدربين	(١١) آل العظبا	(١٧) آل غر
(٦) عراب	(١٢) آل عمرة	(١٨) آل نادر .

ثانياً : وحينما يصل إلى بلاد ابن سالم من عبدة قحطان تقوم على أطراف القرى الآتية :

(١) الرتبة	(٦) الفضعان	(١١) آل قریش
(٢) آل كنبه	(٧) آل ثابت	(١٢) آل عصبة
(٣) آل جلدة	(٨) آل مهدى	(١٣) آل قرعة
(٤) آل ألوف	(٩) آل هبيل	(١٤) آل بستم
(٥) آل جلدة من الحلف	(١٠) آل جبرة	(١٥) آل سايمان

(١) إن قرى رفيدة وأقسام بدائها أكثر بكثير مما هو هنا ، ولم أذكر فى هذا البحث إلا ما كالم وأما على الوادى من القرى وهى قرية « جراحة » و « خطاب » . أما قرى قبائل الحلف ووقفة وذبحى والجل وآل مسنير فقد تركتها إلى فرصة أخرى .

ثالثاً : أما في بلاد شهران فعلى وادى ييشة ابن مشيط القرى الآتية :

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) مسيحل | (١١) العرق |
| (٢) الرونة | (١٢) قنبر ، سكن عبدالوهاب أبو ملحمة |
| (٣) نعمان | (١٣) الصمدة |
| (٤) الهرير | (١٤) آل هميلة |
| (٥) الوقبة | (١٥) الذرابة |
| (٦) ذهبان سكن الأمير ابن مشيط | (١٦) طيب الاسم (كسيسان) |
| (٧) الصفق | (١٧) معلوم |
| (٨) المثناة | (١٨) أبو سليك ، وهى منتهى الوادى |
| (٩) آل عزيز | (١٩) الجفور ، بينه وبين ابن هشبيل . |
| (١٠) الدرب ، وفيه السوق الأسبوعى | |

رابعاً : وحينما يصل الوادى إلى بلاد ابن هشبيل من بنى يجاد من شهران تقوم عليه القرى الآتية :

- | | | |
|------------------|---------------|----------------------|
| (١) المعامل | (٤) الشهمة | (٧) المريرة |
| (٢) الرشدة | (٥) آل بطاط | (٨) شقان |
| (٣) آل أبو ثور | (٦) الشقر | (٩) بطنة بنى ثعلبة |
- أما الزراعة الرئيسية في هذه القرى فإنها الحبوب (البرّ والشعير والذرة بأنواعها والدخن) . أما الخضضر والفاكهة فإن عناية أهل بلاد شهران بها قليلة جداً . والمعيشة من حيث هى بدائية بسيطة ، بحيث إن سكانها يعتمدون في مأكلهم على محصولاتهم الوطنية .

٨ — السفور والزواج

من الأمور الجديرة بإتمام النظر في أهل هذه البلاد سفور نساؤها واختلاطهن بالرجال ، ولا فرق بين أن يكون الرجال من الأقارب أبناء البلد أو الغرباء والأجانب ،

ويشترك النساء في أجاديث الرجال في مجالسهم ، مهما كان نوعها ، سواء أكنّ أبكاراً أم ثيبات .

والاختلاط بين الجنسين قد تكون له مبررات بين الأقارب ، وأما بين الأجانب فقد كان من الدواعي التي أهابت بالأمير « سعود » إلى وضع حد له وتحريم اختلاط الجنسين في المجالس أو في السوق .

وأما المهور فإنها رخيصة جداً ، وليس أدل على ذلك من معرفة أن المهر بين أبناء العم لا يتجاوز الخمسة إلى العشرة ريالاً ، وأما بين أبناء القبيلة الواحدة أو بينها وبين القبائل المتصلة بها بصاة النسب فقد يبلغ المهر من عشرين إلى ثلاثين ريالاً . غير أن كثرة الزواج بالجنود أدت إلى رفع المهور إلى مائة ومائتين وأحياناً إلى أربعائة ريال .

ولا يهتم أهل هذه البلاد بالكفاءة في النسب . . . حقاً إن عائلات الأمراء والأعيان لا تزوج بناتها لغير الكفاء ، ولكنني شاهدت حوادث كثيرة قد أغفلت فيها شروط النسب والكفاءة ، وكان الاهتمام بالمهر الغالى والزواج الكريم . ويكفي أن يقع نظر الرجل على ابنة حسناء فيأتى إليها في السوق أو على البئر ويحدثها في أمر الزواج . ويمكنه أن يقول لها : « أنا ميدك ^(١) » ، فإن كانت راضية عنه تجبه بأنها « ميده » وتدله على والدها أو وليها الذي بيده أمرها ، ويتم الاتفاق سريعاً . وهناك حوادث قد تجيب فيها المرأة طالبها بأنها « ليس ميد » أى لا رغبة لها في الزواج .

والنساء يقمن بأعمال المنزل ، فضلاً عن الاحتطاب وسقاية الماشية ونقل الماء إلى المنزل والبيع في الأسواق . يبيعن من حاصلات الحيوان أو الزرع ، بأسطاط ساحهن في الأسواق الأسبوعية . غير أن الأمير « سعود » منعهن من ذلك درءاً للفاسد بين أفراد الجند .

(١) « ميد » كلمة لم أعلم أساسها ، وقد تكون عرفة عن « ودى » وبنى بها الرغبة في الأمر وقصد لإجرائه .

تضفر النساء شعورهن ، ويسرحن خصلة من الشعر فوق الجبين ويقصصنها ، فتبدو عليهن أشكال ذوات الأزياء الحديثة ، لاسيما عندما يلبسن الثوب الفضفاض الذى يشبه « موضة الكلوش » الطويل بين السيدات المتمدنيات . ولسوء الحظ لم أسمع يأتقان النساء للخياطة ، فإن هذه الصناعة مثل كثير غيرها وقف على السادة الرجال . ولذلك فإن ثياب العروس تبتاع من المخازن التجارية مفصلة جاهزة أو تعطى الخياط فيفصلها ويصلحها على هندام المرأة . ويتمنطق النساء بأحزمة من الجلد حول خصورهن ، فيتجلين فى لبسن أوريات على الطراز الحديث !

وسأذكر فى الفصول المقبلة طرقاً من بعض العادات المتبعة فى الأعراس والولائم وزيارة الأصحاب فى « عسير » ، فأقتصر هنا على هذا المقدار .

القسم الثاني

عسير السراة

الفصل الأول

بلاد عسير

مقدمة - حدودها - وعورة بلاد عسير - أودية عسير - الطريق من الحبس إلى أبيها .

١ - مقدمة

« عسير » كاسم جغرافى ، اصطلاح حديث جداً ، يعود تاريخ استعماله إلى حوالى مائة وخمسين عاماً ، ولكنه كاسم قبيلة أو حلف من القبائل ، اصطلاح غاية فى القدم . والأصل فى الاصطلاح الجغرافى هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التى تسكنها ، فيقال بلاد عسير أو ديرة عسير ، ويقصدون بذلك أوطان القبيلة الشهيرة التى تسكن أعلى السروات ، وعلى الأخص سراة الأزد ، ثم أهملت النسبة واشتهرت البلاد باسم عسير وفى العهد العثمانى جعلت بلاد عسير « متصرفية » باسم : « متصرفية عسير » .

أهمل قدما مؤرخى العرب اسم « عسير » كبلاد ، ولم يرد ذكرها فى تقاسيم بلاد العرب المعلومة وهى : الحجاز واليمن وتهامة ونجد والعروض . وجعلوا حدود اليمن متصلة بالحجاز من ناحية السروات ومن ناحية تهامة . وقد أشار إلى ذلك ابن خرداذبة حيث قال : « وفيما بين سرّوم راح والمهجرة طلحة الملك ، شجرة عظيمة تشبه الغرب غير أنها أعظم منه ، وهى الحد ما بين عمل مكة وعمل اليمن »^(١) . وقال « ياقوت » : « مهجرة » بلدة فى أول أعمال اليمن بينها وبين « صعدة » عشرون فرسخاً^(٢) وكانوا يطلقون على هذه البقعة من بلاد العرب : « بلاد السراة » وينسبون كل سراة إلى القبائل الساكنة فيها مثل « سراة جبلان » و « ألّهان » و « المصانع » و « قدّم »

(١) المسالك والممالك من ١٣٥ و ١٣٧

(٢) معجم البلدان ج ٨ من ٢٠٨

و «عَذْر» و «هَنُوم» و «سراة خولان» و «جَنْب» و «عَنْز» و «الأزد» وغيرها^(١). وكانوا يسمونها كما قال «ياقوت»^(٢): «طُوداً» بفتح أوله وسكون ثانيه والـدال : اسم عَلم للجبل المشرف على «عِزَّة» ، وينقاد إلى «صنعاء» ، ويقال له : «السراة» . وكذلك سماها «الهمداني»^(٣) .

وقد توسعوا في إطلاق لفظ «عسير» على بلاد ليس فيها عسيري واحد كما سنوضحه في محله من هذا الكتاب ، ولكن الذي يعنينا الآن هو أن هذه البقعة الجبلية كانت تقطعها بطون من القبائل اليمانية — وعلى رأى بعضهم : يمانية فتزرت — من أسلم الأزد ، أطلق عليها اسمها فعرفت بهم ودعيت : «بلاد عسير» . وكذلك تعرف قرى كثيرة بأسماء ساكنيها مثل «زور آل الحارث» و «حلة آل هام» وغير ذلك مما هو مشهور في بلاد عسير واليمن . ثم لما قويت شوكة القبيلة وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها غطى اسمها على اسم تلك القبائل وأصبحت تعرف باسمها . فلما جاءت الحكومات المدنية وجدت قبيلة «عسير» أشد قبائل تلك المنطقة مراساً وأعظمها هيبة ونفوذاً وأكثرها عدداً وعدة ، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم «عسير» وجعلتها الحكومة العثمانية متصرفية كما مر^(٤) . وسنحاول أن نرسم في النبذة التالية صورة صحيحة عن حدود البلاد التي تسكنها قبيلة «عسير» والبلاد التي تتبعها ، أو التي ضمت إليها .

٢ — حدود «عسير»

ذكرت في فصل مضى من القسم الأول كيف حدّد لي الأعراب وادي «بيشة» بأنه يمتد من الشف إلى السف . والظاهر أن أهل هذه البلاد مولعون بالاصطلاحات المقتضبة التي تفنى عن التعريفات المفصلة ، لأنني حينما سألت بعض كبار «عسير» عن

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٦٨ — ٧١

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٧١ و ١١٨ ومعجم البلدان م ٦ ص ٦٧

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١١٨

(٤) قاموس الأعلام م ٥ ص ١٣٥٤

حدود بلادهم أفادنى بتعريف جامع مانع فى عرفهم كتعريف أهل « يشة »
لواديهـم . قال :

« حدود عسير : من زهران إلى ظهران . تعريف يعجز أكبر علماء الجغرافيا
عن حل طلاسمه ورموزه ، علاوة على أنه تعريف مبالغ فيه يفيد فى الواقع مدى
سُلطان قبيلة « عسير » فى وقت من الأوقات أكثر مما يفيد حدود بلاد القبيلة ، فزهران
بلاد قبيلة عظيمة تقع بين بلاد الطائف وبلاد غامد ، وتبعد عن « أبها » مركز عسير
١٢ مرحلة للشاة أو تزيد . و« ظهران » مركز « وادعة » من « مُحمدان بن زيد » إلى
الجنوب من عسير وقحطان ، بين بلاد قحطان وبلاد « صعدة » فى اليمن . وتبعد
بلدة ظهران عن أبها ٦ مراحل للماشى ، فتكون مسافة بلاد عسير بحسب تعريف أهلها
وتحديدهم عبارة عن ١٨ مرحلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب . وقد تكون ثلاث
مراحل أو أربعاً عرضاً من الشرق إلى الغرب .

غير أن هذا التحديد مبالغ فيه جداً كما ذكرت ، لأنه يشمل بلاد قبائل
كثيرة لا تجمعها بقبيلة عسير غير رابطة الجوار والخضوع فى بعض الحقب لسلطان أمير
أو أمراء من « عسير » ، كما حدث ذلك فعلاً أيام سيطرة « عائض بن مرعى » مؤسس
إمارة آل عائض ، وكما وقع أيام ولده محمد بن عائض أكبر أمراء الأسرة العائضية
على الإخلاق . والقبائل التى يشملها التحديد المذكور آنفاً هى كما يأتى اعتباراً من
الجنوب عند الحدود اليمنية — السعودية إلى الشمال .

- | | | | | | |
|-------|---------------------|-------|---------------|--------|--------------|
| (١) | بلاد وادعة وسنحان | (٥) | بلاد بالأحر | (٨) | بلاد بنى شهر |
| (٢) | بلاد قحطان بأقسامها | (٦) | بلاد بالأسمر | (٩) | بلاد غامد |
| (٣) | بلاد عسير | (٧) | بلاد بنى عمرو | (١٠) | بلاد زهران |
| (٤) | بلاد شهران . | | | | |

وقد تكون بلاد « عسير » فى منتصف هذه البقعة الفسيحة من أرض السروات .
وذكر لى عيسى آخر حدود قبيلة « عسير » بالنسبة إلى التحديد الصحيح الذى
تشتمل عليه ديرة القبيلة الحقيقية فقال : « إن بلاد عسير من تمنية إلى شعار » .

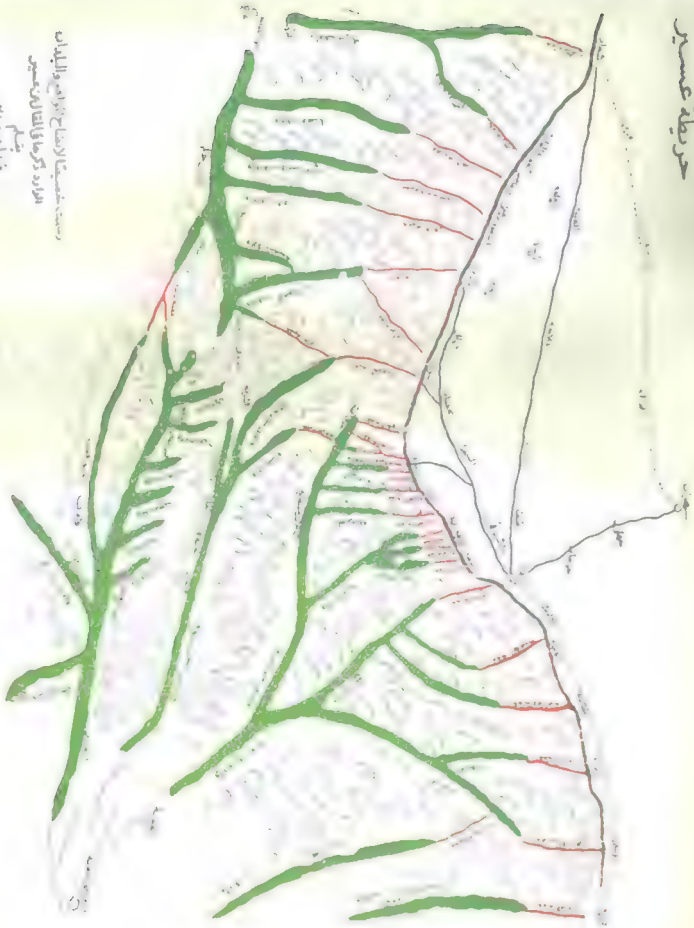
والأول جبل عظيم في جنوبى بلاد «عسير» حيث تتألف الأودية الكثيرة مثل «يشة» و«عُتود» و«صَلَع» ، والثانى اسم عقبة مشهورة تسمى «شعار» أو «تَيْة» ، وهى واقعة فى منتهى حدود «عسير» الشمالية بينها وبين بلاد بالأحر .

قال الممدانى : «ثمَّ يواطن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عَنَز ، وعسير يمانية تنزرت ودخلت فى عَنَز ، فأوطان عسير إلى رأس تَيْة وهى عقبة من أشرف تهامة وهى أبها ، وفيها قبر ذى القرنين فيما يقال ، عُثر عليه على رأس ثلثمائة من تاريخ الهجرة والذَّارَة ، والقُتَيْحَا ، والأَصْبَة ، والمَلَحَة ، وطَبَب ، وأتانة ، وعُثْبَل ، والمُفُوث ، وجَرْشَة ، والحَدَبَة . هذه أودية عسير كلها » (١) .

ونقول إن بلاد القبيلة المعروفة باسم «قبيلة عسير» تتألف من الجبال والأودية والسهوب الواقعة بين أعلى السراة الأزدي فى الغرب ، وبلاد شهران فى الشرق ، وبلاد قطحان فى الجنوب ، وبالأحر وبالأسمر فى الشمال . وبعبارة أخرى هى بلاد واقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادى رِكَانَ الممتد إلى الحُقُو فالبحر من جهة الجنوب ، وبلاد بنى شعبة ورييمة اليمن ورجال ألمع ووادى حَلَى من جهة الغرب ، وعقبة شعار ووادى تَيْة والسهب الممتد إلى بلاد بالأحر من الشمال ، وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران من الشرق . وإذا قيسَت المسافات بالساعات للمشاة كانت المسافات من شعار فى الشمال إلى تمنية فى الجنوب ثلاثا وعشرين ساعة بالمشى السريع ، وفيما يلى كشف يوضح هذه المسافة (٢) :

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ — وأسماء الأوطان ما تزال إلى يومنا هذا على اسمها ما عدا عن رالموث وجرشة والحديبة لم أتصل بها ، وربما تغيرت أسماءها بتقدم الزمن .
(٢) انظر تفاصيل المعبات والمواقع فى الخريطة المرافقة

حریطہ عسیر



رسالة خفيفة الانصاح في احوال و البهائم

البرارد ذكرها في المقالات عن عيسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1506 - 1508

دقيقة	ساعة	
٠٠	٤	من شعار إلى عقبة آل الحارث
٠٠	١	من آل الحارث إلى عقبة آل عاصم
٣٠	٠	من عقبة آل عاصم إلى عقبة بنى غنى
٢٠	٠	من بنى غنى إلى عقبة المسقوى
٣٠	٠	من المسقوى إلى عقبة الشرف أو الصماء
١٠	٢	من الشرف إلى عقبة السودة
٠٠	١	من السودة إلى عقبة السما
٠٠	٢	من السما إلى عقبة آل عبيد
٣٠	٠	من آل عبيد إلى عقبة الماهل
٣٠	٠	من الماهل إلى عقبة الباطنة
١٥	٠	من الباطنة إلى عقبة الملصة
٠٠	٢	من الملصة إلى أبها (أو إلى عقبة ضلع)
٤٥	١	من أبها إلى عقبة الهضبة
٣٠	٢	من الهضبة إلى عقبة عضاضة
٣٠	٠	من عضاضة إلى عقبة آل يزيد
٠٠	٢	من آل يزيد إلى عقبة المسقى
٣٠	١	من المسقى إلى تمنية وعقبتها .
٠٠	٢٣	المجموع

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال إلى الجنوب ، وهي — بين أبها وبلاد شهران — تبلغ ٣٥ كيلومترا ، فإذا اعتبرنا بلدة « حِجْلَة » فاصلا بين ديرى شهران وعيركانت المسافة من أبها إلى أقصى

حدود عسير في الشرق لا تزيد عن ٢٠ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى شمار تبلغ ٢٨ كيلومترا ، والمسافة من أبها إلى تمنية أقل من ذلك . غير أن السيارة لا يمكنها السير إلا عن طريق خميس مشيط على محاذة مجرى وادي يشة . وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد قبيلة عسير : بارة عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعرضها ٤٠ كيلومترا على وجه التقريب . فأين هذه المساحة من المساحة الواقعة بين زهران وظهران ؟

٣ - وعورة بلاد « عسير »

مثلا أطلق اسم القليلة أو حلف القبائل على البلاد التي تستوطنها ، فلا يستبعد أن يكون لبلاد « عسير » نصيب من اسمها نظراً لوعورتها وصعوبتها . حقاً إن بلاد «عسير» عسيرة المرتقى وعرة المسالك كثيرة الجبال والوهاد والأودية . قامت سلسلة جبال السراة سداً منيعاً من جهة المغرب فلا يمكن ارتقاؤها والمبور منها إلا من فجوات حفرتها الطبيعة ونحتها بين ملتقى الجبال وتقاطع الأودية . وقد قامت هذه العقبات حارساً أميناً على البلاد من جميع الجهات التي يأتيها الخطر منها ، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاتحين إلا لماماً ، فصدت للهجمات صموداً عجيباً ، وإن كانت استبيحت مرتين في العصر الحديث بسبب رداءة الدفاع عن حصونها الطبيعية أو بسبب وقوع الخيانة فيها : المرة الأولى حينها هاجمها «رديف باشا» في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي من عقبة السماء واحتل أبها وسرملة وريدة ، والمرة الأخرى بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة حينها هاجمتها قوات تهامة المنضوية تحت لواء السيد « محمد بن علي الإدريسي » عام ١٩١٠ ميلادية عن طريق عقبة شمار .

ومنذ وصولي إلى أبها ، وجهت همي إلى اكتشاف الطرق القريبة التي يمكن اجتياز السيارات منها إلى تهامة تسهيلاً لمواصلات الجيش المختشد في السراة وفي تهامة ولذلك جئت خلال الديار وأنفذت المهندس إلى المواقع التي لم أتمكن من زيارتها

بنفسى ، ولكنى كنت كناطح الصخرة تتحطم دونها جهوده ، فإن جبال السراة
تؤلف حاجزاً قوياً لا يمكن تخطيه إلا من فرجات معدودة يطابق عليها اسم العقبات ،
وهى بطبيعتها مبدأ واد منحدر من أعلى الغضبة إلى سفحها ، ثم يمتد الوادى متغلغلا بين
الجبال متعرجاً حول الآكام والرّبي ، إلى أن ينتهى عند ساحل البحر فى تهامة .

سأذكر الأودية المنحدرة من أعلى الجبال فى بلاد قحطان وعسير إلى ساحل
تهامة فى القسم الخاص بتهامة بمثل الطريقة التى اتبعتها ومازلت أتبناها فى سرد
تفاصيل الأودية التى تصفى السفوح الشرقية لسلسلة السراة . وقد ذكرت فى القسم
الأول من الكتاب ثلاثة أودية منها — تربة ورّنية وبيشة — وسأذكر فى هذا القسم
وادى تثليث ، وأذكر فى قسم نجران الواديين الآخرين نجران وجبونة . ولذلك
سأكتفى هنا بذكر مبدأ الأودية فى العقبات المشهورة .

ذكرت فى النبذة السابقة أسماء ١٧ عقبة ، وقد ذكرلى خبراء هذه البلاد عقبات
أخرى غيرها ، فبلغ مجموعها ٢٤ عقبة ، لا أرى بأساً من حصرها مع ذكر الجهات التى
تنصبّ فيها بتهامة :

(١) عقبة شعار ، وتبعد ٢٨ كيلومتراً شمالى أبها ، وتقع غربى الحدود الفاصلة
بين ديار بالأحمر وديار « عسير » . وهى فى الواقع المنفذ المطروق من عسير إلى محائل
والقنفذة . والطريق منها إلى أبها ممد لسير السيارات من أيام الحرب العامة ، وأصعب
قسم فيه عقبة أم الرّكب بقرب بلدة « رِضَف » على بعد ستة كيلومترات من أبها .
(٢) عقبة رِجْم ، وتبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورُفَيْدَة من عسير ،
وتنصب فى وادى تَمْنِيَة .

(٣) عقبة قضا ، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة ، وتنصبّ فى النهاية
فى وادى حَلِي بن يعقوب .

(٤) عقبة وسائب ، تبدأ من المقوى فى بلاد ربيعة ورُفَيْدَة من عسير وتنتهى
فى وادى حَلِي .

- (٥) عقبة فوده ، تصب في وادي حلي عند جرف ابن موهوب في بلاد ألمع .
- (٦) العقبة السماء ، بقرب تهلل ، وهي من أصعب العقبات ، وقد يمتدونها أصعب وأوعر من ضلع وشعار ، وتنتهي في بلاد رجال ألمع .
- (٧) عقبة توالب ، تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في سرة عسير ، وتصب في وادي العوص في بلاد رجال ألمع ، وهذا ينتهي في وادي حلي .
- (٨) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل السودة أيضا ، وتصب في وادي شوكان ضمن بلاد رجال ألمع .
- (٩) عقبة أمطهار (الطهار) وتبدأ من السقا وتصب في وادي مربة ضمن بلاد رجال ألمع .
- (١٠) عقبة ضغاف ، وتبدأ من السقا وتصب في مربة .
- (١١) عقبة ريذة ، تبدأ من السقا وتصب في مربة .
- (١٢) عقبة الصليف ، وتصب في وادي لثوة الذي ينتهي في مربة .
- (١٣) عقبة آل المحارث (الحارث) تبدأ من المهلل وتصب في وادي حرملة الذي ينتهي في مربة .
- (١٤) عقبة خثيمة ، تبدأ من المهلل وتصب في وادي الفينة ثم في مربة .
- (١٥) عقبة لؤلؤه ، تبدأ من الباطنة وتحول على وادي الفينة ثم تصب في مربة .
- (١٦) عقبة خيمة ، تبدأ من المكسة وتحول على وادي الفينة ثم تصب في مربة .
- (١٧) عقبة ضلع بقرب أبها على بعد كيلومترين منها إلى الجنوب الغربي ، وهي الطريق المطروق من أبها إلى القصبة فدراب بنى شعبة فجيزان .
- (١٨) عقبة قصرى أو الشرف ، وتلتقي مع عقبة ضلع في أسفلها عند منفرج الوادي قبل القصبة .
- (١٩) عقبة الهضبة ، تبدأ بقرب الشرف أيضا وتنزل إلى وادي ضلع .
- (٢٠) عقبة عضاضة ، تبدأ من عضاضة وتنزل إلى وادي ضلع .

- (٢١) عقبة آل يزيد ، أو عقبة عِتود ، وتصب في وادى عِتود .
(٢٢) عقبة المسقى ، وتصب في عتود .
(٢٣) عقبة القرون ، وتبدأ من جبل تمنية وتصب في وادى ركان ثم في وادى الحَقْوُ .
(٢٤) عقبة بن حَمُوض أو عقبة شهران من آل ينفع ، تبدأ من تمنية ما بين وادى عتود ووادى يَنْضُ .
وتوجد بالطبع عقبات أخرى في بلاد قحطان ووادة إلى الجنوب من بلاد عسير ، سأذكرها في حينها ، لأنها هي المنافذ الوحيدة إلى تهامة .
وانحدار هذه العقبات شديد الميل بعيد المدى ، وقد يستغرق النزول من العقبة بضع ساعات ، كما أنه في بعضها لا يتجاوز الساعة .
وجبال عسير مرتفعة جدا ، وربما كانت أعلى الجبال في السراة بعد دخولها بلاد الملك « ابن سعود » . وقد سجل البارومتر (٩٣١٠) أقدام في قمة جبل « ذِرَة » المشرف على أبها ، و (٩١٢٠) قدما في عقبة « ضَلَع » ، و (٩٦٢٠) قدما في عقبة « أم الزكبي » بقرب أبها ، و (٨٧٥٠) قدما في عقبة شعار ، و (١١٠٠٠) قدما في « تَهْل » . وكان أعظم ارتفاع سجله البارومتر في السود إذ بلغ (١١٤٢٠) قدما ويوجد بقرب السود جبل آخر مرتفع بينها وبين تَهْل لم نصل إليه ، ولكن المهندس قدّر ارتفاعه بنحو اثني عشر ألف قدم .

٤ — أودية « عسير »

حينما أتى « الهمداني » على ذكر قبيلة عسير قال : « والداراة والفتيحا واللصبة والملحة وطبيب وأنانة وعبل والمغوث وجُرَيْسَة وَحَدَّيَة : هذه أودية عسير كلها ^(١) » . و« عسير » بلاد الأودية والجبال ، فلا عجب أن تكون كل عقبة من العقبات التي أوردنا

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ١١٨ .

ذكرها في الفقرة السابقة رأسا لواد كبير أو صغير، وقد تكون الأودية الناشئة من رءوس العقبات أودية رئيسية كبيرة مثل « عِتود » و « حَلِي » و « الحَقْو »، وقد تكون فرعية تنصب في الأودية الرئيسية .

أما من جهة سفوح جبال «عسير» الغربية فلا أشك في أن كل عقبة تؤلف وادياً اسمه كاسم العقبة نفسها . وسندكر تفاصيل هذه الوديان ومايقوم حولها من قرى ومزارع وعمران في تهامة بعد خروجها من ديار عسير ورجال ألمع وبنى شعبة وأهل حلى في بحثنا عن تهامة عسير .

أما من جهة سفوح جبال عسير الشرقية، فهناك أودية كثيرة قد أحملها «المهداني» الذي نقلنا عبارته في مطلع هذه الفقرة . حقا إن الأودية التي تصفى مياه السفوح الشرقية والجنوبية لعسير غير طويلة، ولكنها في الواقع من أهم روافد وادى يشة، وتجتمع به بقرب بلاد ابن هشبل كما ورد ذكره في بحثنا عن بلاد شهران . وإليك أهم الأودية الكائنة في هذه الجهة من بلاد عسير :

أولا : وادي خبيبي : ينبع من السُّقَا إلى الغرب من عقبة صَلَع وعلى بعد بضع ساعات إلى الجنوب الغربي عن أبها . وحينما يقرب من أبها يستى باسمها ، ثم يمتد مسافات طويلة حيث ترفده أودية فرعية كثيرة إلى أن يصب في وادي يشة شهران عند بلاد ابن هشبل ، وتقوم على ضفاف هذا الوادي قرى بنى مفيد من قبيلة « عسير » . وهو أعظم أودية عسير .

ثانياً : وادي تحمة : ينبع من جبال تهلل ويصب في وادي أبها عند بلدة المَحَالَّة من مراكز بنى مالك من عسير ، ويملك البلاد القريبة من رأسه « عَلَكَم » من عسير ، ويملك ما كان في أواسطه وأسفله بنو مالك من عسير .

ثالثاً : وادي السَّلَاحَة : وينبع بالقرب من « تَهْلَل » في بلاد « عَلَكَم » ، وبعد أن يسير مسافة قصيرة يلتقى بوادي أَتَانَة .

رابعاً : وادي أَتَانَة : وينبع بالقرب من « الطَّلْحَة » في ديار « ربيعة

وَرُقَيْدَة » ، ويلتقى به وادى الملاحة فى قرية « الفَسيّة » ، وحينما يلتقيان يتغيّر اسمهما ويتحدان فيصبح اسمهما (الوادى الطويل) نظراً لطوله ، إذ يسير مسافة طويلة قبل أن يلتقى بوادى أبها عند « الحَنَقَة » قبل بلاد ابن هشيل .

خامساً : وادى طَبَب : يطلع من باحة « ربيعة » ويمرّ على آل بجاد ، ثم يصبّ فى وادى « تمنية » إلى جهة تهامة .

سادساً : وادى جوحان : وينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوبى أبها ، ويصبّ فى وادى أبها عند بلدة « قاعد » و « الدارة » بين بنى مغيد وبنى مالك . وقد زرت هذا المكان فوجدت عند ملتقى الواديين مستنقعا عظيما تجمعت المياه فى بعض أنحائه فكوّنت بركا متسعة نما على أطرافها نبات الخلفا والمكّص ، وفيها نوع من السمك ذى اللون الأسود . ويجوار هذه البرك مزار قديم المهمل هدمه الإخوان ، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذى القرنين .

سابعاً : وادى ضَلَع : وعلوّه الجَنَدَل ، وهى جبال تقع إلى جنوب جبل « ذِرّة » المشرف على أبها والحارس لها من جهة الشرق ، ويصبّ فى وادى عِتود الغربى (أى المتجه إلى تهامة) .

ثامناً : وادى مَرَبَة : ويخرج من بلدة « رَيْدَة » إلى الغرب من أبها ، وينتجه غربا بمجنوب إلى جهة تهامة حيث يلتقى بوادى ضَلَع قبل أن يصب هذا الأخير فى عِتود الغربى .

تاسعاً : وادى عِتود : وهو فى الحقيقة واديان أحدهما شرق والآخر غربى . وكلاهما ينبع من عقبة عتود المذكورة آنفاً ، ولكن أحدهما ينحدر من العقبة إلى جهة الغرب حيث يصب فى البحر ، والآخر يتجه إلى الشمال الشرقى محاذيا وادى يشة غير بعيد عنه حوالى كيلومترين . وتقوم على هذا الوادى خمس قرى لآل راشد من شهران . وكان من الواجب ذكره فى بحثنا عن شهران لأنه ينبع من عقبة عتود ، وهى كما لا يخفى لآل يزيد من بنى مغيد من عسير . وهذان الواديان هما اللذان قال فيهما الشاعر إنهما مساكن الأسد فى الجزيرة ، كما مرّ بك .

٥ - الطريق من « الحليس » إلى « أبها »

تبلغ المسافة من سوق ابن مشيط في بلاد شهران إلى سوق أبها قاعدة عسير ٣٥ كيلومترا تقطعها السيارة في ساعة وبضع دقائق ، نظراً لوعورة بعض أقسام الطريق الذي افتتحه « محي الدين باشا » متصرف عسير وقائد فرقته العسكرية أيام الحرب العامة لسير المركبات . و « محي الدين باشا » لم يسلم البلاد إلا عقب الهدنة عام ١٩١٨ ، وقد عين فيما بعد وزيراً مفوضاً لحكومة تركيا في القاهرة .

غادرنا ساحة السوق حيث كان نخيمنا ، ضحى يوم الخميس الواقع في ٢٣ شوال ١٣٥٤ (٨ فبراير ١٩٣٤) ، وسرنا على جانب وادى ييشة الغربى ، وكانت القرى على يسارنا — وتمتد الطريق في أرض سهلة تتخللها ربي وهضاب كثيرة إلى مسافة ثلاثة كيلومترات عن السوق ، حيث تقوم بلدة « ذهبان » التى يسكنها الأمير سعيد بن مشيط ، وبعد أن تكون الطريق سائرة في اتجاه جنوبى إذا بها تنحرف إلى جهة الشمال الغربى ، بين هضاب صخرية صعبة المسالك طولها كيلومترا . وبعد خمسة كيلومترات من مفرق قصر ابن مشيط نصل إلى واد كبير هو وادى عتود المنوه به في النبذة السابقة .

يبلغ عرض مجرى الوادى أكثر من خمسين مترا ، وبنيت على أطرافه الحفنا والغزار والقصب ، ويشاهد المسافر من هذا المكان قرية واقعة إلى جهة الشمال أسفل الوادى هى أول قرأه ، فلما رأيناها قدرنا بعدها عنا بنصف كيلومتر . أما القرى الواقعة على هذا الوادى فهى :

- | | |
|-------------|----------------|
| ١ - العطة | ٤ - مشرف |
| ٢ - الخلصة | ٥ - آل الزعابك |
| ٣ - آل راشد | ٦ - الشعبة |

وكلها لآل راشد من شهران .

ونظراً لارتفاع أبها عن الحليس لا بد لك من اجتياز عقبات كثيرة في طريقك

من الثانية إلى الأولى ، إذ ما تصل إلى الكيلومتر السابع بينهما حتى تصبح على ارتفاع ٨٢٠٠ قدم عن سطح البحر ، وبعد كيلو متر واحد يصل الارتفاع إلى (٨٣٠٠) قدم وحينما تبلغ الكيلومتر الرابع عشر تكون على ارتفاع (٨٣٢٥) قدما ، ومن هذا المكان يشاهد السهل المنبسط المحيط بوادي حِجْلة على بعد ١٥ كيلومتراً ونصف من خميس مشيط .

بلدة « حِجْلة » قرية بنى مالك من « عسير » ، وهي كبيرة منسعة تقوم على أطرافها أبراج كثيرة يسميها أهلها « القصبات » وهي بالفعل قصبة محوطة لها مدخل ضيق ، يرق إليها بسلم من الحجارة البارزة من الجدار الأسطواني الشكل . وتستعمل هذه القصبات مراقب للحراسة من هجوم الأعداء المباغت ، وللدفاع عن القرية وما يحيط بها من المزارع .

حينما أشرفت على « حِجْلة » شاهدت منظرا غريبا لم يكن لي سابق عهد بمثله . شاهدت البيوت والقصبات ذات رفارف خاتما لأول وهلة مصنوعة من الصفيح ، وإذا بي حينما اقتربت منها وأنعمت النظر فيها ، يتضح لي أنها مصنوعة من الأردواز الحجري ، ذلك أن طراز البناء في عسير يخالف عنه في بلاد شمران وسواها عما شاهدته من البلاد . فأساس البناء وجدره إلى ارتفاع حوالى متر عن سطح الأرض مبنية بالحجارة ، وما فوق ذلك مبنى بالطين أو الآبن الجفف بحرارة الشمس ، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمل التأثيرات الجوية والأمطار الغزيرة . ولذلك عمد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدفعون بها سقوط الجدران ، بأن أحاطوها من جميع أطرافها برفرف من الأردواز على أبعاد متفاوتة لاتزيد في معظمها على متر واحد ، ولا تكاد تبلغ أحيانا نصف متر . وعلاوة على أن هذا الطراز يكسب البناء شكلا غريبا ، فإنه يدل على مبلغ استفادة القوم من الأسباب التي يملكونها لدفع الأخطار الطبيعية وحماية البيوت من الانهيار .

كانت « حِجْلة » من أعظم قرى « عسير » ، غير أنها أصيبت بضربة قاصمة عام ففتح عسير على يد الأمير عبد العزيز بن مساعد ، إذ هاجم الإخوان جواهر عسير المجتمعة

في « حِجْلَة » للدفاع عنها فأبادوها ، وكانت مقتلة عظيمة مازال أهل عسير يذكرونها ويندبون سوء حظهم فيها ، وقد كانوا ذوى شوكة وأنفة وعزّة طوال مدة الحرب العلمة ، فأصابتهم هذه النكبة ، وأودت بمقاتلتهم ، وأضعفتهم كثيراً .

نجتاز شَمِيب « حِجْلَة » عند الكيلومتر السادس عشر ، ثم شَمِيب المدفن بعد ذلك بكيلومتر واحد ، ثم نصل إلى هضبة بالقرب من قرية « الغليظ » حيث يكون الارتفاع (٨٤٠٠) قدم ، وحينما نصل إلى الكيلومتر الثالث والعشرين يبلغ الارتفاع (٨٦٠٠) قدم .

نقطع وادى « جوحان » عند الكيلومتر السادس والعشرين ، وبعد مسير ثلاثة كيلومترات نقرب من قرية « الشرف » ، ويستمر التصعيد حتى نبلغ الكيلومتر الثلاثين ، فيصبح الارتفاع (٨٧٠٠) قدم ، ثم بعد قليل يزيد الارتفاع خمسين قدماً أخرى .

وحينما نصل إلى الكيلومتر الواحد والثلاثين نكون قد بلغنا وادى « مشيع » الذى يمر بقرية « مشيع » التى تحسب من قرى « أبها » نفسها ، وبعد قليل نصل إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن وهو (٨٩٠٠) قدم ، ومن هذا المكان نشاهد مدينة « أبها » والتلال المحيطة بها فى أعالي الجبال ، ويظهر لنا قصر « شذا » الذى بناه محمد بن عائض ، ويظهر لنا إلى الغرب من قصر شذا قصر حديث البناء يختلف بطراز بنائه عن « شذا » حيث أنه يشبه قصور بلاد شمران ، بناه عبد الوهاب أبو ملحة على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، وقد علمت أنه كان على طراز حديث ، فجعل البناء الجديد على طراز بلاد شمران .

الفصل الثاني

قبيلة عسير

نسب عسير — أقسامها — نسب آل عائض — القبائل التابعة لعسير —
قبيلة ربيعة اليمن — عادات غريبة في قبيلة ربيعة

١ — نسب « عسير »

تضم قبيلة عسير المعاصرة مجموعة من القبائل المختلفة الأصول البعيدة الأنساب ، غير أن « عسير » الأصلية تختلف في نسبا أنزاري هو أم يمانى . ذكر الهمداني : « عسير يمانية تنزرت ودخلت في عز »^(١).

وإرجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم ، نظراً للاختلاط الذي حصل — خلال الحقب المتطاولة والقرون المتداولة — في أنساب القبائل وهجراتها ومحالفاتها ، وما إلى ذلك من الأسباب الداعية لضياح النسب الأصلى أو اختلاطه .

وقبيلة عسير المعاصرة حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، وهى ترجع أنسابها إلى أسلم من الأزد سكان السراة .

ذكر الشويدى أن « الأزد من أعظم الأحياء وأمدّها فروعا ، وقد قسمها الجوهري إلى ثلاثة أقسام : أحدها أزد شنوءة بإضافة أزد إلى شنوءة وهم بنو نصر ابن الأزد . والثانى أرد السراة بإضافة أزد إلى السراة وهو موضع بأطراف اليمن نزلته فرقة من الأزد فمرفوا به . والثالث أرد عمان بإضافة أزد إلى عمان وهى مدينة بالبحرين نزلها فرقة منهم فمرفوا بها »^(٢) .

(١) صفة جزيرة العرب ص ١١٨ .

(٢) سبائك الذهب ص ٢٣ .

وقبيلة عسير تضم أربعة بطون ، اثنان منها ينسبان إلى أسلم من الأزد ويلحقهما بعض فرق من شهران وقحطان ، والبطنان الآخران حلفاء للأولين ، والظاهر أن أصلهما يرجع إلى شهران أو قحطان .

أفادنى الشيخ على بن مشببة أمير كافة « عسير » وهومن بنى مغيد ، أن القبيلة متحالفة منذ زمن قديم ، ولكن كثرتها من الأزد أزد السراة ، وفيها عناصر من شهران وقحطان ، وهذا طبيعى بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناتجة عن العلبة والسلطان .

لا أستطيع حصر عدد أفراد قبيلة « عسير » بأقسامها الأربعة ، غير أنى علمت أنه قد فرض على عسير من المجاهدين أربعمائة مقاتل فى الأوقات المعتادة ، ويمكن أن يطالبوا بمضاعفة هذا العدد فيقدمونه بكل ترحاب . والواقع أن فرض عدد من المجاهدين لا يتبع قاعدة واحدة معينة ، وقد يترك أكثر الأحيان إلى تقدير القبيلة نفسها . والعادة فى مثل هذه الأحوال أن تذكر القبيلة عدداً أقل من عددها الحقيقى بالتأكيد ، فينشأ عن ذلك رقم لا يدل على شئ يمكن الاعتماد عليه فى تقدير المقاتلة أو الرجال فى القبيلة . غير أنى قت بتحريرات واسعة فعلت أن فى إمكان القبيلة أن تخرج حين الضرورة القصوى ألفى مقاتل . وعلى هذا الاعتبار يمكن تقدير العدد القريب للقبيلة ذكوراً وإناثاً بحوالى ٣٥ — ٤٠ ألف نسمة .

٢ - فروع قبيلة « عسير »

تقسم قبيلة عسير إلى أربعة بطون ، وهى :

- | | |
|------------------|----------------------|
| (١) بنو مغيد . | (٣) ربيعة ورقيدة . |
| (٢) علكم . | (٤) بنو مالك . |

ولكل بطن عزوة خاصة يتفاخرون بها فى الحرب فيقولون : « مغيد الخطى » ، « علكم الهول » ، « ربيعة مساكاة الحرب » ، « بنو مالك أهل الصمت » .

والترتيب الذي ذكرناه في تعداد أسماء هذه البطون يتبع مساكنها اعتباراً من الجنوب إلى الشمال . وفيما يلي فروع كل بطن من البطون الأربعة :

أولاً : بطن بني مغيد : وهم أكثر عسير عدداً فضلاً عن أنهم رؤوس القبيلة وأمرؤها منذ نحو مائة سنة ، أي منذ احتلال الثمانين لها بقيادة « محمد علي باشا » وإلى « مصر » . ويمكن تقسيم هذا البطن إلى أربعة أفرع^(١) هي :

(١) لخذ آل ناجح ، وفيه أقسام كثيرة أهمها :

آل يزيد ، وهم رؤوس عسير ، ومنهم آل عائض
 آل تمام آل فلاح آل الحاج
 (٢) لخذ آل عبد العزيز ، وفيه أقسام أهمها :

آل مفرح العسرة آل سكران
 آل القبعي القسدر آل بوسراح
 آل مشية آل ضبعان آل ضحية
 (٣) لخذ آل وازع ، وفيه عدة عشائر أهمها :

آل ويمين آل بدلة آل العكاس
 (٤) لخذ مغيد الوطى وفيه عدة عشائر أهمها :

الشرف بنو جعفرى أهل الشف

٣ - نسب آل عائض

وبمناسبة ذكرنا لبني مغيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عائض من آل يزيد :

مؤسس الأسرة ومنشئ حكمها عائض بن مرعى من أهل ريدة من آل يزيد من بني مغيد . وقد تسلم الحكم من علي بن مُجَلَّل كما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

(١) في كتابي « قلب جزيرة العرب » جمعت هذه الألفاظ سبعة ، ولكن تحرياتي الشخصية دلتني على أن تصبى المال هو المتمد . انظر ص ١٩٦

وخلّف عائض خمسة أولاد، هم :

- (١) محمد بن عائض ، وقد خلّف ثلاثة أولاد هم : علي ، وعبد الله ، وعائض .
- (٢) عبد الرحمن بن عائض ، وقد خلّف ولداً اسمه محمد بن عبد الرحمن توفى في الرياض منذ بضع سنين ، وله أربعة أولاد هم : حسن ، وناصر ، وعبد الله ، وعائض . والأول من الأولاد في « أبها » والثلاثة الآخرون في الرياض .
- (٣) سعيد بن عائض ، مات ولم يعقب .
- (٤) سعد بن عائض ، مات ولم يعقب .
- (٥) ناصر بن عائض ، خلّف أولاداً لم ينسب منهم إلا واحد اسمه « محمد » له ولد حتى حين كتابة هذا الكتاب .

أما أولاد محمد بن عائض الثلاثة فإن أحدهم (عائض) مات ولم يعقب .

وأما علي فله ثلاثة أولاد ، هم :

- (١) الحسن ، وهو آخر أمير من آل عائض ، يقيم حالياً في الرياض .
- (٢) عائض ، له ولد اسمه يحيى ، أما هو فقد مات .
- (٣) محمد ، مات ولم يعقب .

وأما عبد الله بن محمد بن عائض فله ثلاثة أولاد ، هم :

- (١) عائض ، مات بالرياض ، وله ولد .
 - (٢) سعيد ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .
 - (٣) حسن ، مقيم في أبها ، وليس له أولاد .
- والأحياء من آل عائض حين كتابة هذه الأسطر هم :

١ — ستة أشخاص يقيمون في أبها ، هذه أسماءهم :

- (١) سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض .
- (٢) حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض .
- (٣) حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عائض .

(٤) يحيى بن عائض بن علي بن محمد بن عائض .

(٥) ولد محمد بن ناصر بن عائض .

(٦) ولد عائض بن عبد الله بن محمد بن عائض .

ب — أربعة أشخاص يقيمون في الرياض هذه أسماءهم :

(١) حسن بن علي بن محمد بن عائض (أمير عسير السابق) .

(٢) ناصر بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

(٣) عائض بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض .

ثانياً : بطن علكم من عسير : أفادوني أن هذا البطن يتفرع إلى ستة أقسام هي :

(١) بنو مازن (٤) بنو المقرن

(٢) أهل القصير (٥) ثلاثة عبدل

(٣) آل سعيدى (٦) أهل عضاضة بقرب الشف .

ثالثاً : بطن ربيعة ورقيدة : يتألف هذا البطن من قسمين لا أشك في أنهما

من العشائر المتحالفة ، ولست أدري ما الصلة بين ربيعة ورقيدة وبين استعمال الاسمين

كلم لبطن واحد . إن اسم ربيعة فاش بين قبائل العرب ، وقد عددت خسا منها

تحمله وقد يكون هنالك غيرها . وكذلك رقيدة فإبه علم لعشيرة من قبيلة قحطان .

وعلى كل حال فإن هذا البطن ينقسم إلى فخذين :

١ — فخذ ربيعة ، وفيه أربع عشائر هي :

(١) تيهان (٣) بنى غنى

(٢) آل شدادى (٤) آل عاصم

ب — فخذ رقيدة ، وفيه خمس عشائر هي :

(١) آل الحارث (٣) أهل طلب (٥) الرقتين .

(٢) التلالدة (٤) أهل القال

رابعاً : بطان بنى مالك : هذا الاسم فاش أيضاً ، فهناك بنو مالك فى جبال تهامة بقرب العبادل وقيّما وبالخارث ، وهناك بنو مالك جماعة ابن فاضل بين زهران والطائف ، وهناك هذه القبيلة من عسير ، وأما أقسامها فهى :

- ١ - آل المجمل ٥ - آل رميان
- ٢ - بنو رزام ٦ - بنو مُنَبِّه
- ٣ - بنو ريعة ٧ - آل يعلى ، ومنهم أحمد بن مُعَدَّى أمير بنى مالك
- ٤ - آل الجبشى ٨ - التلادة

٤ - القبائل التابعة لعسير

يسكن فروع قبيلة عسير ويخالطها طبقات من القبائل التى تحسب أدنى فى المستوى الاجتماعى وأقل اعتباراً من القبائل ذات الشوكة والسطوة ، وهى لا تنحصر فى بلاد عسير فحسب ، بل إن منها فروعاً فى بلاد شهران وقمطان ورجال الحِجْر . والظاهر أن ضرورة المجتمع البشرى وطبيعة العمران أوجبت إيجاد هذه الطبقات التى تكسب بعرق جبينها من أعمال دنيا فى نظر القبائل الأخرى رغم ضآلة الفروق الموجودة بينها وبين تلك القبائل من ناحية طرق للعيشة وقلة العناية بالكفافة فى الزواج والنسب .

ولهذه القبائل درجات بعضها فوق بعض . فمنها ما هو — فى طراز معيشته — أقرب إلى القبائل ذات السطوة ، ومنها ما هو أقرب إلى الصناع والخدع والمستجدين ، ومنها ما هو كالفجر يكسبون قوتهم من الاستجداء أو المدح أو القيام ببعض الأعمال الحقةرة . وقد ذكر لى من هذه الطبقات ما يأتى :

- ١ - البلاحة : وهم مثل الفجر مداحون مستجدون . ومنهم أفراد لهم مكانة لا بأس بها من حيث الكرم وحسن الضيافة والمقام بين الجيران ، ومنهم الشعراء المداحون ، لقيت أحدهم فى قرية الملاحة فأنشدنى كثيراً من الشعر النبضى عن وقائع عسير وآيام محمد بن عائض ، وبينها قصيدة فى مديحى ومديح الحكومة . وقد قابلنى

مرة أخرى بمكة فوجدته على عهدي به مذاحاً قوالاً حسن العشرة مريع البديهة
٢ - الكحلة : طبقة أرق من البلاحة ، وهم في نظامهم الاجتماعى يشبهون
القبائل ذات النسب ، غير أنها لا تناسبهم ولا تتزوج منهم .

٣ - الهتان : وهم في عير مثل « هتيم » في الحجاز ، أى من طبقة
القبائل المنحلة .

٤ - الدّواسر : أصلهم من الأرقاء والصناع والخياطين . وهم — بالطبع —
بخلاف الدواسر ذات المصيبة والمكانة والمنعة في وادى الدواسر ونجد ، فأولئك
من أشرف طبقات العرب .

٥ - طبقة الصناع : من يُحِبُّ وخرّاز وحداد ومبيض وبرّام . وهم لا يتناسبون
إلا فيما بينهم .

٦ - الفيوض : وهم العمال الذين يشتغلون في حياكة النسيج اليدوى الخشن ،
ومنهم طبقة أدنى من الجميع يسمونها : الخدمان ، أى الأجراء .

٥ - قبيلة ربيعة اليمن

جرى العرف في سائر بلاد السراة وقحطان وشهران على أن يكون لكل قبيلة
في السراة أتباع في تهامة . فقبيلة عسير يتبعها في تهامة من القبائل العظيمة قبيلة رجال
المع . ولكن بالنظر لأهمية هذه القبيلة أفردنا لها بحثاً خاصاً ، لا سيما لأنها من ناحية
العدد والمدة قد تقرب من قبيلة عسير إن لم ترد عليها ، ولا شك في أن التبعية إنما
هى فى السلطان السياسى أكثر منها فى الحالات والعادات الاجتماعية والنسب .

وقد ذكر لى كبار عسير أن فى تهامة أربعة أقسام تتبع القبيلة ، وتقع بالأخص
بنى مفيد أو علسكم ، وتبعيتها لبنى مفيد أكثر ، وهى :

١ - المضَيَّيون . وهم قرييون جداً إلى بنى مفيد .

٢ - أم نفلة . ويتبعون علكم .

٣ — أهل وادى مَرَبَة . ويتبعون عليكم وبنى مفيد .

٤ — ربيعة اليمين . وتحسب من ملحقات بنى مفيد ، وهى المقصودة ببحثنا الحالى نظرا لمحببتها وغرابة عاداتها وبعدها عن سائر أسباب الحضارة والمدنية .
تقيم ربيعة اليمين فى وادى ضَلَك إلى الجنوب الغربى من « أبها » على بعد منها ، وتمتد منازلها حتى درب بنى شعبة فى أسفل الوادى بعد التقائه بوادى عَتود التهاى .

ويبلغ عدد أفراد القبيلة نحو ألفى نسمة . وهى مازال على حالة البداوة فتسكن فى مغائر أو خشش بين الصخور ، أو أكواخ مشيدة من الحجارة الموضومة المخطّاة بالخصف أو بقطعة من قماش . وقد يكون للسكوخ باب صغير جداً يدخل منه المرء حائياً على ركبتيه .، إذ لا أبواب ولا مزاج ولا أقفال ، وهى أكواخ ثقالة ، تنقل من مكان إلى آخر تبعاً لحركات القبيلة بحثاً عن المرعى . وتعيش القبيلة على تربية المواشى ، ولا تحسن الزراعة مطلقاً .

ولربيعه اليمين خمسة فروع هى :

(١) آل زعبة	(٣) الفراحنة	(٥) آل وائلة
(٢) آل غراب	(٤) البوّاح	

٦ — عادات غربية فى قبيلة ربيعة

سمعت من أخبار هذه القبيلة وعاداتها التريبة شيئاً كثيراً زاد معه شوقى إلى مشاهدة أفرادها من الجنسين ودرس طباعهم وأخلاقهم وتسقط أخبارهم لتفككة قرأى به ، فاعتنمت فرصة الأسواق الأسبوعية فى « أبها » أيام الثلاثاء من كل أسبوع لمقابلة بعض من يحضر السوق منهم ، والتقاط صور بعضهم وسؤالهم عن أحوالهم ، وفوّقت إلى أشياء كثيرة أوضحها فيما يلى :

تعيش القبيلة حياة بدائية غاية فى الممجية والوحشية . طعامها خشن ، ولباسها بسيط يتخذ للستر أكثر منه للتدفئة والزينة ، ومساكنها — كما ذكرت فى النبذة

السابقة — مساكن القرون الأولى وهى مجالها الحاضرة بعيدة قرونا كثيرة عن حالة الحضر من أهل المدن الحجازية بله غيرم من سكان المدن الكبرى .

أما طعامها فنوع من « المريكة » أو « المصيدة » أو الخبز والسمن . ويندر استعمال القمح بين ربيعة ، وكذلك اللحم فإنه ترفه لا يتناولونه إلا فى الأعياد والمواسم أو فى حفلات الختان والولائم وما شابه ذلك . والخبز والمريكة يصنعان من الشعير أو الذرة أو الدخن ، ويمصد الدقيق بالماء على النار ثم يسكب فى مواعين خشبية غالبا ونحاسية حيناً ، وتحفر وسط المصيدة المسكوبة فى الماعون حفرة صغيرة تملأ بالزبد السائلة أو السمن السائح ، فيلتقم الإنسان قطعة من المريكة يغمسها فى السمن ثم يزدرداها .

وأما لباسها فنزر (فوطه) يحيط بالقسم الأدنى من الجسم ، ويربط حول الخاصرة بسبته أو بخصفة أو بعقد طرفيه دون حاجة إلى حزام . وهو لباس الرجال والنساء . وتختص المرأة علاوة على ذلك بلباس يشبه الصدرية القصيرة تلبسه فوق القسم الأعلى من جسمها ، وأحياناً يكون هذا اللباس مثزراً آخر أو مسفعا يُلف — مثل رداء الإحرام — حول الكتفين أو إحداهما وحول الظهر والصدر ، وقد تكون الصدرية قصيرة لا تبلغ حدّ المئزر الأدنى ، فيبقى قسم من البطن والخاصرة مكشوفاً لا يستره لباس .

وغطاء الرأس عند النساء قبعة من الخوص يسمونها (طَفَشَة) وهى على نوعين :

(١) ذات كنار عريض ، ويختص بها أهل تهامة حيث الشمس محرقة جداً .

(٢) ذات كنار رفيع تتوسطها أسطوانة بارزة تجعلها أقرب فى شكلها إلى انقبعات

الأسبانية الأندلسية أو قبعات « السيلندر » لولا أن هذه من الحرير وتلك من الخوص .

أما الرجال فلا يغطون رؤوسهم بل يصفرون شعورهم أو يتركونها على طبيعتها

منفوشة بصورة تلقى الذعر فى القلوب . وقد يربط الشعر بسبته تمسكه منعاً لتحريك

الرياح له ، وقد يكون الرباط من أزهار البُرْك أو الشيع أو غيرها .

و يتقلد الرجال خناجر طويلة تسمى « جنبية » . وهذه الجنابي مختلفة الأشكال بعضها طويل جداً يشبه السيف القصير ، وبعضها كالخربة المحدبة ، وبعضها كالخناجر الحجازية أو اليمنية ، وأكبر الخناجر هي التي يابسها أفراد رجال ألمع .

ومن أزدل عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجال والنساء من الأبقار والثيران . وقد روى لي عن ذلك روايات أخشى أن يكون مبالغاً فيها كثيراً بسبب النهم الشنيعة التي يوجهها بعضهم إلى هذه القبيلة وسواها من قبائل تهامة قبل قيام الحكم الحالي الذي قضى على هذه العادات الجاهلية وضرب على أيدي مرتكبيها بيد من حديد . وقد لا تنزوج المبكر زواجاً شرعياً قبل أن تكون قد ولدت ولداً أو أكثر سفاهاً ، والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنت ذات الرقم القياسي في عدد أولاد السفاح . ويسمى ولد السفاح عندهم (ولد الهيجة) وفي لهجة أهل البلاد (ولد أمهيجة) والهيجة هي النيسة أو الغابة ، أي الولد الذي ولد في الهيجة وليس على فراش أهله . أمّا المزوجات فإِنَّهن محصنات لا يعرفن الباطل ولا السفاح ، ومجرد زواج المبكر أو الثيب يلقى عندها ستراً كثيفاً من الحصانة والحرمة والقدسية . وقد روى لي أن رجلاً غافل متزوجاً في ليلة كانت فيها متعبة نائمة ، فلما عرفت بالأمس ظلت تنعقبه مدة إلى أن ظفرت به وقتلته رمياً بازصاص دون أن تطالب بدينه لأنها قلته دفاعاً عن العرض والشرف . ولا أشك في راوى القصة ، بل اعتبره شاهداً عياناً لأنه اشترك في تسوية الحادث نظراً لمقامه عند القبيلة .

ومن أحسن عادات هذه القبيلة :

(١) إكرام الضيف .

(٢) الحشيدة الثلاثة والقرعة لهم : الخوى والضيف والرفيق إلى أن ينصرف

من الديرة أو إلى أن يهضم طعامه

(٣) المحافظة على أعراض المزوجات .

(٤) حفظ جميل الحسن والإشادة بذكوره .

غير أن أخبث وأفظع العادات الوحشية عند ربيعة اليمين عملية « الختان » ، وهي طريقة فظيعة تنبؤ عنها الأذواق وتمجّحها الأنفس . والختان هو سلخ جلد العانة من أسفل السرة إلى أواسط الفخذين بما في ذلك الفرج ، ويكون إجراء العملية في جمع حافل من رجال القبيلة ونسائها ، شبيها وشبانها ، بناتها وأطفالها ، تتجلى فيه سماجة الذوق والوحشية .

لم تكن عادة السلخ محصورة في ربيعة اليمين ، بل كانت فاشية في أكثر قبائل تهامة عسير ، ولكن الحكومة الحاضرة قضت عليها وشدّدت التكبير على مرتكبيها فلم يبق من آثارها إلّا القليل الزائل ممّا لا يتصل خبره بالحكومة .

وقد شرح لي بعض من شهد حفلة الختان عند ربيعة مراسم إجرائها ، فرأيت تدوينها فيما يلي :

عيد الختان من أعظم الأعياد والمواسم ، ونظراً للأخطار التي يتعرض لها المحتن فإن كثيرين يؤخرون ختانهم سنوات كثيرة قد تصل إلى العشرين أو أكثر ، ولا يجوز ختان من لم يكن بالغاً ، ويعين للشبان الطالبين موعد الختان ومكانه ، ويدعى إليه سائر القوم رجالاً ونساء ، وتنحدر الأبقار والأغنام من ضأن وماعز بهذه المناسبة . وذكر لي أنه حدث وقائع ختان كان الأولاد يحضرون فيها ختان أبيهم مما يدل على أهمية الحادث والتخوف منه . لأنه في الحقيقة ضرب من الوحشية الخطرة التي تتطلب الشيء العظيم من الشجاعة والجلد والصبر على الآلام ، وتفضي إلى الموت أحياناً كثيرة .

يقف الشاب الذي ينوي الاختتان فوق دكة مرتفعة في محضر من النساء لاسيما الأبكار الراغبات في الزواج ، ولا يكون على الشاب من الثياب ما يستتره ، بل تكون عورته بارزة من غير حياء ولا خجل . إنها وقفة جبّارة تمثل لنا عهد الأبطال الخرافيين أمثال « أبو اللو » و « هرقل » ، يقف الشاب متكئاً بيده اليسرى على رمح قصير يتخذة عكازاً يستند إليه عند شدة الألم ، ويحمل بيده اليمنى حنينة

كبيرة بسميها قوم ربيعة « ذريعة » أو « معيرة » ، ويرفع الشاب رأسه منادياً معتزياً، بينما سكن الجراح تعمل في جلده تقطعه شريحة إثر أخرى . هذا مقام يتبارى فيه الأعداء ، فن اختلاج أو صاح أو بكى أصابته سبة من العار إلى الأبد ، ومن اختلجت أطرافه أو ظهرت عليه علامت الخور والضعف ، فهو جبان رعديد لا كرامة له بين الناس ، وإيس هو بالبطل الذي يستوى قلب المرأة فتعتبر اتخاذه بعلاها من دواعي فخرها . ومن شدة إغفالهم في اختبار جلد الشاب قد يذرون رملاً ناعماً فوق رجليه ، فإن ثبت الرمل عليها اعترف ببطولته ، وإن اهتز أو انتثر فذلك دليل الخوف والرعب والاختلاج من الألم ، والعار كل العار لمن كان هذا شأنه .

ولا يقف المسلوخ ساكناً ، بل عليه أن يعتزى إلى قومه إن كان أصيلاً ، وتكون العزوة غالباً إلى أخواله . وكثير من أولاد السفاح يعتزون بأنهم أولاد « الهيجة » لا أولاد الهيجاء . وقد يطلب الشاب شريحة من جلده ليمسكها على ذكر قوم لم عليه يد أو منة . والبنات يقفن أمام المسلوخ بشجونه ويثبتن عزمه بينما عملية القطع والسلخ سائرة دون توقف ، وقد ينادينه بكلام مشجع مفر إلى أن تنتهى العملية الجهنمية . وكثيراً ما يموت الشاب قبل إتمامها ، وطويل العمر من سلم منها ، ثم عليه أن يتحمل أياماً أخر حتى تشفى جراحه . عجب أمر هذا الجنون في الوحشية ، ولكنها التقاليد والخرافات والأوهام تتسلط على أفكار البسطاء والجهلة فتجملهم ويمرون توافه الأمور أهمية لاحد لها . ولم أستطع الغور إلى أصل أسباب عادة السلخ ، ولم أجد سبباً مقولاً يفسرها سوى استهداف تربية الشاب على تحمل المشاق والأموال بدون تذمر أو خوف أو وجل كما كان يجري في « أسبارطة » بموجب قوانين « ليكورغ » الأسبارطى ، وإلا فما معنى طلب المسلوخ لشراخ من جلده يباهى بها صارخاً معتزياً مفتخراً بأن هذه على شرف أعمامه ، وتلك على شرف أخواله ، وهاتيك على شرف من قدم له يداً أو مساعدة ، وأخرى على شرف « الهيجة » ذات المقام الرفيع ؟!

بعد انتهاء عملية الختان أو بالأحرى عملية السلخ يصبح للشاب ملء الحرية في العويل والصياح والتألم والنحيب بقدر ما يريد . ألم يحز لقب البطولة ؟ . ألم يتحمل آلامه بكل ثبات وشجاعة ؟ ، إذن لا تثريب عليه ولا حرج بعد ذلك .

وفصل التداوى مأساة أخرى مؤلمة كفصل الختان ، والسلوخ الذى يسلم من عملية السلخ قد يقع فريسة بين براثن جراحه المتعقبة ، وكثيراً ما يطول أمد شفائه إلى سنة . وأما العلاج فبسيط جداً : ملح الطعام يذرّ على الجراح للتطهير ، أو نوع من مسحوق الحجارة الخصوصة التى يمزج بها نوع من الأعشاب البرية . هذا كل طب « ربيعة » فى معالجة جراح السلوخ .

روى لى محدثى عن تعيير الشبان بعدم الصبر أثناء عملية الختان أنه كان قادماً من تهامة عام ١٣٤٩ هـ ، فوصل ديرة « ربيعة » فأخبر أن عندهم اجتماعاً كبيراً للنظر فى قضية ناشئة عن تعيير أحدهم لشاب بسبب اختلاج رجله وقت ختانه ، فحقد على معيِّره وقام عليه فقتله انتقاماً منه على إشاعته الكاذبة ، وكان الاجتماع كمجلس قضائى عادل للحكم فى شأن هذا الشاب : هل اختلج أثناء العملية حقاً ؟ ، وكان سؤال رئيس الاجتماع للمحلفين : « هل اختلج أو لا ؟ » فإن كان قد اختلج فعلى القاتل الدية وإن كان لم يختلج فلا تلزمه الدية ، وكان قول المحلفين أن الشاب لم يختلج ، وكان الحكم النهائى أن القاتل غير ملزم بدية القتل .

الفصل الثالث

عمران عسير

خصب التربة وغناها - الطرق والمواصلات - أبنائها وفلاحتها - قرى عسير

١ - خصب التربة وغناها

القسم الهام من الأرض الزراعية في عسير مؤلف من مجارى الشعيان والأودية ومن منخفضات الجبال والفجوات بين الهضاب . والأرض على الإجمال خصبة قوية الإنبات ، غير أنها محتاجة إلى المياه ، فإذا أمطرت السماء أخضبت الأرض وأنبت محصولاً عظيماً . وقد شاهدت مدة إقامتي في عسير أن الممول في الزراعة على مياه الأمطار ، فإذا لم ينزل الغيث لم يتمكنوا من زرع الحبوب في الأماكن التي لاتصل إليها مياه الآبار . وعلى فرض تمكن الأهالي من استثمار ما تسقيه المياه المستخرجة بالسواني من الآبار الواقعة حول مجارى الأنهر ، فإن كميات المياه في الآبار ذاتها تقل جداً ، بل إن كثيراً من هذه الآبار ينضب في فصل الصيف . وقد كانت سنة زيارتي لأبها سنة قحط شديد قلت معه الحاصلات الزراعية وتلاشت الماشية ، حتى لقد كنا نشاهد قطمان الماشية سارحة في البرية لاتستطيع اجتياز ممر السيارة دون أن يذهب بعضها ضحية الدهس ، بسبب هزالتها وضعفها الناشئ عن قلة المرعى .

وكان من أثر ذلك أن احتاط أهل عسير وسائر بلاد السراة بخزن الحبوب في آبار خاصة تحت الأرض لاتصلها الرطوبة ولا يتسرب إليها السوس ليقتاتوا بها في السنوات ذات الإنتاج الضعيف . أما إذا جادت السماء بغيث كاف فإن الخيرات في عسير تكون عظيمة جداً .

وأهم زراعة يعنى بها الأهليون القمح والشعير والذرة ، وقليل مالم الذين يزرعون الدخن بخلاف أهل تهامة . ولا يهتمون بزراعة الفاكهة إلا قليلاً في جوار أبنائها حيث

توجد شجيرات من التين والمان والتفاح والخوخ والعنب . غير أن أشجار الموز والبن تنمو جيداً في الأقسام الغربية من جبال عسير ، ولكنها ليست من السعة وعظيم المحصول بحيث تكفي الأهلين احتياجاتهم . ومن غريب ما لاحظت في زراعة البن أنها لا تزهر إلا على ارتفاع معين من سطح البحر ، فإن تعدته لا تثمر ولا تبيض ، ولا تنبت كذلك إلا على السفوح الغربية لمرتفعات عسير واليمن ، أما المرتفعات الشرقية فلا تنمو فيها أبداً . والظاهر أن سبب ذلك جفاف جو السفوح الشرقية ، بينما جو السفوح الغربية رطب .

القمح والشعير هما المحصولان الرئيسان في البلاد ، وعليهما المول ، وما عداهما ثانوى في نظر الأهلين ، لا يشكل قسماً مذكوراً من غذائهم اليوى .
والعسل من المنتجات الهامة في عسير ، إذ يتكاثر النحل فيها تكاثراً عجيباً ، ومنه أنواع يجنى منها عسل ناصع البياض بلون السكر النقي ، وقد حلت نموذجاً منه في عودتى إلى الحجاز ، فعجب سائر الذين ذاقوه من منظره وتكلمته . وهم يسمون العسل الأبيض : (مَجْرَى) والأحمر : (شوكة) .

أما الحاصلات الحيوانية فهي الغنم والبقر والماعز . أما الإبل فلا توجد في بلاد عسير نظراً لصعوبة الأرض ووعورتها من جهة ولضيق المراعى وشدة البرد من جهة أخرى . وجميع نتاج الحيوان يستهلك محلياً إلا في سنوات الخصب فإنهم يصدرون السمن والغنم إلى الجهات المجاورة . ويمكن وصف هذه البلاد بأنها تكفى نفسها ولا تحتاج إلا إلى الأقمشة والأبازير ، أما الآلات قليلة الاستعمال لاستثناء أهل البلاد بالمصنوعات المحلية عنها .

وتوجد في عسير معادن أهمها الحديد الموجود في جبل « تَهْلَل » بجوار السودة ، زاره المهندس المرافق لنا ، ويبعد عن أبها مسافة عشرين كيلومتراً إلى الغرب ويبعد عن قرية السودة حوالى أربعة كيلومترات ، وهو جبل مرتفع مكسو بالأشجار

العسكرية بطريق بارق ومحائل ، وهى الطريق التى كانت تخترقها الجيوش العثمانية . ولذلك فإن « محيى الدين باشا » آخر متصرفى الأتراك فى عسير قد مهد هذه الطريق من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع ، ولكن العقبة نفسها حاجز عظيم فى سبيل المواصلات ، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق ومحائل . وقد بلغنى أنه كان فى نية محيى الدين باشا إكمال تمهيد الطريق إلى القنفذة ، غير أن احتلال الأشراف والإدريسي لتهامة والقنفذة حال دون تنفيذ عزمه . وتبعد شعار عن أبها مسافة ٢٨ كيلومترا .

رابعا — طريق الحجاز : عن كتف السراة مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة إلى بلاد بالأحر وبالأسرو وبني عمر حتى بلاد بنى شهر فغامد فزهران إلى الطائف . وهى طريق للشاة ، وخاصة أهل الجبال ممن لا يطيقون حر تهامة فى الصيف .

خامسا — طريق شهران : وهى التى سلكتها فى قدومى من خميس مشيط إلى أبها ، وهى صالحة لسير السيارات ، تمدها محيى الدين باشا أيام الحرب العامة ، ويبلغ طولها من أبها إلى الخميس ٣٥ كيلومترا كما سبق بيانه .

سادسا — طريق اليمن : تسير من بلاد عسير فى اتجاهين : أحدهما عن طريق شهران ثم تنحاز إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان ، والآخر من عسير رأساً إلى تمنية ومنها إلى ديار قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة ، وهذه الطريق أصعب الطرق وأكثرها وعورة .

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولى العهد طريقا لسير السيارات من أبها إلى خميس مشيط فطريب فوادى تثليث فوادى حبونة حتى نجران ، كما اكتشف طريقا أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحيث إن السيارات اجتازتها بكل عناء .

والمواصلات التليفونية والتلغرافية مفقودة فى عسير ، لكن فيها مركزا لاسلكيا هاما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية .

٣ — مدينة أبها

حينما اجتازنا وادى « مشيع » ورقينا الهضبة التى تفصل بينه وبين الحزوم التى قامت عليها مدينة « أبها » ، رأينا منظرا جديلا لمجموعة من القرى أو الحلال المنشرة على ضفاف الوادى المتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى والمشهور بوادى « خبيبي » أو وادى « أبها » . وتمثلت لنا المدينة الشهيرة فى التاريخ الحديث بوقائعها الحربية وحصارها الطويل عام ١٩١٠ وحصارها الأخير طوال مدة الحرب العامة ، وأوحت إلينا — فى الوقت نفسه — بشعور منبعث من القلب ممزوج بنفحة من الأسى والحزن على ما أصابها من تخريب وتدمير خلال النكبات التى حلت بها ، ولمسنا الشاهد على ذلك فيما رأيناه من أطلال القلاع والأبراج المحيطة بها فى أعالي رموس الجبال المحيطة بأبها وواديها إحاطة السوار بالمعصم .

« أبها » ، قاعدة عسير ، كانت مركزاً لحكم آل عائص وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها . وهى مقر إمارة السراة فى عهد حكومة الملك عبد العزيز آل سعود وهى فضلاً عن ذلك سوق عير الشهيرة التى تقعد يوم الثلاثاء من كل أسبوع فى ساحة متوسطة بين مجموعة القرى التى تتألف منها المدينة .

كان اسم أبها فى القديم « مناظر » ، ومناظر الآن حلة من أحياء المدينة ، وقد تكون مناظر أصل البلدة القديمة ثم توسعت حدودها واستطاعت رقعتها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها .

تتألف أبها فى وقتنا الحاضر من عدة قرى ممتدة على أطراف وادى أبها من أعلاه فى جهة الجنوب الغربى إلى مصبها فى جهة الشمال الشرقى . وهذه أسماء القرى والأحياء اعتباراً من المنبع إلى المصب .

وقد أغفلنا قرية اسمها « العتران » لأنها لا تحسب من أبها بالذات :

(١) الفتاحة ، فى علو الوادى إلى جهة الشرق منه .

(٢) القرى .

(٣) نعمان .

(٤) الربوع وهي حلة كانت فيها سوق تعقد يوم الأربعاء فسميت بها .

(٥) شذا ، وفيها القصر الذي بناه محمد بن عائض حينما نقل مركز حكمه من ريدة إلى أبها ، وليس فيها — في الواقع — سوى قصر ابن عائض وقصر الحكومة الذي بنى على أطلال الثكنة العسكرية العثمانية ، ومركز اللاسلكي .

(٦) مناظر ، وهي أصل المدينة كما أسلفنا .

(٧) البديع .

(٨) الخشع .

(٩) النصب .

(١٠) مقابل ، وهي القرية الوحيدة القائمة على الجانب الغربي للوادي . وقد كان فيها مسكن متصرف عسير سليمان شفيق باشا ثم محيي الدين باشا ، وكان يصلها بأبها جسر حديث قد تهدم الآن وهُجر .

كانت أبها مدينة زاهية زاهرة بسبب كونها مركزاً للحكم العثماني في السراة ومقرًا للفرقة العسكرية ، ولكنها منيت بنكبات كثيرة ألحقت بها أفدح الضرر وأخرتها إلى الوراء سنين طويلة .

أما الثكنة الأولى فقد أصابها عام ١٩١٠ م — ١٣٢٨ هـ . حينما ثار السيد محمد علي الإدريسي حاكم تهامة على حكم الدولة العثمانية وأنفذ ابن عمه السيد مصطفى الغربي الإدريسي لحصارها ، فشدد عليها الحصار حوالي ثمانية أشهر ، إلى أن وصلت النجدة من الحجاز بقيادة الشريف حسين أمير مكة لذلك العهد ، فإنه وصل إليها في أواسط رجب ١٣٢٩ هـ

وكانت قوات الإدريسي محاصرة لها منذ ذى القعدة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) . ومع أن الحصار دام طويلاً ، فقد اقتصر الأمر على الغلاء ، نتيجة فقد المواد الغذائية دون أن يلحق بالمدينة تدمير أو تخريب .

والنكبة الثانية أصابها أيام الحرب الكبرى حين ظل محي الدين باشا متصرفا لمسير بعد انتفاض الشريف حسين على الأتراك وانقطاع المواصلات بين عسيرة والبلاد العثمانية ، فعمل محي الدين جهده لتخفيف ويلات الحرب والحصار المضروب عليه ، فعامل الناس بالحسنى وقرب القلوب إليه ، فانضوى جميع أهل عسيرة تحت لوائه ، وكانوا عذته في الشدائد والأهوال التي مرت به ، وقد أجرى لهم طائفة من الإصلاحات العمرانية وبنى في البلاد فلعا وأبراجا كثيرة لتشغيل اليد العاملة ، غير أن نطاق الأعمال كان ضيقا ، والغلاء كان فاحشا .

والنكبة الثالثة وقعت عقب الحرب العامة وزوال الحكم العثماني من البلاد ، حين هاجمها الأمير عبد العزيز بن مساعد بجند من متمسبة الإخوان أيام كان الإخوان إبان اشتداد غلوهم ، ففعلوا في أبها الأفاعيل ، وخربوا كثيرا من معالم العمران . حتى لقد هدموا الأسيلة التي يستقى منها الناس بحجة أنها قباب . وهدموا بعض البيوت بدعوى أنها بيوت أخصامهم وهم في حاجة إلى الخطب فاستعملوا خشبها وقودا ، وكسروا آلات الخياطة لأنها من أعمال السحر ، وحطمو المراكب الكبيرة لأنهم لم يعرفوها . وقد روى لي بعضهم في هذا الشأن قصة طريفة ، وذلك أن والد مترك بن شفلوط من كبار قحطان دخل بيتا كبيرا فتخيل أمامه رجلا يعترض طريقه ، فأتهمه ، فأجابته ذلك بالمثل ، فرفع يده بسيفه ، فقابلته بمثل حركته ، فما كان منه إلا أن أسرع الخطى نحو مبارزه ، وباده بضربة تردد صداها في سائر البيت ، واجتمع الناس على صوت امرأة تتحطم من ضربة سيف ابن شفلوط الذي تخيل خياله التمعكس في المرأة عدوا مبارزا .

والنكبة الرابعة والأخيرة وقعت عقب غزو الأمير فيصل نجل الملك عبد العزيز لأجل إنقاذ فهد القبلي من الحصار . فقد ترك أبها بعد أن أمر عليها رجلا اسمه ابن عفيصان ، ثار عليه الحسن بن علي بن عائض ، وحاصره في قصر شذا مدة طويلة إلى أن وصلت التجندات من نجد وفككت الحصار عنه ، فما كان منه بعد فك الحصان إلا أن أدب الجرمين وهدم منازلهم ، وكذلك فعل بالسكنات والقلاع

والأبراج المحيطة بأبها . وكانت هذه النكبة ثالثة الأنافي التي أتت على كل آثار الحكم العثماني في البلاد .

وبعد هذه النكبات المتوالية بدأت أبها بالانتعاش مرة أخرى . وقد ساعد على إنعاشها استتباب الأمن واستقرار الحكم من حين اتخاذها قاعدة لجميع الأعمال العسكرية في تهامة واليمن . وكانت الجيوش تذهب وتجيء إليها وتترك فيها من النقود ما استعداد به أهلها ثراءهم وبعض ما فقدوه في الفتن السابقة . حتى إن تعداد أبها قد بلغ إبان اتخاذها قاعدة للأعمال العسكرية حوالى خمسة عشر ألفاً عدا الجند والموظفين ، ولكنه الآن لا يزيد على ثمانية آلاف .

قلنا إن أبها بليت بنكبات كانت أولاها في حصار الإدارة لها عام ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م . وقد فطن الأتراك بعد ذلك إلى أن سبب ما أصاب سليمان شفيق كالى باشا اعتماده في الدفاع عنها على مواقع قريبة فيها ، بينما كان في الإمكان تحصينها تحصيناً قوياً يساعد عليه موقعها الطبيعي والجبال والهضاب المرتفعة المحيطة بها من كل جانب ، فشمروا بعذد عن مساعد الجد ، وبنوا حولها سلسلة من القلاع على رموس الجبال وصلوا بينها بأبراج للرماية والحصار الأولى ، فأصبحت من أحصن المدن . وكان من نتيجة ذلك أن ثبت فيها الأتراك مدافعين بل مهدين للإدريس وللشريف طوال سنى الحرب .

والقلاع الرئيسية التي تحفظ أبها ثلاث :

(١) قلعة ضائع : وهي حاكمة على وادى ضلع ومدينة أبها ، بحيث لا تستطيع أية قوة أن تصعد من تهامة دون أن تتعرض لمدافع ورششات وبنادق المدافعين في تلك القلعة .

(٢) قلعة ذرة : وهو جبل مرتفع يكاد يكون منفرداً عما سواه ، ويرى من أماكن بعيدة جداً . (ذكر لى المهندس أنه رآه من السودة على بعد ٢٠ كيلومترا) ، وهو إلى الشمال الشرقى من قلعة ضائع . وقد بنيت فوقه قلعة كبيرة تحتمها أبنية محفورة

في بطن الجبل . وقد استفادت الحكومة الحالية من هذه القلعة ، وانخذلتها أول أمرها مركزاً للاستلصاق .

(٣) قلعة شميسان : إلى الشمال من أبها ، تحرس الطريق العام القادم من عقبة شعار ومن عقبة الصماء .

وتوجد بين القلاع سلسلة من الخفافير القوية القائمة على ردوس التلال لحراسة الطرق الموصلة إلى أبها وللدفاع عن القلاع أيضا . ويوجد بين ضلَع وذرة جبل مرتفع اسمه « أبو خيال » بنى فوقه مخفر حصين لحراسة طريق القلعتين .

وقد وصل محي الدين باشا بين أبها والقلاع بطرق متعرجة في أعلى الجبال وجعلها مزدوجة للذهاب والإياب ، وسير عليها المدافع والمركبات . وعلى الإجمال فإن أعظم عمل قامت به الحكومة العثمانية للدفاع عن أبها ، إنما قام به محي الدين باشا الذي يذكره كثيرون إلى الآن .

ويستق أهل أبها من الآبار المحفورة في الوادي ، ماؤها عذب لذيد ، وهوؤها نقي عليل . غير أنى لاحظت ثقل الجو نوعا في أبها ، فإن الغريب يشعر بالتعب من أقل نشاط يبدية فيها ، وإذا رقى درجاً أو هضبة صغيرة أدركه التعب الشديد الذي يمكن تسميته (التفحيم) أى ضيق النفس واللهة واشتداد ضربات القلب .

وأبها ، سوق عسير الدائمة ، وتمقد فيها سوق أسبوعية يجتمع فيها أهل القرى للبيع والشراء ، وأكثر من يفد إليها النساء وطالبوا الزواج . وسنذكر في الفصل التالي طرفا من عادات أهل أبها الاجتماعية .

٤ - قرى « عسير »

يكاد يكون كل بطن من بطون عسير الأربعة مستقلا في قراه وبلاده عن البطون الأخرى ، الأمر الذي يدل على تفاوت أصولهم . ومن القرى ما لها شهرة خاصة بسبب اتخاذها مركزاً حكومياً في وقت من الأوقات . مثال ذلك « طيب »

التي كانت مركزاً لحكم ربيعة ورفيدة (أى بلاد أبو نطقة) ، و « الشفا » التي كانت مركزاً لحكم آل يزيد ، و « ريدة » التي كانت مركزاً لحكم عائض بن مرعى تم انتقال ابنه إلى أبها وبنى « شذا » فكانت مركزه ، غير أن رديف باشا وبختار باشا أسرا محمد بن عائض في ريدة . و « حرمة » هى بلدة آل عائض أيضاً وهى التي هدمها الأمير فيصل بعد استيلائه على أبها بسبب فرار صاحبها الأمير حسن بن على بن محمد ابن عائض . من أجل ذلك ، رأيت أن أذكر فيما يلى قرى كل بطن من عسير على حدها :

أولاً : قرى بنى مالك من عسير :

١ - قرى ربيعة :

- | | |
|---------------|--------------------|
| (١) حجلة . | (٤) آل جرجر . |
| (٢) الفليس | (٥) آل بالنهان . |
| (٣) لمعان . | (٦) عددان . |

ب - قرى بنى منبه :

- | | |
|---|-----------------|
| (١) المعطف . | (٣) المجزعة . |
| (٢) سبل ، وهى قرية لأثير بن مُعَدَّى شيخ بنى مالك . | (٤) الجنفور . |

ح - قرى آل يعلى :

- | | |
|------------------------------|------------------|
| (١) العين . | (٣) الجمجاعة . |
| (٢) الحائلة العليا والسفلى | (٤) اللصة . |

د - قرى آل رميان :

- | | |
|---------------------|-----------------|
| (١) شوحط . | (٣) آل سفور . |
| (٢) منادر العين . | (٤) القعوة . |

هـ — قرى التلادة :

- (١) آل الشلفا .
(٢) آل جاهل .
(٣) مسلت .
(٤) صعبان .

و — قرى بنى رزام :

- (١) سوق السبت .
(٢) القرايات .
(٣) الشعب .
(٤) المجاردة .
(٥) الملاحة .
(٦) الفية .

ز — قرى آل مجمل :

- (١) صرور . (٣) الأفلاج ، وهي آخر وادي الملاحة قبل التقائه بأثانة .
(٢) حباد . (٤) المطفات .

ح — قرى آل الحبشي :

- (١) الخارجة .
(٢) العطفة .
(٣) آل أبي شوحطة .
(٤) قرين .
(٥) الفرسة .

ويبلغ عدد سكان هذه القرى نحو ١٥ ألف نسمة .

ثانياً : قرى بنى مغيد من عسير :

- بنو مغيد مختلطون لم أتمكن من تمييز قراهم بحسب فروع البطن :
(١) هضبة بنى جري . (٦) آل أبا الفلاح . (١١) العزيرة وهي قرنتان
(٢) آل منسم . (٧) جوحان . الحولة والسحيا .
(٣) العمارات . (٨) قاعد . (١٢) النصب .
(٤) الحصن الأسفل . (٩) العرين . (١٣) مدينة أبها وقد
(٥) الحصن الأعلى . (١٠) مشيع . وردت تفاصيل قراها

- (١٤) العثبان . (٢٣) الهياة . (٣١) آل القبيعي .
 (١٥) العالاية . (٢٤) القوزة . (٣٢) حرملة .
 (١٦) السحرة . (٢٥) آل مفرّح . (٣٣) ريذة .
 (١٧) آل زبدى . (٢٦) آل سكران . (٣٤) الضفغان .
 (١٨) آل عكاش . (٢٧) السقاوهى أربع قرى ، القرن (٣٥) ذا الفيى .
 (١٩) آل الحاج . والقعوة وآل تمام وآل فلاح (٣٦) لينوى .
 (٢٠) آل العلا . (٢٨) سعن آل ديمن . (٣٧) حَبُو .
 (٢١) آل الزنوة . (٢٩) اليزيدن . (٣٨) مسقام .
 (٢٢) الشبارقة . (٣٠) سعن آل يزيد . (٣٩) عَتْمَة .

ثالثاً : قرى ربيعة ورُقَيْدَة :

١ - قرى ربيعة :

- (١) المسقوى . (٧) زينة .
 (٢) مصولى . (٨) الزهرة .
 (٣) تيهان . (٩) الرملة .
 (٤) النجمة . (١٠) أم رهوة .
 (٥) الزهر . (١١) الدغل .
 (٦) الجور .

ب - قرى ريفية :

- (١) آل سعل . (٥) المسخية .
 (٢) آل محمود . (٦) المطف .
 (٣) شرمنى . (٧) طبب .
 (٤) آل مجل . (٨) الطلحة .

(٩) الثعلب . (١١) آل بجاد .

(١٠) آل العدامى . (١٢) آل القلعة .

٥ - ولريبعة ورفادة فى تهامة :

(١) بمرور . (٥) آل الحنيس .

(٢) ناهية . (٦) آل السحر .

(٣) المقبة . (٧) آل جحبش .

(٤) آل الذيب . (٨) آل فضيلة .

رابعا : قرى علكم من عير :

(١) وادى البيح . (٨) قرخة . (١٥) الحصان .

(٢) العين . (٩) النجاد . (١٦) الذيبة .

(٣) آل طرفة . (١٠) القصير . (١٧) المنخفض .

(٤) للمغمر . (١١) الوادى الطالع . (١٨) الباطنة .

(٥) العطف . (١٢) أم شينة . (١٩) اليمانية .

(٦) غاوة . (١٣) السودة . (٢٠) آل يوسف .

(٧) المصنعة . (١٤) السوق . (٢١) عضاضة .

ولعلكم فى تهامة أربع قرى :

(١) آل النجم . (٣) خيمة .

(٢) لولاء . (٤) حسوة .

ويرى بما ذكر أن بنى مغيد أكثر قرى وأعظم عدداً ، وهم « أبها » مركز

المقاطعة ، ولذا فإن رئاسة كافة عير منهم .

الفصل الرابع

العادات الاجتماعية في عسير

الزى - الطعام - اللهجة - مهاسم الزواج - الحرافات

١ - الزى

أول ما يلفت نظر الباحث في الشئون الاجتماعية لقطر من الأقطار ، أزياء الأهلين ، وطبائعهم من حيث الرقة والجفاء ، وما إلى ذلك . أما في عسير فن حيث أزياء الرجال فإنها لا تختلف كثيراً عن أزياء بلاد شهران التي وصفناها في القسم الأول . ومن حيث الطبايع فإن أهل عسير رجالاً ونساء يختلفون عن شهران ببعض المميزات التي قد تكون أثراً من آثار البيئة والإقليم ، فهم أرق طباعاً وأقرب إلى الاختلاط الأجني من أهل شهران ، وربما كان هذا ناشئاً عن جو بلادهم وكونهم اختلطوا بالغرباء أكثر من سواهم ، ويظهر أن اتخاذ أيها قاعدة لإدارة عسير وشهران هو الذي جعل أهلها أقرب إلى اقتباس عادات غيرهم وأقل تصباً وجفاء من سواهم .

هذا ويمكن تقسيم عسير من حيث العادات الاجتماعية إلى قسمين : الأول ، أهل عسير الذين يقطنون الرى وسفوح الجبال الشرقية حتى بلاد شهران وقحطان . والثاني ، أهل عسير الذين يقطنون الرى والسفوح الغربية أى في منقلب الجبال إلى جهة تهامة ، حتى إن الأهالي أنفسهم يسمون سكان هذا القسم « أهل تهامة » تمييزاً لهم عن الآخرين . فالقسم الأول أقرب إلى شهران وقحطان في عاداته منه إلى أهل عسير المقيمين في تهامة ، يظهر ذلك في زيهم ولهجتهم وأحاديثهم بل في طباعهم .

والعسيري التهامي أقرب إلى رجال ألمع منه إلى بني قومه ، لباسه سهل بسيط لا يشبه لباس ربيعة الين ولا لباس أهل أبيها بل هو وسط بينهما . والنساء يلبسن فوق أثوابهن رداء كالفرو مصنوعاً من الجلود المدبوغة تربط أطرافه العليا حول العنق وتبدل بقيته على الظهر إلى مافوق الكاهل . وهذا الرداء على نوعين :

الأول : « الْمَزَرَّ » أو « المزار » ، وهو عبارة عن مجموعة من جلود الحملان تدبغ ويخزض بعضها ببعض بسبب ذى لون يختلف عن لون الجلد ، ويحيط بهذه المجموعة (كنار) من لون السبب ، وغالباً ما يكون أحمر . وطريقة لبسه أن يكون مقلوباً ، فالشعر من الباطن والجلد من الظاهر ، ليكون الجلد وقاء من المطر لا يحترقه الماء كالشَّمْع ، وليكون الشعر وجاء من البرد في الشتاء

والثاني : « النطع » أو « المقصر » وهو عبارة عن ثلث المجموعة الأولى من الجلود المدبوغة اللينة الكتنة الشعر ، وهو أقل عرضاً من الأول لا يستر إلا بعض الظهر .

أما غطاء الرأس فإن نساء تهامة يستعملن (الطَّقَشَة) وهي قبة من الخوص عريضة (الكنار) غير بارزة الوسط . وأما نساء الجبال فلهن يستعملن الخمار يضعنه على رءوسهن ، وتلبس الأبنكار نوعاً من القبعات المصنوعة من القماش على شكل مثلث مفتوح القاعدة كي تدخل في الرأس وتستقر عليه ، وقد يوضع خمار أو نقاب فوق هذه القبة .

وقد جمعت معلومات وافية عن الملابس وأدوات الزينة التي يستعملها الرجال والنساء أذكر بعضها فيما يلي :

١ — (النَّسْعَة) ، وهي حبل من الجلد المجدول كالضفيرة ، تستعملها النساء كالخزام ، تنتهى عند أحد طرفيها كتلة من أطراف شرائح الجلد بينها ملمع صغير لالتقاط الشوك ومنكاش ومرود ، وهي أعم بين البادية .

٢ — (السبتة) ، وهى حزام من الجلد المنقوش المخروز ، تنتطق بها النساء فوق أثوابهن ، وهى كالنسعة إلا أنها أقصر وأسمك ، وهى أعم بين الحاضرة .
٣ — (المكمنة) ، وهى قطعة من الجلد مصنوعة على شكل إكليل تضعه النساء على رءوسهن لمسك الشعر أو لتثبيت المخار فوق الرأس .

٤ — (إكليل) محبوبك من الخوصف والأعشاب البرية العطرية مثل الشيع والبرك والريحان والوزاب ، وظيفته إمساك الشعر عن أن تلهب به الريح . وللرجال إكليل خاص يختلف عن إكليل النساء فى الشكل ، يستعمله — على الأخص — رجال تهامة الذين يطلقون شعورهم كالنساء ولا يلبسون فوق الرأس شيئاً سواه .

٥ — (الشملة) ، وهى عباءة من صوف الفم قصيرة جداً ، تطرح على الكتفين ، ولكنها صلبة لا تهتدل عليهما ، وهى لباس الأغنياء والأعيان ، تقوم أيام الشتاء مقام (المقمر) والنطع عند البادية .

٢ — الطعام

البرّ والسمن ، هما الطعام الوطنى الرئيسى فى عسير وقحطان وشهران ، فلا يعلو عليهما طعام . أليس البرّ من أهم منتجات عسير الزراعية ؟ أليس السمن من نتاج أغنام عسير وأبقارها ؟ البرّ والسمن : تاج المحصولات وعماد الطعام وقوام المعيشة . أمّا ما عدا ذلك فتناوى أو كالى . فاللحم مقامه فى الأعياد والمناسم والضيافات القليلة المحدودة ، والفاكهة والخضر وجودها مثل عدمها ، والحمد لله على كل حال . وطريقة صنع الطعام بدائية هيّنة ليّنة لا دخل فيها لفن الطهو . اللحم مسلوق وكفى ، والبرّ للخبز والعريكة ، والسمن يسقى به الاثنان .

وصفنا فيما مضى طعام العريكة وهو أعم الأطعمة وأعظمها شأنًا . يعصد الدقيق فوق النار بالماء الساخن حتى ينضج ، ثمّ يصبّ فى قصعة أو جفنة مشعجرة أو غير مشعجرة ، والحفرة فى وسطها تستوعب كمية من السمن السائح . وإليك أيها الضيوف

ما عندنا من الطعام الحلال . كلوا هنيئاً ، واشربوا الماء القراح أو اللبن الحامض مخيضاً أو رائباً .

أرسلنا في مشترى الحليب قليل لنا : « عار أن يبيع الأهالي الحليب » عار وأى عار ! إذن لابد من غنيات أو أبقار نستدر لبنها . يحيا عصر الرعاة ، وتحيا الصراحة والحرية .

ويصنع من دقيق القمح عدا المريكة نوع من الخبز السمج يشوى على النار في الطابون أو في إناء ، ثم يصب عليه السمن والعسل . وهذا القرص من أشهى المأكول وألذها .

أما اللحم فهاكه سليقاً ناضجاً مقطّعاً إرباً إرباً متناسبة بقدر الأقة أو دونها ، وهاك المرق في قصعة ، وهاك قطع اللحم منثورة على مائدة تبسط على الأرض من جلود الغنم المجففة بالشمس . قصعة المرق تتوسط الدائرة ، تحيط بها أرغفة الخبز الساخن ، تنخلها قطع اللحم ، وقد تحتل قصعة المريكة مكان قصعة المرق ، وهى سيده الطعام ، كلوا واشربوا هنيئاً مريئاً . أما قطع اللحم الممتازة كالكتف والقيلة وسواها من أطايب اللحم فإن المضيف يوزعها بنفسه على الضيوف بادئاً بالأول قائلاً : « الزم » فيتناولها الضيف قائلاً : « تسلم » إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين ، وإن بقي شيء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل : هاكم الرأس وهاكم الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المبط . لكلٍ قسم بحسب مقامه في الهيئة الاجتماعية . الطيبات اللطيفين ، والكبيرة للكبير .

ومن المناظر المألوفة أن يأتى المضيف إلى جفنة المريكة ، فيقطع منها قطعة يكورها بين أصابعه كلمعة كبيرة لا يزدردوها إلا الجائع النهم ، ويصنع منها إناء يشبه المعلقة أو بالأحرى أذن الذئب ، يفترق بها من السمن ويقدمها للضيف . وإذا كان الضيف عزيزاً لا يكتفى المضيف بلقمة واحدة — وطوبى لمن يطبق ازدرداد هذه الكتلة الهائلة من المريكة والسمن . لكنها هى المادات وهو الإكرام وهو حسن الضيافة .



أحدث القصبات في بلدة حجلة في عسير . وهي عامة في عسير ونجران



نساء بدويات في سوق « أبها » وهن لابسات قبعات عريضة



قصر شذا في « أبها »

٣ — اللهجة

أم التعريف : حضرت أوّل سوق أسبوعية عقدت في أبها عقب وصولي إليها، وتحوّلت في أرجائها مستعرضا من فيها ، سائلا متقبعا عن أحوالهم ، فما كان أشدّ عجبي حينما سألت أحدهم عن المكان الذي جاء منه فأجابني : من « أمسقي » ، قلت : « ومن أنت » ؟ فأجاب : « محمد اناصر » وحينما تكررت الأحاديث بيني وبين كثيرين من أهل عسير أدركت أنهم يعرفون الأسماء بـ « أم » بدل « ال » . والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد في الحديث (ليس من امير مصياف في امسفر) أى (ليس من البر الصيام في السفر) . وشرعت أستقي المعلومات عن الجهات التي تعرف بأم ، فعلمت أن التعريف بها قاعدة عامة عند الكثيرين منهم . وتبادر إلى ذهني ما كنت أسمعه عن قبيلة مهمة بجوار جيزان اسمها قبيلة « الحمد » ، فإذا بها قبيلة « الحمد » عرّف اسمها بأم . وحضرت عرضة قام بها أفراد قبيلة رجال ألع المرسلين إلى ساحة الحرب مستبدلين برفاق لهم ، فسمعتهم يشدون : علموا قحطان مع جمع امشارق^(١) يحفظون امحد^(٢) لا حيا بفارق حتى يجون اممى^(٣)

يا عسير امهول ما هذى امقضيه^(٤) ودنا نجران نهب له سريه
علموا ولد امامام^(٥) لا بد من صنعا ونحرق قصوره

قلب النون راء : طالبت من أمير عسير أن يرسل إلى منزلي بعض كبارهم للسؤال عن أحوالهم ، فجاءني الشيخ زائد ، وأدلى إلى بمعلومات نفيسة عن حالة قبيلته وقراها وأوديتها وأودية تهامة إجمالا . وقد عجبت من اصطلاح ذكره أمامي ، فألته عنه ، فأوضح لي غامضه . كان يملئ على القرى والشعبان التي تصب في وادي حلي ، فإذا به يذكر أمامي أن الوادي ينتهي في حلي « بر يعقوب » فاسفر بت التركيب ، ولما سألته عن بعض مشاهير القبيلة كان يذكر اسم الشخص ثم يرفده بكلمة « بر »

ثم يذكر اسم الوالد ، فتبادر إلى ذهني أن أسأله عن اسم والدته ، فسمعت عجباً ،
قال حفظه الله : « أنا زايد بر غراره وأبى فاطمة ابنة محمد »

قلب الجليم ياء : ورجال ألمع وأهل عسير يقلبون أحياناً الجليم ياء ، فيقول أحدهم :
« صليت في المسيد » بمعنى في المسجد ، و « رأيت الريال » أى الرجال . لقد ذكرتني
لهجة أهل عسير في قلب الأحرف الواقعة جرت لي ولبعض الرفاق في قرية « شقرا »
من قرى بنى سفيان بجوار الطائف حيث ذهبنا للترعة ، فسألنا أحد أهلها عن الوقت
وكان قريب الظهر ، فقال : « فات اللهر » ، قلب الظاء لاما ، وكان مخاطبنا يقلب
الطاء والضاد لاما في جميع الكلمات التي وردت على لسانه في حديثنا معه .

الكشكشة أو البشيشة : لاحظت في أهل النهم ظاهرة أخرى هي الكشكشة
أو البشيشة . وقد لقيت صعوبة جمة في فهم كثير من أحاديثهم بسبب ذلك . وهي
لهجة ممحوجة لا سيما بين النساء ، وقد حاولت كثيراً أن أفهم حديثهن فلم أفصح .
ولهن في الحديث لهجة خاصة يستعملن فيه الألفاظ الغريبة بسرعة فائقة . وكثير من
الأسماء والأفعال غريب على سماعي وطريقة التنفط به أغرب .

ثم بمعنى هنالك : ومن ألتاف اصطلاحاتهم وأخفها على السمع كلمة « ثم »
بمعنى هنالك ، إذ يتلفظون بها على البديهة دون أى تكلف ، يخاطبك بها الرجل
والمرأة والغلام على السواء : « سرنا من امسقى و ثم أو من ثم يطلع أموادي »
(سرنا من الشقى ومن هنالك يطلع الوادي) .

الجل المعترضة : لا أودّ إلتعاب القارئ بما دوّنته من الاصطلاحات المركبة
فأكتفي ببعضها . يغلب على أهل هذه البلاد إدخال جملة معترضة أثناء الحديث
بقصد الدعاء والثناء والمدح على غرار :

إن الثمانين — وبلغتها — قد أخرجت سمى إلى ترحمان

يكون مخاطبك مسترسلاً في الحديث وإذا به يَرْحُح بالجملة المعترضة : « إبه ونا فذاك »
« إبه واللى يسلك » . وقد تبلى به المحبة أن يقول لك لزيادة التأكيد : « ربى
ياخذنى قبلك » ، أو « ربى يديك ويبقيك » وكثيراً غير هذا .

ولا شك في أن دراسة اللهجات العامية في سائر البلاد العربية من المسائل الهامة جداً ، ولكننى وافق من أن دراسة اللهجات المحلية في عسير وتهامة وأطراف اليمن من أكثر الدراسات نفعا لمعرفة القوارق والعوامل في لغتنا العربية . وإنى لأرجو أن يوفق الله إلى إتمام مثل هذا البحث .

٤ — مراسم الزواج

يوشك السفور أن يكونَ عاما في القرى وبين البادية في جميع أنحاء عسير وشهران وقحطان ، والاختلاط بين الجنسين عامّ خلا نساء الأمراء والأعيان فإنهن لا يمتزجن إلا بأقاربهن الأدين ، ولا شك في أن الاختلاط بالغرباء يسبّب مشاكل شتى ، ولذلك فإن الحكومة الحاضرة عملت جهدها للقضاء على هذه العادة دفعا لمضارها واتقاء لمفاسدها ، غير أن ماعمل في هذا الباب لا يزال دون الغاية المطلوبة . عجبت بادئ الأمر من هذا الاختلاط ومن رفع الكلفة بين الجنسين ، ولكننى أدركت أنّ نساء هذه البلاد قد اعتدن عدم الاحتراز من مخالطة الغرباء بفضل الزمن والعادات المتوارثة ، ولا يرين في ذلك بأسا ، متمثلات بقول الشاعر :

بيض حرائر ما هممن برية ويصدقن عن الخنا الإسلام

أعتقد أن هذه البلاد قد منيت بقحط في الرجال ، وكان من جراء ذلك أن رخص الزواج ، وجرى فيه تساهل عظيم مع الغرباء عن القبيلة ومع غير الكف . وقد لاحظت أنواعا من الزواج كانت المساومة فيه أساسا له وكان المال سببا لإتمامه ولم يستنكف أهل هذه البلاد عن تزويج بناتهم من الجنود برغم عهدهم بمصر مدة إقامتهم بين ظهرانيهم . وهذا التساهل في اختيار الأزواج أو بالأحرى في بيع النساء للرجال بشمن بخس دراهم معدودة قد لفت نظرى إلى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التى أرجو أن يكون الباعث عليها الحرب وضرورتها ، وأن تكون الأسباب التى أوجدتها قد زالت الآن .

كنت أعجب أول وصولى إلى عسير من كثرة الأحاديث عن الزواج الذى لا يخلو منه مجلس ، ولكن عجبى أخذ فى التضائل بمرور الزمن حتى أصبحت لا أرى

غضاضة في طرق الموضوع في أية مناسبة . وزعم بعض محدثي أن الزواج بين أفراد القبيلة لاسيا بين أبناء العم رخيص جداً ، فالمر لا يتجاوز غالباً خمسة عشر ريالاً فرنسياً (١٢٠ قرشاً مصرياً) ، غير أن الذي يدفع منه بالفعل خمسة ريالات فقط ، إذ العادة في هذه المهور أن تجعل ثلاثة أقسام ، الثلث الأول يدفع نقداً والثالث الثاني ينزل عنه ولى أمر العروس مقابل الضيافة التي يقدمها للعريس ، والثلث الباقي هدية .

أما في وقت وجودنا بأبها فقد أخبرونا بأن سوق المهور قد ارتفعت جداً بالنسبة للأغراب الراغبين في الزواج . وقد حدث أن بعض كبار الجند قد أبلغ المهر إلى ٥٠٠ ريال نقداً ، وهذا أمر لم تعهده نساء تلك البلاد ، فكان الإقبال على الزواج عظيماً من الجانبين .

واختيار العروس - لاسيا القرويات والبدويات - يقع في أحد مكانين : السوق أو البئر ، وما على الراغب في الزواج إلا أن يرتدى أحسن ثيابه يوم السوق ، ويشرع في خرعه ذهاباً وحيثه ، إلى أن يقع نظره على فتاة تعجبه ، فيتقدم إليها خاطباً باللغة المألوفة : « أنا ميديك » و « أنا ميديك » و « أنا ليس ميدي » . ويستدل على ولى الفتاة وتم الخطبة في نهار واحد ، وهك المهر ، وهك الضيفة وهك الشرهة . وهك الأستاذ مأذون الزواج : بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان من حلل النكاح وحرّم السفاح ، مبارك يا عريس .

وقد بلغ التنافس على العرائس أشده أيام كنا في أبها ، فعوضاً عن استعراض الفتيات في السوق بدأ الراغبون في الزواج في تصيدهن من بعيد في طريقتهم إلى السوق قبل وصولهن إليه ، حتى لا يزاحمهم مزاحم أو يناقسهن منافس . الزواج سهل ، والطلاق ميسور ، إما وفاق وإما فراق ، وكان الله يحب المحسنين

أما البئر فإنها جامعة فتيات الحى أو القرية ، يقصدها حاملات القرب على ظهورهن ، إذ أن السقاية وحمل الحطب والكلأ من مهمات النساء الماهرات في الحبل على الظهور ، والسقاية من البئر بالسلسل ، وقد تطول عملية رفع الماء بالدلاء ، وهذه فرصة حسنة للحديث فيما بينهما أو مع الشبان الراغبين في الزواج . يحصل التعارف

والاتفاق الضمنى على البئر ، ثم يعقب ذلك إجراءات الخطبة الرسمية فى البيت . وفيما يلى طرف مما شاهدته من هذه الإجراءات والعادات :

حضرت حفلتين من حفلات عقد الزواج كان العريس فى كليهما من أصدقائى وكانت المراسم فىهما واحدة تقريباً مع بعض الاختلاف فى الفروع والمواشى لا فى الأسس والقواعد . ركبنا من أبها فى سيارتين إلى قرية مجاورة واقعة فى جهتها الشمالية اسمها « رِشَف » حيث العروس وأهلها ، ولما اقتربنا من بيوت القرية أخذنا نطلقون الرصاص من البنادق والمدسات ، وكان المنتظر أن يقابلنا أهل القرية بالمثل غير أنهم بخلوا بالخرطوش فلم يطلقوا طلقة واحدة ، وإنما قابلونا صفّاً طويلاً يحمين مرحبين ، ثم دعونا إلى بيت تناولنا فيه القهوة . وكان علينا أن نتظر نتيجة المساومة على توزيع مهر العروس بين والدتها وأخيها وعمها الذى هو وليها . كان المهر مائة ريال فقد لم يتمكن الوسيط من توزيعه على وجه يرضى الجميع إلا بعد مناقشات ومحاورات كثيرة . وقدم العريس علاوة على النقد هدية من السكر والشاى والقهوة والهيل ، كما قدم الجهاز المؤلف من ثلاثة أثواب كاملة أحدها من الحرير ، ولم يكن فى الجهاز مصاغ قط . وبعد إتمام هذه الإجراءات دعى المأذون بإجراء العقد ، فقرأ ما تيسر من كلام الله ، ثم أجرى العقد بين ولى أمر العروس وبين العريس شفهماً دون أن يكتب صك بذلك كما هو متبع فى أكثر البلاد ، وبذلك انتهت المراسم وتم عقد الزواج . ثم دعينا إلى تناول طعام الضيافة ، وكان يتألف من كبش مسلوق وأرز مفلفل — وهذا من النوادر — وورق وعريكة وخبز ، وباركنا للعروسين وتيننا لهما السعادة والهناء .

أما مراسم الحفلة الثانية فلم تختلف عن الأولى إلا بتبادل إطلاق الرصاص من الجانبين ، وبعد مشاهدة مساومات المهر وتوزيعه ، كما أننا لم نشاهد توزيع قطع اللحم كما جرى فى الحفلة الأولى .

أبناء عم العروس أولى بها من الغراء ، ولم عليها حق الأفضلية ، ولذا يجب التثبت من عدم معارضتهم فى الزواج أو إرضائهم للتخلى عنه قبل إتمامه .

ر. روى البسطاء من أهل البلاد حكايات طريفة عن الخرافات المتسلطة على أذهانهم ، إذ يعتقدون بقدرة أهل العروس على الحيلولة دون وصول العريس إلى عروسه . وطريقة ذلك أن يعتقدوا للعريس عقدة تعجزه عن بلوغ مراده من زوجته ، ولهم في ذلك طرق عديدة يتوسلون بها . ويؤمنون بفائدتها للوصول إلى النتيجة المطلوبة على زعمهم . وفيما يلي بعض الوسائل التي يتوسل بها أهل العروس وأبناء عمومتها للحيلولة بين العريس وعروسه إن لم يكونوا راضين عن الزواج ، وذلك حين إجراء المأذون لمراسم العقد .

١ — عقد خيط أو شريط أو طرف الفترة أو الثوب .

٢ — خلع الخاتم من الإصبع ثم إعادة لبسه رويدا رويدا كلما قرأ المأذون جملة أو آية .

٣ — ملّ الجنّبة من غدها ثم إعادتها إليه أثناء قيام المأذون بعمله دون أن يلحظ أحد ذلك .

٤ — قلب النعال حين إجراء العقد .

٥ — عقد بعض شعرات من صوف ذبيحة العروس حين إجراء العقد .

٦ — عقد مصران الذبيحة .

٧ — غمس مسبار في دم الذبيحة ودقّه في الأرض .

٨ — خلط مرق الذبيحة بماء حين إجراء العقد .

هذه أشهر الطرق . وهناك طرق أخرى غيرها . وتما يوجب الأسف أن هذه الخرافات تنحدر من القوم مجرى الدم ، ولها في نفوسهم أثر عظيم ، ولذلك فإن أهل العريس يكونون يقظين منتبهين حين إجراء العقد ، لئلا يحدث شيء من ذلك .

وتما يجدر بي تسجيله هنا — على سبيل الفكاهة — واقعة حدثت لرفيقنا الذي كان دائما مصدر السلوى والتفككة : « كنعان أفندي » . كنا نمازح كنعان ونرغبه في الزواج ونشجعه عليه ، ومن المعلوم أنه أعزب . وكنا كلما خرج بمفرده من المنزل نسأله بعد عودته عما إذا كان قد وفق إلى العثور على فتاة موافقة ، وتعهدنا بمساعدته بالمهر

وحفلة العرس ، فطلب منا تدبير المساعدة المالية من الأمير سعود أولا ، فإن دبرت فإنه لا يمتنع في الزواج . وقد كلف فعلا أحد أصدقائه بالبحث عن فتاة مناسبة ، ووفق الصديق في مهمته وأرشدته إلى فتاة في السادسة عشرة من العمر ، غير أن كنعان كان قد تسلّم المساعدة المالية فاعتبرها فتاة أحلامه وعدل عن الزواج وأخبر صديقه بالعدول عن الخطبة !

ومن غريب المصادفات أن الأمير تركي السديري أمير عسير كان معي في المنزل وقت الغذاء ، وخرج إلى دار الحكومة ، وما عم أن أرسل إلى رسالة يخبرني فيها بأن حديث كنعان معنا عن عدم زواجه خرافة ، وأنه لعب علينا بزواجه خفية عما . ونظرا لمعرفة الوثيقة بأن كنعان لم يتزوج ، لم أصدق الخبر بالطبع ، غير أنني اغتنتمتها فرصة للتفككة بممازحة كنعان ونشويش أفكاره والتهويل في أمره .

أخبرت كنعان بأن أهل البنت قد شكوا للأمير نكثته وعدوله عن الزواج دون أن يسلم للمهر ، وأن الأمير لم يشأ اتخاذ الإجراءات ضده قبل مشاورتي والاتفاق معي على حل الموضوع صلحا ، وعليه دفع المائة ريال قيمة المهر وإلا اضطر الأمير إلى النظر في الشكوى بصورة قانونية .

حينما أعود بذاكرتي إلى منظر كنعان ساعة إخباره بذلك الخبر ، تستفزني عوامل الضحك والاعتباط من موقف كنعان الحرج واعتباطه وقلقه . يالها من ساعة عصبية وكارثة مؤلمة ألمّت به . لم تترك وسيلة من وسائل الاستفزاز والتهويش والمشاكسة إلا اتخذناها ، فازداد الكرب به ، وضائق به الحيل ، فتركنا غاضبا من إهمالنا له وعدم مبالائنا به في ساعة شدته ، وذهب إلى السوق متفربا عسى أن يطرح همومه وينسى آلامه ، غير أنه عاد إلينا بعد ساعة تبدو عليه الآلام النفسية من هذه الورطة ، ولم يطق صبرا بين الرفاق ، فأخذ بندقيتي واعتزم الخروج للصيد على حدّ قوله ، فخمنا أن يؤدي به الأمر إلى الانتحار ، فأطلعناه على الحقيقة بين قهقهة الرفاق وتصفيقهم الحاد للرئيس الخيالي الجبار !

٥ - الخرافات

تنتشر في هذه البلاد عقائد خرافية تجرى من نفوس أهلها مجرى الدم ، ولها أثر شديد في تكيف أمزجتهم ، فأكثرهم يعتقد بالسحر والتنجيم وكتابة الحجب والطلاسم ، الأمر الذي يجد المشعوذون معه سوقا رائحة لشعوذاتهم وأباطيلهم ، ويتوسلون بذلك لسلب البسطاء أموالهم أو لسلب أموال النساء الجاهلات . نعم إن نشر قواعد التوحيد منذ تأسيس الحكومة الحاضرة قضى على كثير من هذه الخرافات والأوهام الباطلة ، غير أنه لم يقض عليها قضاء مبرما .

لا شك في أن اعتقاد البسطاء في قدرة بعضهم على منع العريس من مساس عروسه بواسطة عقد العقد ضرب من الأوهام والخرافات .

وتخريف أيضا اعتقاد السائد في قبر « ذى القرنين » الواقع على ملتقى وادي جوحان وأبها ، وهو القبر الذي هدمه الإخوان أيام الفتح الأولى .

وكذلك من الخرافات الاعتقاد السائد بينهم بشأن الكهف المجاور لجبل « تمحية » ، يزعمون أن فيه ثلاث جثث كبيرة لأناس ماتوا منذ قرون غير أن أجسادهم تجمدت وظلت على حالها ، وأن كل من رأى هذه الجثث أصيب بشىء لا يستطيعون أن يقرؤه أخير هو أم شر .

ولسكن أعجب ما روى لى من عقائدهم الخرافية اعتقادهم بما يفعله أهل داخل العين من استنطاق الموتى الذين يقتلون غيلة ، وزعمهم بأن في إمكانهم معرفة القاتل ونطبق الجزاء عليه بهذه الطريقة . وحبذا لو كانت هذه الخرافة حقيقة ، إذ لتمسك قضاء التحقيق من كشف أسرار الجرائم والضرب على أيدي الجناة والجرمين ، ولكنها خرافة لها أثرها العظيم في أوهم الناس .

إذا اغتيل إنسان وأريد معرفة قاتله ، قام أهل القتل بمعونة بعض السحرة والكهان إلى سلم فربطوا القاتل إليه عرضا ، وحملوه إلى مكان بعيد بين الجبال حيث لا يسمع نباح الكلاب ولا الأصوات المزعجة ، وعلقوا السلم على شجرة ،

ثم عدوا إلى حفرة في الأرض تتسع لجلوس شخص واحد فوضوا فوقها صخرة كبيرة بحيث تغطيها إلا فتحة صغيرة مواجهة لوجه القاتل المعلق على السلم المربوط إلى الشجرة . وينصرف رفاق المحتبىء في الحفرة إلى مكان منعزل لأيشاهدون منه . فإذا جن الليل أنصت المحتبىء في الحفرة وحدث في وجه القاتل منتظراً وقوع الأنجوبة ، وإذا بطير كبير يشبه النسр ينحط من السماء على عالى الشجرة مقابل الميت ، ثم تبدأ عملية الاستجواب والاستنطاق .

يتكلم النسр مشيراً إلى الميت طالباً منه أن يخبره باسمه واسم عائلته ، وربما سأله عن عمره . رغم أن هؤلاء البسطاء لا يؤرخون أعمارهم ولا توجد في دارهم مصالح إحصاء ولا دوائر تسجيل النفوس — فيفتح القاتل فاه ويجيب عن أسئلة النسр واحداً واحداً ، ويطلعه على اسم القاتل ومكان القتل وكيفيته وغير ذلك من التفاصيل .

وقد يكون النسр مجباً للاطلاع راجعاً في كشف أسرار الموتى وأضلالم في الحياة الدنيا ، فيتبادى في السؤال والميت يجيبه على أسئلته حتى يتطرق إلى الخصوصيات المحضة ، فيصيح المحتبىء في الحفرة بالنسр أن كفى ولا لزوم لكشف أسرار الموتى ، فيغضب النسр من هذا الطغلبى ويثور عليه ، وينقض على الحفرة للانتقام منه وتمزيقه بمخالبه القوية ومنقاره المحدث ، فيصيح الرجل المحتبىء مستغيثاً ، ويقبل عليه رفاقه لإنقاذه ، فيضعف النس� أمام الكثرة التى تغلب الشجاعة ، فيفر لساعته ، ويسارع الرجال إلى رفع الصخرة عن فوهة الحفرة لإنقاذ رفيقهم ، وينظرون فإذا الميت على حاله لا يتحرك ولا يتحرك .

بهذه الوسيلة يكشف أهل اليمين أسرار الموتى وطريقة اغتيالهم للانتقام من القاتل . إلا أن المثل السائر يقول : « لكل شئ آفة من جنسه » و « لكل داء دواء » . فالقاتل الذى يعلم أن تلك الوسيلة قد تنقش سره ، لا يستبعد أن يعمد إلى قطع لسان القاتل وشفتيه ، فيصيح عاجزاً عن النطق حينما يستجوبه النس� ، ويقضى بذلك على آمال أهل القاتل في الوقوف على السر .

الفصل الخامس

بلاد وادعة وقحطان

وادعة ظهران ، قراها وأوديتها - نسب قحطان وأقسامها - قرى قحطان - وادى تثلب

١ - وادعة ظهران ، قراها وأوديتها

كنت أعتقد قبل رحلتى إلى عسير أن قبيلة وادعة تؤلف قسماً من أقسام قبيلة قحطان ، وهذه العقيدة هى التى جعلتني أذكر وادعة ضمن أقسام قحطان فى كتابي « قلب جزيرة العرب »^(١) . وحينما تقابلت مع كبار وادعة فى خميس مشيط علمت منهم أنهم من نسل همدان بن زيد ، وأن أقاربهم وأبناء عمومتهم ، هم اليامية أهل نجران وجبونة وذوو محمد وذوو حسين وذوهم ، حالة كون قحطان ينسبون إلى عامر بن الحُلف بن قضاة ، وهم أقرب إلى حوّلان بن عامر (بنو جماعة ومنبه وكثيرون من غيرهم) منهم إلى وادعة

تقع بلاد ظهران فى منتهى حدود المملكة العربية السعودية المتاخمة لليمن ، وتبعد عن خميس مشيط بطريق السيارات ٢٢٦ كيلومتراً ، وهى بلاد جبلية ذات أودية كثيرة خصبة ، يحدها من الجنوب بلاد سحار الشام والفاصل بينهما « رأس عُبَيْن » يقابله فى حدود اليمن « عقبة الشُّطبة » التى كانت مدخل الجند إلى اليمن بقيادة ولى العهد ، ويحدها عن بلاد بنى جماعة « بَيْتَاد » و « الصخيرة » وهما بحوار « وادى الحاجر » ويحدها من جهة الغرب أى من جهة تهامة جبل « آل مخطي » و « المُسَنَّى » . وأما من جهة الشرق فإن بلاد « يام » متصلة بها ، وأقرب القرى إليها بلدة « بدر » مركز المكارمة ، وبين بدر وظهران مسافة ست ساعات يقع فى منتصفها ربيع يسمى « رَهْوَة الْمُقَصَم » .

إن سكنى قبيلة صغيرة كوادعة في منعزل عن أبناء عمها من همدان بن زيد، أمر لا يمكن تفسيره بالوقائع التاريخية الثابتة، وليس لذلك مثيل إلا وجود قرية يباد التابعة لسحار بين ظهران وبلاد بنى جاعة من خولان، ومع ذلك فقد استقرت هذه القبيلة واستقرت به وخالطت قحطان بن عامر واختلطت أنسابهما، مما دعا كثيرين إلى الظن بأنهما قبيلة واحدة.

وتقسم القبيلة إلى قسمين : «آل حَيَّان» و «وادعة»، ولكن الأهالي يسمون القبيلة بحسب القرى التي يقطنونها، وهذه أسماء قرى القبيلة وأوديتها :

١ — وادي الحاجر : ينبع بالقرب من وادي النشور في بلاد سحار باليمن . ويتجه إلى الشرق حيث يصب في وادي هداد الذي يصب بدوره في وادي حبونة .

٢ — وادي قنام : ينبع ما بين علبين والشطبة، وهي الحد الفاصل بين اليمن والمملكة العربية السعودية، ثم يصب في وادي الحاجر، ويجتمعان في «الجزعة» ثم في هداد .

وفي هذا الوادي خمس قرى هي اعتباراً من علوه إلى مصبه :

(١)	الخنكة	(٣)	الوساطة	(٥)	الجزعة
(٢)	الصمدة	(٤)	الشحق		

٣ — وادي العرين : يبدأ في «عراعر» التي توالى تهامة من جهة الغرب، ويصب في الجزعة، وفيه من القرى ما يأتي :

(١)	عراعر	(٤)	بلدة ظهران
(٢)	آل عبيد الله	(٥)	آل المونس
(٣)	الحصن	(٦)	التهبضة

وجميع الأودية المذكورة تصب في القرن والخانق في أعلى وادي حبونة .

٤ — وادي القيل : يبدأ من قرية الأرنب ، ويصب في القرن في أعلى حبونة
وفيه من القرى :

- | | |
|--------------|-------------------------------|
| (١) الأرنب | (٤) آل كعبان وهم كبار وادعة |
| (٢) الشعب | (٥) ملحمة |
| (٣) المطف | |

٥ — وادي طلحة : وهو واد صغير يدفع مياهه في طرف « الذراع » وهي
قرية يعلوها « سيل الحمرة » ، وليس في الوادي سواها .

٦ — وادي رشاد : وأوله قرية « آل جزقة » ، وتليها قرية « آل يمل » ،
ويصب في « القرن » ثم في حبونة .

هذه الأودية الستة هي أصل وادي حبونة ، أحد الأودية الستة التي ذكرنا أنها
تصق السطح الشرقي للمائل لبلاد السراة ضمن المملكة العربية السعودية .
ويصب في حبونة أيضا واديان آخران في بلاد « يام » هما وادي « الهدادة » ،
و وادي « الحرفش » .

والطرق الممتدة من بلاد وادعة إلى ما جاورها شتى أهمها :

- | | |
|--------------------------|---------------------------------|
| (١) طريق عقبة الخشبة . | (٥) طريق القم وعليين ، وهي |
| (٢) طريق هفاص . | طريق الين . |
| (٣) طريق شجع . | (٦) طريق سعد الكامل . |
| (٤) طريق المصلوة . | (٧) طريق الخائق وبدر وحبونة . |

٢ — نسب قحطان وأقسامها

يطلق على هذه القبيلة اسم قحطان بن عامر ، والأولى أن تكون قحطان بن
عمرو بن الحلف بن قضاة ، وقحطان أخو خولان بن عمرو الذي منه قبائل كثيرة

في اليمن وتهامة . وقحطان من القبائل العربية المعاصرة في المدد والعدة ، ومنها فروع متحضرة وفروع عشائرية لا تزال على البداوة في عسير ووادي الدواسر ونجد . ويجتمع بها في أحد أجدادها الأعلى قبائل بني خالد وبني هاجر وسواها . ولن نذكر هنا إلا أقسام قحطان المقيمة في جهات عسير بين وادعة ويام وعسير وشهران من الجنوب والغرب والشمال وبين وادي الدواسر من الشرق . ويمكن تحديد ديار ما سذكروه من أقسام قحطان بأنها واقعة في أعلى وفي مجرى وادي تثايش ووادي بيشة^(١) .

ويمكن تقسيم قحطان إلى الأقسام الخمسة الآتية :
أولا — بطن رُقَيْدَة . وأميرهم ابن سام الذي ذكرنا أن علو بيشة يسمى باسمه .
وفي هذا البطن ستة أخاذه هي :

- | | | | |
|--|-----------|-------|-----------------------------|
| (١) | دُعَي | (٣) | جارمة وخطاب |
| (٢) | بنو قيس | (٤) | الحف وقشة ومن وقشة آل الحجل |
| ولرقيدة أتباع في تهامة ذكروا إلى منهم القبائل الآتية : | | | |
| (١) | الجمرة | (٥) | آل مفتاح |
| (٢) | آل علي | (٦) | آل مكاذب |
| (٣) | آل الخلاص | (٧) | آل السري |
| (٤) | آل مفرج | | |

ثانيا : بطن بني بشر . وأميرهم ابن قحطان ، وفيه المشار الآتية :

- | | | | |
|---------------------------|----------|-------|----------|
| (١) | آل عرفان | (٣) | آل محمد |
| (٢) | الحيان | (٤) | آل فرحان |
| ولبشر أتباع في تهامة هم : | | | |
| (١) | آل مسعود | (٢) | آل علي |

(١) انظر تفاصيل وادي بيشة فيما سبق

(٣) آل حسان (٥) آل سالم

(٤) آل الحسن

ثالثاً : سنحان الحباب . وأميرهم الحميداني ، وفيه العشار الآتية :

(١) الزربا (٤) الرشدة

(٢) الغازي (٥) آل شوكان

(٣) آل الشريف

ولهم في تهامة أتباع أهمها ما يأتي :

(١) آل حجل (٧) آل عمس

(٢) « مساري (٨) « مفتاح

(٣) « مداوي (٩) « مَعِينَة

(٤) « غائضة (١٠) « مشاش

(٥) « النعير (١١) « سعيد

(٦) حَيَّان

رابعاً : بطن عبيدة . وأميرهم ابن شفلوط ، ويمكن قسمته إلى فخذين : « آل

الصقر » و « آل الحارث » . وفيه من العشار ما يأتي :

(١) الفهر (٩) آل علي

(٢) آل مهدي (١٠) آل زهير

(٣) « معمر (١١) آل الكرعان

(٤) العرجان (١٢) آل زيدان

(٥) حَمَّالَة (١٣) آل الحرو

(٦) الحرقان أو آل سليمان (١٤) الجرابيع

(٧) المساردة (١٥) العبس

(٨) آل سلمان (١٦) آل عائذ

(٢١) العرين	(١٧) آل قريش
(٢٢) البسام	(١٨) آل الجلفة
(٢٣) المنادية	(١٩) بنو طلق
	(٢٠) الوهابة

خامساً : بطن شريف . وكبيرهم دليم بن محمد أبو لعة ، وأقسامهم كما يأتي :

(١) آل سريح	(٤) عبد القادر
(٢) بنو يزيد ومنهم ابن دليم	(٥) بنو أوس
(٣) بنو هاجر	(٦) آل داود .

٣ - وادي تثليث

ينبع وادي تثليث من بلاد قحطان ، ولذلك رأينا ضرورة ذكره في هذا الموضع من الكتاب مع ذكر روافده الكثيرة التي تمتد بأقطار بلاد قحطان ، مثلما ذكرنا من قبل بعض الروافد التي تمتد من بلاد شهران في بلاد قحطان تسعة أودية تقوم عليها قرى عامرة هي أساس وادي تثليث ، وهي اعتباراً من الجنوب إلى الشمال كما يلي :

أولاً : وادي القصب : وأساسه واديان :

١ - وادي الجمع ، وفيه قرىتان :

(١) آل حازب	(٢) آل حيان .
-------------	---------------

ب - وادي جناب ، وفيه ثلاث قرى :

(١) آل سعد .	(٣) « الزبيرى .
(٢) آل الهوى .	

ثانياً : وادي سروم : وتقوم على أطرافه القرى الآتية :

(١) القعدة .	(٢) آل حنى .
--------------	--------------

- (٣) السلاطين . (٥) ابن قماش .
(٤) الجماوات . (٦) آل البازم .

ثالثاً : راحة سنجان : وفيه من القرى :

- (١) آل الحرى . (٣) الأشعث .
(٢) « عيضة » . (٤) آل عمران .

رابعاً : راحة شريف : وفيه من القرى :

- (١) الحوط . (٥) القضاة .
(٢) القروات . (٦) المفلان .
(٣) آل شمّاخ . (٧) أمّ ظاهرة .
(٤) « المونس » . (٨) الفيض .

خامساً : وادي الحرجة ، وفيه قريتان :

- (١) خيسر .
(٢) الحرجة ، وهي مركز هام للتجارة مع اليمن وعلى الأخص تجارة البن .

سادساً : وادي محلاة ، وفيه ثلاث قرى :

- (١) البغصة . (٢) آل صبرة .
(٣) آل داود .

سابعاً : وادي يموص ، وفيه من القرى :

- (١) العقدة . (٥) آل مسلمة .
(٢) بنو هاجر . (٦) « الباس » .
(٣) أهل النقمة . (٧) « شارد » .
(٤) آل سامر . (٨) « الكولة » .



رقصة الحرب « الدبكة » عند أهل نجران



وادي « تليث »



قلعة بيشة

(٩) آل سيف . (١١) الحظيرة ، وهى مقر ابن دليم .

(١٠) « الطليق .

ثامناً : وادى الوقيرة ، وفيه من القرى :

(١) آل شَرِيَّة . (٣) آل طلحان .

(٢) « مقامر .

ناسعاً : وادى الحظيرة ، وفيه من القرى :

(١) الحظيرة . (٣) الحضرا .

(٢) دهل . (٤) العنابس .

والأودية التى ذكرناها تعود إلى بطون « بنى بشر » و « سنحان الحباب » و « شريف » من قحطان . أما « عبيدة » و « رُفَيْدَة » فإن أوديتها تتجه إلى ناحية بلاد شهران وتثليث ، ولذا فإننا — عدا ما ذكرناه — نذكر فيما يلى أهم الأودية التى ترقد وادى تثليث .

يذكرون أن وادى تثليث كان ملكاً لعمر بن معدى كرب ، ولكننى أرجح أن يكون عمراً قد ملك أواسط الوادى الذى تقوم عليه فى زماننا الحاضر قرى وهجر لبعض عبيدة من قحطان ، أما أن يكون ملك الوادى من منبعه إلى مصبه فذلك ما أستبعد .

طلبت من مترك بن شفلوط شيخ عبيدة أن يصف لى الوادى ، متبعاً فى ذلك مجراه من علوه إلى مصبه ، فوصفه لى على النحو الآتى :

علو تثليث فى الخوايس أى المناقع التى عند سنحان والحرجة وبلاد شريف ، ويحول منها متجهاً إلى الشمال حتى يصل بعد مسيرة يوم للطية إلى « المواء » وهو المكان الذى تجتازه طريق السيارات الذاهبة إلى « الحصينية » فى أسفل وادى « حبونة » فى طريقها إلى بحران ، ثم يمتد من « المواء » إلى مسيرة نصف يوم للطية حتى يبلغ « الحمضة » وهى قرية فى بطن تثليث تخص « آل مسفر » من

« آل مسعود » من « آل الجبل » من « قحطان » . ومن الحضة يتجه إلى « الحفائر » وهو ماء في البادية بينه وبين الحضة ثلاث ساعات ، ثم على مسير ساعة يصل إلى « الفقرة » وهي هجرة لابن عبود من قحطان ، وفي هذا المكان يصب في الوادي سيل سراة عبيدة المسمى « طريب » الذي تقوم عليه هجرة « السبيخة » بلد محدث ابن شفلوط . ويتجه الوادي من هذا المكان إلى « الكهيف » وهي هجرة لآل سعد التابعين لابن لبدة من قحطان ، وبحوار هذه الهجرة قرية أخرى لآل سويدان التابعين لابن عبود من قحطان ، ثم ينحدر إلى « بزيز » وهي على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « جينة » على مسافة نصف يوم أيضاً ، ثم إلى « مَلَح » مسيرة نصف يوم ، ثم ينحدر إلى أن ينتهي بعرق « الختمية » الفاصل بين تثليث ووادي الدواسر .

وقد فاض تثليث عام ١٣٣٧ (١٩١٨) فيضانا عظيما ، فكسر العرق الرمل الذي يحجزه عن وادي الدواسر عند الختمية ، وطفى على وادي الدواسر ، وجرف كثيراً من بلدانه . وقد ذكر لي الأمير عبد الله بن معمر الذي كان أميراً على الدواسر إذ ذاك أن السيل مكث أياما كثيرة لا يمكن مغالته ، ولذلك سمى المكان الذي اخترقه السيل في العرق الرمل المنكسر « مفجر الختمية » وفيما يلي الأودية الرئيسية التي يمكن القول بأنها ترفد وادي تثليث خلاف الأودية المار ذكرها :

أولا : سيل سراة عبيدة من قحطان أو سيل طريب : وهو ليس بعيداً عن وادي ياشة ابن سالم ، ويمر بالسبيخة بلد ابن شفلوط على بعد ٤٩ كيلو مترا من خيس مشيط ، ويتجه منها إلى « جاش » ثم يلتقي بتثليث عند « الفقرة » بلد ابن عبود كما مر .

ثانيا : سيل الهيج : ويطلع من أودية « بنى طلق » عند « الحنقة » ، ويمر في « الرحيق » ، وבלقى تثليث في « الحفائر » .

ثالثاً: وادى المسيرق . وهو مجتمع ثلاثة أودية كبيرة :

١ — وادى الشيق المار ذكره فى الفصل الخامس ببلاد خير من شهران

٢ — وادى السليل المار ذكره فى وصف الطريق بين خير وتندحة

٣ — وادى خير نفسه .

وتجتمع هذه الأودية الثلاثة عند بلدة خير وتصب فى وادى « ثفن » الذى يعارض تثلث وراء جاش .

رابعاً: سبل القاعة : ويطلع من « عقدان » وهم ماء إلى الغرب من شعيب « طريب » ويسير إلى بلدة اسمها « يعرى » لقبيلة ناهس من شهران ، ثم يلتقى سبل « الطريسة » ثم يصب فى طريب عند « الجثوة » فوق السبيخة بمسيرة ساعة .

٤ — قرى قحطان

ذكرنا فى النبذة الثانية من هذا الفصل أسماء الأودية والقرى العائدة لبطون سحنان وشريف من قحطان ، والآن نذكر أسماء قرى « رُقَيْدَة » و « عبيدة » و « بنى بشر » . وعذرى فى ذكرها ، مع على بأن هذا البحث جاف ، رغبتى فى أن أجمع المرة الأولى أسماء جميع الأودية والشعبان والقرى فى بلاد عسير وملحقاتها كى تكون مرجعاً للمطالعين المدققين .
أولاً : قرى بطن رفيدة :

١ — قرى تخذ الحف : ويسمى أهلها « لحاف »

(١) العكانة	(٦) آل على	(١١) بنى وهب
(٢) الحيفا	(٧) آل بايع	(١٢) آل لوط
(٣) القرن	(٨) البطحاء	(١٣) الشاعر
(٤) آل حلامى	(٩) آل عامر	(١٤) الدمام
(٥) آل حذيلة	(١٠) الصمخبة	(١٥) آل السر (امسر)

ب — قرى فخذ وقشة :

(١) بلعى	(٥) المصيد	(٩) وادى حارث.
(٢) آل أبى صبيب	(٦) الضور	(١٠) آل خزيم
(٣) الخجرة	(٧) آل القصف	(١١) القرن
(٤) الحرقان	(٨) آل خيش	(١٢) العيص

ج — قرى فخذ آل الجبل :

(١) الديبة	(٤) المحشوش	(٦) الصفرا
(٢) المجمع	(٥) آل ان حى	(٧) المراغة
(٣) آل فجعة		

د — قرى فخذ قيس :

(١) الجوف	(٢) لزمة	(٣) الدرب
(٤) الخطيرة	(٥) الربة	

هـ — قرى فخذ مسندير :

(١) الثنية	(٢) الروغ	(٣) بالمديد
------------	-----------	-------------

و — قرى فخذ ذعنى :

(١) آ، آ، كامل	(٤) المراغة	(٧) آل مدير
(٢) آل مفرج	(٥) آل بريد	(٨) آل سالم
(٣) آل ماشى	(٦) بنى تميم	(٩) آل قصيف

ز — قرى فخذ جارحة وخطاب :

(١) المصيق	(٤) آل الشيخ	(٧) آل زهير
(٢) القرحاء	(٥) الدر بين	(٨) يسواق
(٣) غفرة	(٦) عرب	(٩) آل الداحس

(١٠) آل العظبا	(١٣) آل الرميح	(١٦) آل عمرينة
(١١) آل السواد	(١٤) الجوف	(١٧) آل عسر
(١٢) آل نادر	(١٥) آل شوية	

ثانياً : قرى بطن عبدة :

(١) قرى فنخذ آل الصقر :

(١) الربة	(٦) آل ثابت	(١١) آل عقبة
(٢) آل كنبه	(٧) آل مهدي	(١٢) آل قرعة
(٣) آل جلدة	(٨) آل حبيل	(١٣) آل بسام
(٤) آل الشوف	(٩) آل جبرة	(١٤) آل سليمان
(٥) القضاان	(١٠) آل قريش	

(ب) قرى فخذ آل معمر :

(١) سحيان	(١٠) آل دريم	(١٨) الوادي الأبيض
(٢) الربايع	(١١) الحاميد	(١٩) الحراملة
(٣) الحدباء	(١٢) آل عميلة	(٢٠) آل زليق
(٤) الحظير	(١٣) الحرمة	(٢١) آل كلب
(٥) الجرداء	(١٤) الروهاية	(٢٢) المجاذعة
(٦) آل عرييدة	(١٥) آل مهروى	(٢٣) ابن خطاب
(٧) الزهرة	(١٦) آل محاصر	(٢٤) الأشاعرة
(٨) الفلقة	(١٧) آل سلمان	(٢٥) ابن الورد
(٩) الهواجر		

(ح) قرى فخذ بني طلق :

(١) آل خضير	(٣) الرهط	(٥) عنبة
(٢) زهير	(٤) القفعايس	(٦) آل مفرى

- (٧) آل دكيم (٩) الصفاق
(٨) آل منذان (١٠) آل الحرد

(د) قرى فخذ طريب والميرين :

- (١) الجرايع (٤) رغو (٧) وهبة
(٢) الفرس (٥) آل كريم (٨) آل عرفان
(٣) الحراملة (٦) آل جابر (٩) آل أبي نهار

ثالثاً : قرى بطن بني بشر :

- (١) العسران (١٢) الجمعة (٢٣) الزاوية
(٢) آل شياع (١٣) قعيم (٢٤) آل الثنا
(٣) عثمان (١٤) الدرب (٢٥) شبيرومة
(٤) المحافيط (١٥) ابن النمر (٢٦) مثاب
(٥) آل سارغة (١٦) فرحان (٢٧) دارمة
(٦) آل عازب (١٧) ابن عاطف (٢٨) ابن كليب
(٧) حمالة (١٨) العبيدية (٢٩) ابن مظهر
(٨) المقيق (١٩) آل عطيف (٣٠) الجوبة
(٩) العرابة (٢٠) آل ظالم (٣١) آل مكر
(١٠) آل الخلف (٢١) الزهرة (٣٢) سويب
(١١) الوسط (٢٢) آل مانع (٣٣) أهل سعياء

ويلاحظ بكل جلاء أن أكثر الأسماء الواردة إنما هي في الواقع في أسماء فروع القبائل الساكنة في القرى نفسها ، وهذا الاستعمال ناشئ عن تغلب اسم القبيلة على اسم القرية نفسها .

الفصل السادس

رجال ألمع ورجال الحجر

سب ألمع وأقسامها - قرى ألمع وأوديتها - رجال الحجر - قبيلة بني شهر - فضاء محائل .

١ - نسب ألمع وأقسامها

تقع بلاد ألمع إلى الغرب من بلاد قبيلة عسير ، وتناخها في منقلب السراة الغربي التي يسميها أهلها « الطور » ، وأهل البلاد يحسبون ألمع تهامة لعسير . وقد غلبت على ألمع تسميتها برجال ألمع ، مع أن « رجال » إحدى البلدين الشهيرتين : « رجال » و « الشعين » في هذه المنطقة كما سندكره في موضعه . أما القبيلة نفسها فلم أستطع التثبت من كونها قبيلة « ألمع » أو أنها قبيلة « آل مع » كما أرجح ، ثم حرفت فأصبحت « ألمع » .

وتنسب قبيلة ألمع إلى « أزد شنودة » . ويعتبرهم جيرانهم بأنهم من بني قريظة نظراً لتقاربهم . وكثرة فسادهم وشرورهم . وينضوى تحت لواء القبيلة الأصلية الأزدية فرقتان هما : « أهل صلب » و « بنو زيد » وأصلهما من بكر مثل أهل الدرب ، إلا أن هذا التمييز في الأصول فقط لا في العادات والمعاملات .

وتمتد ديرة ألمع على سفوح الطور الغربية مما يصاقب بلاد عسير من جنوبها إلى شمالها ، والصلات بين البلادين كثير ومتينة . وألمع تابعة لعسير اسما في هذه الأيام ، وقد كانت تابعة لها أيام سلطانها وغلبتها ، وكانت أيام الحكومة العثمانية « فاعمةقامية » مرتبطة بمركز « المتصرفية » في أبها ، وهي في وقتنا الحاضر قضاء تابع لأمانة أبها أيضا .

يختلف أفراد ألمع عن مجاورهم من عسير بعدة صفات ، ويمكن حسابهم من المخضرمين بين قبائل تهامة وقبائل عسير من حيث عاداتهم ولباسهم ومظهرهم ،

أما من حيث قاماتهم فقد لاحظت أنه يغلب عليهم شكل القبائل اليمانية بقصر قاماتهم ونحافة أجسامهم وأشكال رؤوسهم ووجوههم . إلا أن فيهم ظاهرة غريبة جداً بادية في لون العيون ، فإن كثيرين منهم ذوو عيون خضراء مائلة إلى الزرقاء . أما من ناحية الشكل الظاهر فإن ملابسهم لانشبه ملابس أهل عسير لافي لونها ولا في تفصيلها ، بل هي خضراء دكناء تكسبهم شكلاً فذاً في بابه . ولهجتهم قريبة من لهجة أهل عسير القاطنين سفوح الطور الغربية في قلبهم لبعض الحروف عن مخارجها وفي نطقهم للقاف والكاف بما يشبه نطق الألمان واليونان للخاء أى بين الخاء والشين .

ويبلغ غزو ألمع ٧٠٠ مجاهد ، وقد ضوعف هذا العدد في الوقائع الأخيرة مع الين وكان في وسع القبيلة استبدال المجاهدين من وقت إلى آخر . وقد قدروا عدد سكانها بما لا يقل عن ٣٠ — ٤٠ ألف نسمة .

ويحيط بالقبيلة من جنوبيها بنو شعبة أهل الدرب في وادى عتود ، ومن شماليها آل موسى وبنو توعة من قبائل بارق ومخائل ، ومن شرقيها عسير بأقسامها الأربعة ومن غربيها قبائل المنجحة وبنو هلال وقنا وبحرين سكيينة .

وتقسم القبيلة إلى عشرة أقسام ، غير أنها — حين الجهاد — تنصوى تحت سبعة ألوية ، والواقع أن بعض الفروع الصغيرة أرادت أن تنفصل ، لكنها داخله ضمن الفروع الكبرى ، وفيما يلي أسماء البطون مع أخذها :

أولاً — بنو قطبة : مركزهم الشعبين ، ولهم أربعة فروع :

(١) آل موهوب (٣) فرع يسكن الشرفة

(٢) فرع يسكن الشعبين (٤) فرع يسكن مجان

وينصوى تحت هذا البطن لخذ مستقل يعرف بفخذ « أهل العوص » .

ثانياً : بنو ظالم : وأخاذهم :

- | | | |
|-------------------|-------------------|-------------|
| (١) آل جميدة | (٥) آل درقة | (٨) مهال |
| (٢) « السلى | (٦) المقاصدة | (٩) آل جائز |
| (٣) « حليما | (٧) أهل ذنب النقر | (١٠) « عمقة |
| (٤) أهل قرية رجال | | |

ويتبع « بنى ظالم » بطن يسمى « البنا » ، وفيه عشائر كثيرة ، أهمها :

- | | | |
|------------|--------------|--------------|
| (١) الحارث | (٣) المشهورة | (٥) آل رقصان |
| (٢) آل هبة | (٤) آل سمي | (٦) الخلاوية |

ثالثاً : بنو شحب : وفيهم فخذان :

أ - بنو عبد ، وهم :

- | | |
|--------------|-------------|
| (١) آل المسح | (٤) آل قفيل |
| (٢) « زياد | (٥) « فقوة |
| (٣) « رادة . | |

ب - بنو شديدة ، وهم :

- | | |
|----------------|---------------|
| (١) القمور | (٣) آل مفلح . |
| (٢) الصواقعة . | (٤) الخلوطة . |

رابعاً : بنو قيس : وفيهم الأخاذا الآتية :

- | | | |
|----------------|----------------|-------------|
| (١) آل التعالى | (٤) أهل المزار | (٦) الصدر |
| (٢) آل بعل | (٥) آل الرصوب | (٧) أهل شحق |
| (٣) آل الجرعة | | |

خامساً : بنو زيد ومنهم :

- | | | |
|--------------|----------------|------------------|
| (١) آل حيان | (٣) آل الرويعي | (٥) أهل دبلة |
| (٢) آل الملك | (٤) آل الشحطة | (٦) آل النجمين . |

سادساً : بنو حيونة ومهم :

١ — آل العلاء

ب — آل جندابو

ج — آل اللحيين ، وم أربع عشار هي :

(١) آل الحسين (٣) آل المسيلة

(٢) آل عبيد (٤) آل محلبة

سابعاً : أهل صلب وفيهم :

(١) آل عراف (٤) آل السروة (٦) أهل السرو

(٢) المحجرة (٥) آل الشعبي (٧) جعدة

(٣) ملعين

ويطلق أهل هذه البلاد اسم « بكر » على بنى زيد وأهل صلب ، كما يطلق اسم بنى تغلب على بنى شعبة ، وربما كان هذا تشبيهاً بيكر وتغلب لاسبب سبة صحيحة بين القبيلتين .

ويقيم بين قبيلة ألمع فريق من السادة يعرفون بالسادة « الحفاظية » (واحد من حفظي) هم بمقام الفقهاء والقضاة للقبيلة . وقد اطلعت على كراسين مخطوطين من تأليف بعض قضاة الحفاظية اسم الأول : « الديوان المرضي » تأليف أحمد « الحفطي » . واسم الآخر : « الفل المدود » ، في سيرة ملوك آل سعود .

وكلاهما يبحث في تاريخ الحركة السلفية في نجد وبمها على يد الإمام محمد بن سعود وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي ، وتاريخ فتح عسير وتهامة وغير ذلك من الأحداث .

٢ - قرى ألمع وأوديتها

بلاد ألمع بمجموعة جبال ووديان . وأهم الوديان التي تقوم حولها القرى الهامة أربعة هي :

أولاً : وادي حلى : ويمرّ في بلاد ثلاثة بطون من ألمع ، فصوله لبنى قطبة ، ووسطه لبنى ظالم ، وأسفله للبنّا ، وهو يطلع من الطورأى السراء ، ويصب في البحر الأحمر عند قرية مخشوش المسماة حلى ابن يعقوب ، وتقع عليه القرى الآتية :

- | | | |
|--------------|----------------------------|-------------------------------|
| (١) العوص | (٧) مندر العوص | (١٣) الحارث وهي أول قرى البنة |
| (٢) المشايخ | (٨) ضاحية أول قرى بنى ظالم | (١٤) أهل تنومة |
| (٣) آل مبيوع | (٩) الجبيل | (١٥) أهل سمى |
| (٤) لأصم | (١٠) تماية | (١٦) رتعان |
| (٥) غنمة | (١١) الظهرة | (١٧) ردام |
| (٦) الجرعة | (١٢) الفقى | |

ويتمهى العمران عند ردام إلى مسافة مرحلتين المطية حتى يصب الوادى في البحر عند حلى ابن يعقوب . ويصب في هذا الوادى أودية كثيرة أهمها وادى الشمين الذى يدفع في مندر العوص ، ووادى عمقة لبنى ظالم يصب في وادى حلى بقرب تقى . وتقوم عليه ثلاث قرى : عمقة ، والرديف ، والحريزة .

ثانياً : وادي كسان : علوه لبنى ظالم ووسطه لقيس وأسفله لبنى جونة ومنتهاه لأهل صلب . ينبع من جبل قوة ، وتقوم عليه القرى الآتية :

- | | | |
|----------------------|------------|--------------------|
| (١) رجال قرية مشهورة | (٥) رحى | (٩) الدير لأهل صلب |
| (٢) البصح | (٦) المطقة | (١٠) الحبيب |
| (٣) البتيلة لقيس | (٧) الضيق | (١١) شط ميكة |
| (٤) القفا لبنى جونة | (٨) مخليّة | |

و بعد شط ميكة يمرى الوادى فى القفر إلى أن يدفع فى البحر بقرب القحمة .

ثالثاً : وادى ريم : لشعب ويطلع من جبل شعب ويصب فى كسان عند حدود أهل صلب ، ويتفق الواديان ويصبان معا فى القحمة ، وتقع على الوادى القرى الآتية :

(١) الصدارة	(٤) الباخة	(٦) ذو المصون
(٢) شوحطة	(٥) ضلاع	(٧) الأثل
(٣) عكنة .		

رابعاً : وادى حسوة : وهو لقبس وبني يزيد ، ويطلع من الطور بقرب العوص ، ويصب فى درب بني شعبة ، أى فى ملتقى وادى ضلع وادى عتود ، وفيه من القرى :

(١) الصدر	(٤) الحبله	(٧) النجود
(٢) النروة	(٥) الفنيان	(٨) المرايفة
(٣) الرصوب	(٦) هيصة	

وأما القرى الجبلية فكثيرة : يذكر منها فيما يلى ما كان لكل بطن من بطون القبيلة على حدها :

١ - قرى بني ظالم :

(١) قوة	(٤) الضحى	(٦) أم لوان
(٢) المرواح	(٥) الشرف	(٧) القاربة
(٣) المدرقة		

ب - قرى بني قطبة :

(١) الشرفة	(٣) غُرّ	(٥) سالم
(٢) محجان	(٤) شوكان	

ج - قرى قيس :

(١) المرار	(٣) القلة	(٥) الحورة
(٢) مويركة	(٤) العرة	

د — قرى جونة :

- | | | |
|-------------|-----------------|----------------|
| (١) المصادة | (٣) وطن آل جندب | (٥) المسكتة |
| (٢) القارية | (٤) المشبة | (٦) أهل الشرف. |

هـ — قرى أهل صلب :

- | | | |
|-----------|----------------|---------------|
| (١) الحجر | (٣) أهل السروة | (٥) آل عراف |
| (٢) معلين | (٤) الشعبي | (٦) الكرى |
| | | (٧) أهل السرو |

و — قرى شحْب :

- | | | |
|---------------|-------------|-------------|
| (١) الحِمْ | (٣) آل قفيل | (٥) آل رادة |
| (٢) آل زياد . | (٤) آل ققوة | |

ز — قرى شديدة :

- (١) غمرة ، وليس لها في الجبال قرى غيرها .
 أما بنو زيد فليس لهم في الجبال قرى مطلقا .
 وقد أخبرني زيد بن غرارة من كبار أُمع أن قوانين القبيلة تقضى بجمعها فسمين :
- ١ — أُمع الشام : وتتألف من بني ظالم ، وشحب ، والبنا ، وبني قطبة .
 ٢ — أُمع اليمن : وتتألف من قيس ، وجونة ، وصلب ، وبني زيد .

٣ — رجال الحجر

يطلق اسم « رجال الحجر » على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد عسير وشهران جنوبا ، وبلاد بني شهر وبالقرن شمالاً ، وشهران شرقا ، وقبائل محائل وبارق غربا ، والقبائل الثلاث هي : بالأحمر ، وبالأسمر ، وببنو عمرو .
 وهنالك من يقول إن اسم « رجال الحجر » لا يشمل غير قبيلتي بالأحمر وبالأسمر ، وأن بني عمرو ينسبون إلى الشلاوة وغيرهم .

أولاً — قبيلة بالأحر : أقرب القبائل إلى عسير ، وتبدأ حدودها اعتباراً من عقبة « شعار » وبلاد بنى مالك عسير إلى أن تتصل بقبيلة بالأحر . وتقسم القبيلة إلى الأقسام الصغيرة الآتية :

(١) المجنب	(٦) أهل لبان	(١١) آل محمد
(٢) بنو ثعلبة	(٧) نازلة	(١٢) العارفين
(٣) آل الأصالح	(٨) أهل هيج	(١٣) آل مخلد
(٤) آل القاسم	(٩) آل عزّام	(١٤) آل العلوى (املوى)
(٥) آل الزيان	(١٠) أهل بهوان	

ويتبعهم في تهامة فريق يسكن قرية « فرشاط » الواقعة في آخر ما يمتدّ إليه بصر الواقف في أعلى عقبة شعار إلى جهة مجرى الوادى على طريق « محائل » .

وتسكن القبيلة قرى شبيهة بقرى عسير وعددها ٣٠ قرية ، عدا قرية « فرشاط »

في تهامة ، وهى :

(١) عجل	(١١) آل مبارك	(٢١) آل عزّة
(٢) آل الضلع	(١٢) أهل الطويب	(٢٢) آل الصدامى
(٣) آل الزيان	(١٣) صبح	(٢٣) آل العلوى
(٤) مسفرة	(١٤) آل عامر	(٢٤) الزبيّة
(٥) بنى ثعلبة	(١٥) آل رشيد	(٢٥) عبالة
(٦) آل عصاة	(١٦) قرابنة	(٢٦) آل مَورِق
(٧) الهبشة	(١٧) آل رافع	(٢٧) آل حسين
(٨) الخلة	(١٨) جذام	(٢٨) آل عمر
(٩) أهل عبالهم	(١٩) بيحان	(٢٩) المادين
(١٠) آل مخلد	(٢٠) آل كامل	(٣٠) آل الشاعر

ثانياً — قبيلة بالأسمر : كبير هذه القبيلة عبدالله بن علي بن حرمان ، وديرتها إلى الشمال من ديرة بالأحمر ، وفيها الأقسام الآتية :

(١) ذبوب	(٤) بنو قاعد	(٧) آل عياض
(٢) آل خريم	(٥) أهل حوران	(٨) بنو جنادة
(٣) سدوان	(٦) أهل الفصح	

وأما قرى هذه القبيلة فهي :

(١) بنو مالك	(٣) القواعد	(٥) أهل الفاحتية
(٢) أهل حزم	(٤) آل الطير (امطير)	(٦) أهل الشبين

وفي تهامة فروع كثيرة تتبع « بالأسمر » ، وبعضهم يحسب أهل « فرشاط » منهم ، غير أنها في الواقع تابعة لقبيلة بالأحمر . أما الذين في تهامة من بالأسمر فهم :

(١) آل حماد	(١٤) آل خالد	(٢٦) القرعة
(٢) السوق	(١٥) آل غماد	(٢٧) آل معلم
(٣) ذبوب	(١٦) آل أم عقيف	(٢٨) آل ليم
(٤) غاشرة	(١٧) شغب	(٢٩) آل مداد
(٥) وعلام	(١٨) مضوى	(٣٠) آل المعتلى
(٦) آل عمير	(١٩) أم قشيع	(٣١) ششة
(٧) عطيفة	(٢٠) الجرعة	(٣٢) عتمة
(٨) الحظيرة	(٢١) المطفة	(٣٣) محرز
(٩) آل رزق	(٢٢) رحي	(٣٤) آل مسهل
(١٠) القرى	(٢٣) الفرسة	(٣٥) أسود
(١١) آل مطرق	(٢٤) عينين	(٣٦) ريضان
(١٢) محور	(٢٥) البطين	(٣٧) مارد

(١٣) أبو خشرة

ثالثاً — قبيلة بنى عمرو : تقع ديار هذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأحر وبالأحمر .

٤ — قبيلة بنى شهر

قبيلة بنى شهر من أهم القبائل العربية على السراة ، ويحدها من الشمال : غامد وزهران وبالقرن ، ومن الجنوب : رجال الحجر ، ومن الشرق : يشة وشهران ، ومن الغرب : قبائل القنفذة . وكانت بلاد هذه القبيلة أيام الحكومة العثمانية « قضاء » فيه فاقم مقام مركزه بلدة « النّخاص » أكبر قرى القبيلة . وكانت القبيلة وقتاً ما تابعة للسيد محمد على الإدريسي ، غير أنها كانت أقرب إلى مكة منها إلى صبيّا أو أبها ، وذلك بسبب أواصر النسب بينها وبين الأشراف في مكة ، ومنذ قيام الحكومة الحاضرة أثبتت لإمارة عسير ، أسوة بالقبائل السابق ذكرها فيما مرّ من الكتاب ، وبالقبايل التي سنذكرها في النبهة الآتية .

وقد اختلف في تقسيم القبيلة وتفريعها ، فبعضهم يعتبرها أربعة أقسام والبعض الآخر يعتبرها قسمين ، إذ أن الإدريسي — حينما كان حاكماً — قسم بنى شهر إلى قسمين :

١ — سلامان ، ويتبع المسبلي .

٢ — بنو أثلة ، ويتبع الشبلي .

ولكنه لم يتبع طريقة معينة في إدخال الفروع في هذين الأصلين ، ولم يتبع التسلسل باليلاد ، بل كان تقسيمه على حسب اجتماعه . وقد ألتى هذا الترتيب الآن ، وعادت التقسيمات إلى ما كانت عليه من قبل تبعاً للعنومات التي ورثتها القبيلة والتي تقضى بقسمتها إلى الأقسام الموضحة فيما يلي :

أولاً : بطن شهرة الأمين أو الكلازمة : وتبعه الأخاذ الآتية :

(١) بنو بكر (٣) بنو جبير

(٢) بنو قشير (٤) آل ابن ريّاع

ولهذا البطن أتباع في تهامة هم : فخذ عَبَس ، وفيه من العشائر :

- | | |
|-------|-----------|
| (١) | أهل الحيد |
| (٣) | الحصنة |
| (٢) | آل عبيد |
| (٤) | آل عَمَار |

ثانياً : بطن العوامر ، وتتبعه الأخفاذ الآتية :

- | | | | | | |
|-------|-----------|-------|---------|-------|---------|
| (١) | بنو مشهور | (٤) | آل سودة | (٧) | كنانة |
| (٢) | بالحصين | (٥) | مليح | (٨) | بنو لام |
| (٣) | آل بهيش | (٦) | دحيم | | |
- وأتباع العوامر في تهامة هم : أهل أترب ، وصيون وأقسامهم :
- | | | | | | |
|-------|----------|-------|-----------|-------|--------|
| (١) | آل يحمّد | (٣) | آل محجوبة | (٥) | العصّة |
| (٢) | آل يعلى | (٤) | آل محباشى | | |

ثالثاً : بطن بالحارث أهل الشعفين ، أو أهل وادى تَنُومَة ، وفيه الأقسام الآتية :

- | | | | | | |
|-------|-----------|-------|---------|-------|-----------|
| (١) | أهل تنومة | (٣) | حبيبة | (٥) | آل الصعدى |
| (٢) | آل دحان | (٤) | الجهاضة | (٦) | الخصون |
- ولهذا البطن في تهامة أتباع في نَعَص والمنظر وَبِجَرَة ؛ وأكثرهم من البدو الرُّحَل

رابعاً : بطن بنى التيم ، وفيه الأقسام الآتية :

- | | | | |
|-------|---------|-------|----------|
| (١) | آل وليد | (٣) | آل زيدان |
| (٢) | آل ليلح | (٤) | خشرم |

وأتباعهم في تهامة :

- | | | | |
|-------|----------|-------|-----------|
| (١) | بنو حسين | (٥) | بنو نخلد |
| (٢) | بالمجدع | (٦) | آل شغيب |
| (٣) | بنو زهير | (٧) | آل حميت |
| (٤) | المجاردة | (٨) | آل الأملح |

وللقبيلة فريقان آخران يتبعانها هما :

١ — شهر الشام . وفيه ثلاثة أقسام :

(١) بنو ثابت ، وقريتهم السروة

(٢) بنو الأوس

(٣) أهل القبل

ب — قبيلة ترбан : وهم بدو رحّل مازالوا على الفطرة يسكنون المغاور والكهوف وحالتهم الاجتماعية في غاية الانحطاط .

وللقبيلة بنى شهر أسواق أسبوعية شهيرة ، نذكر أهمها فيما يلي :

١ — سوق تنومة في قرية آل صفوان يوم السبت

٢ — سوق عبس » الأحد

٣ — سوق المجازة » الاثنين

٤ — سوق النماص في قرية المسابلة » يوم الثلاثاء

٥ — سوق شهرة الأمين في السرو » الأربعاء

٦ — سوق بنى التيم في قرية الخضرية » الخميس

٧ — سوق أترب » الجمعة

أما قرى القبيلة فتزيد على المائة ، مما يدل على غناها وأهميتها ، وهي :

(١) التماي (٢) منعا (٣) المركبة (٤) آل ثابت

(٥) السنطوف (٦) شعيبية (٧) المتن (٨) النصاب

(٩) روق (١٠) الحفير (١١) الصيدة (١٢) سدومة

(١٣) خصيري (١٤) الوهدة (١٥) الحلقة (١٦) بيضان

(١٧) آل عمر (١٨) آل حفس (١٩) ربع هزاع (٢٠) الوطا

(٢١) ما ولد على (٢٢) السوق (٢٣) المهد (٢٤) الصبيات

(٢٥) الفنان (٢٦) التيس (٢٧) القرعة (٢٨) آل محمل

(٢٩) الفضول	(٣٠) حَبِّي	(٣١) التلت	(٣٢) مجاوب
(٣٣) البروة	(٣٤) آل ايدي	(٣٥) العاسية	(٣٦) محذل
(٣٧) العاسمة	(٣٨) آل سعد	(٣٩) العرف	(٤٠) آل حسين
(٤١) الالهة	(٤٢) الميغى	(٤٣) معمع	(٤٤) آل صفوان
(٤٥) زينب	(٤٦) البردة	(٤٧) مليح	(٤٨) آل مرحب
(٤٩) الحذب	(٥٠) الملا	(٥١) آل سلام	(٥٢) منعا المجلد
(٥٣) الطرف	(٥٤) شَرِي	(٥٥) آل حشاة	(٥٦) آل يسار
(٥٧) رزيق	(٥٨) الخلاة	(٥٩) جرادة	(٦٠) آل ذخران
(٦١) الشهوم	(٦٢) صميان	(٦٣) عصيين	(٦٤) آل معافى
(٦٥) الأَحْض	(٦٦) صخيف	(٦٧) قويس	(٦٨) آل مروح
(٦٩) آل عريف	(٧٠) الشرف	(٧١) الدحمان	(٧٢) العوصا
(٧٣) جار	(٧٤) علبة	(٧٥) فيلثة	(٧٦) الدهنا
(٧٧) آل بهيش	(٧٨) القرية	(٧٩) الفذال	(٨٠) الخربة
(٨١) منزل العشر	(٨٢) أهل عرعة	(٨٣) الحصون	(٨٤) عطية
(٨٥) مرزوق	(٨٦) آل رحمة	(٨٧) آل ناشر	(٨٨) آل عقيقة
(٨٩) المدانة	(٩٠) العرق	(٩١) مسامة	(٩٢) آل قحطان
(٩٣) خصرأ	(٩٤) بحيرة	(٩٥) آل طوير	(٩٦) الشبرة
(٩٧) قيس	(٩٨) الحلقة	(٩٩) الحباوة	(١٠٠) القيم
(١٠١) أريامة	(١٠٢) لجيج	(١٠٣) خشم	

٥ - قضاء محائل

قضاء محائل من توابع إمارة عسير، وهو على طريق المسافرين من أبها إلى القنفذة،
وفيه من القبائل خمس هي :

١ — قبيلة الرّيش : ولها من القرى :

- | | | |
|------------------|---------------|------------|
| (١) أم شعتار | (٤) الحاطة | (٦) أم كدس |
| (٢) شمبين | (٥) قرن الماء | (٧) أم حضن |
| (٣) معشى أم حُضو | | |

ب — قبيلة آل مِشُول : ويمسكها بعضهم من الرّيش . وفضلنا أفرادها

بالبحث ، ولها من القرى :

- | | | |
|-------------------|-------------|------------|
| (١) حصن أمّ خيالة | (٢) أم ظاهر | (٣) المائخ |
|-------------------|-------------|------------|

ج — قبيلة آل الدريب : وقراها :

- | | | | |
|----------|----------|------------|--------------------|
| (١) شرقش | (٢) مصبح | (٣) الراحة | (٤) العين أو أمعين |
|----------|----------|------------|--------------------|

د — قبيلة آل موسى : وقراها :

- | | | |
|----------------|-------------|------------|
| (١) بلدة محائل | (٥) آل عمر | (٨) الشبجة |
| (٢) للعثنى | (٦) آل عيسى | (٩) أم صحف |
| (٣) أم نصب | (٧) مقهب | (١٠) محصن |
| (٤) أم جريان | | |

ه — قبيلة بنى ثُوَعة : وقراها :

- | | | |
|------------------|------------------|--------------------------|
| (١) أم بطح | (٥) قرين | (٨) أهل سامة |
| (٢) آل غنية | (٦) أهل البدلة | (٩) أهل العيدة أو أمعيدة |
| (٣) آل مشيدة | (٧) حسن بن شاطبة | (١٠) آل قيس |
| (٤) الشط أو أمشط | | |

القسم الثالث

نخبِ رانِ

الفصل الأول

نجران

موقع نجران — الأودية العرقية — نجران في كتب العرب — النصرانية واليهودية
الإسماعيلية — زعامة المكارمة — سكان نجران — قبائل اليامية — قبائل اليمن الممهورة

١ — موقع « نجران »

نجران أحد الأودية الستة التي تصفى مياه الأمطار المتحدرة من السفوح الشرقية لسلسلة الجبال الممتدة من جنوب بلاد العرب إلى شمالها بعد دخولها في البلاد المشمولة بحكم ابن سعود والتي يسميها العرب جبال « السراة » أو « الحجاز^(١) » . ومع أن نجران ليس أهم الأودية الستة المشار إليها من حيث طوله والروافد التي تصب مياهها فيه والقرى والمزارع القائمة على جوانبه ، فإن له شأنًا خاصًا من جهات كثيرة أخرى أهمها علاقته بتاريخ النصرانية واليهودية ووجود آثار كنيسة ومبانٍ قديمة يقول بعضهم إنها بقايا المدينة الوارد ذكرها في القرآن باسم (الأخدود) . ولما كنت قد ذكرت الأودية الستة فإنني أرى من المناسب أن أذكر أسماءها والبلاد التي تنبع منها والتي تنتهي إليها مبتدئًا من الجنوب إلى الشمال على وجه الترتيب .

٢ — الأودية الشرقية

أولاً — وادي نجران ، وهو منفصل عن الأودية التي في بلاد الأمام يحيى بجبال مرتفعة تشكل سطحين مائلين لخط تقسيم المياه ، سطح جنوبي تنصفي مياهه إلى

(١) بعضهم يسمي السلسلة ساق الغراب ، وهم بالأحرى يسمون السلسلة الغريبة ساق الغراب والسلسلة العرقية لها أسماء أخرى .

وادی الفرع وأصحح اللذين يتجهان في بلاد الجوف في المين ، وسطح شمالى تتصفي مياهه إلى وادی نجران ، إلا أن أكثر مياه الوادى تأتيه من جهة الغرب لا من جهة الجنوب . ومياه الأمطار التى تأتي إلى وادی نجران من جهة الغرب تتجمع من السيول والروافد الكثيرة القادمة من بلاد قبيلة سحار وبعض قبيلة بنى جماعة (وكلتاها ترجع في أصولها إلى قبيلة خولان بن عامر) ، وأما مجرى الوادى نفسه وأطرافه ومنتهاه فإنه ملك لأحد فروع قبيلة همدان بن زيد المعروفة باليامية .

ثانياً — وادى حبونة (ويسميه جغرافيو العرب المتقدمون حبونز) ويقع إلى الشمال من نجران ، وتفصله عنه هضاب شتى أكثرها مرتفع وفى أعاليها منبسطة اسمه الصحن . والواديان يسيران متوازيين تقريباً ، وبعد أحدهما عن الآخر فى غالب مقاطعهما مسافة يوم للجمال الحملة ، ومصعبهما عند رمال المهمل أى الربع انخالى يبعد هذه المسافة أيضاً . ووادى حبونة أقل أهمية من نجران وأقل عمراناً وقرى بالرغم من أن هنالك أودية مشهورة تصب فيه ، منها أودية بدر والخائق وهداة والحرف . وهو يصفى المياه التى تنحدر إلى جهة الشرق من القسم الشمالى من بلاد بنى جماعة اليمانيين كما أنه يصفى بلاد وادعة من همدان والقسم الجنوبى من بلاد قبيلة قحطان . ويمكن ذكر ستة أودية مهمة فى بلاد بنى جماعة ووادعة وقحطان يصح اعتبارها أساساً لوادى حبونة وهى (١) وادى الحاجر ويصب فى هداة (٢) وادى قتام ويمر ما بين عمق الشطبة وعلب التين هما نقطة الحدود بين بلاد ابن سمود والإمام يحيى الفاصلة بين حدود بنى جماعة وسحار الشام وحدود وادعة (٣) وادى العين ويمر فى قرى كثيرة منها طهران والمزرعة (٤) وادى العيل وينتهى إلى حبونة بعد أن يمر فى وادى القرن (٥) وادى طلحة (٦) وادى رشاد

ثالثاً — وادى تثلث ، وهو يصفى الأمطار التى تتجه إلى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة قحطان ، كما أنه منتهى عدة أودية مهمة تصفى قسماً من بلاد قبيلة شهران صاحبة الوادى الرابع الذى سنذكره فيما يلى ، وهذا الوادى أطول من الواديين



خريطة خوزستان

رسمت: غمیتا لایساج الواقع والیدانی
الارده و کرمان و المان و خوزستان

مجلس
قزوین و خوزستان

۱۳۵۴ - ۱۳۵۳

المقدمين وأكثر اعوجاجاً منهما، وهو في اتجاهه مختلف عنهما نوعاً لأنه منحرف إلى الشمال الشرق . والأودية التي تصب فيه كثيرة نذكر أهمها هي : (١) الجمع (٢) جناب (٣) سروم (٤) راحة سنجان (٥) راحة شريف (٦) وادي الحرجة (٧) وادي محلاة (٨) وادي يموص (٩) وادي الوفيرة (١٠) طريب (١١) الهيج (١٢) وادي المسيرق وهو يتألف من ثلاثة أودية كبيرة في بلاد شهران : وادي الشيق و وادي السليل و وادي خير ، وتتجه إلى وادي ثفن ثم تصب في تثلث (١٣) وادي القاعة . ويتنهي وادي تثلث عند الرمال المعروفة باسم المختمة بقرب وادي الدواسر . وقد فاض تثلث عام ١٩١٧ وكسر السد الرمي و طغى على وادي الدواسر فأغرق قرى كثيرة وسبب خسائر عظيمة في الأرواح والأموال . ويمكن القول بأن مجرى الوادي وأطرافه ملك لفروع قبيلة قحطان ما عدا المسيرق والقاعة فإنهما لشهران .

رابعاً — وادي ييشة وهو أطول الأودية الستة وأهمها ، ولذلك يقسمونه إلى ثلاثة أقسام يسمونها ييشة ابن سالم من قحطان و ييشة ابن مشيط و ييشة النخل . وهو يصفي مياه الأمطار التي تتجه إلى الشرق والشمال من ديار بطنى رفيدة وعبيدة من قبائل قحطان وديار قبيلة عسير كلها وديار شهران عدا ما يصب في تثلث من المسيرق والقاعة وديار بالأحر والأسمر وبنى شهر كلها . أما الأودية الكبيرة التي تصب فيه فإننا نذكرها على وجه الاختصار لأن ذكرها كلها يستغرق من التفصيل ما لا يسمح المجال بذكره هنا : (١) وادي تندحة (٢) وادي أبها الذي يكون اسمه في علوه حيث ينبع عند السقا مركز بنى مغيد من عسير « خبيبي » (٣) وادي عتود (٤) وادي الحجرة (٥) وادي هرجاب (٦) وادي ترج (٧) وادي تباله (٨) بطنة الحبيب . ومن المهم أن نذكر أن وادي ييشة ينبع في علوه من بلاد عبيدة ورفيدة من قحطان عند مكان فيه آثار قديمة لبلدة خربة كانت مشهورة في الكتب العربية باسم « جرش » . وبعد أن يمر في بلاد ابن مشيط يجتمع به وادي تندحة قادما

من ضفته اليمنى ووادى عتود وأبها من جهة الغرب ووادى الحرة الذى هو إلى الغرب والشمال من وادى أبها إلى أن يلتقى عند بلاد ابن هشبل فيصبح اسم الوادى اعتباراً من هذا المكان وادى شهران ، ثم يظل هذا الاسم عليه إلى أن يصل إلى مزارع تسمى واعر ، وهى تعتبر أول وادى بيشة الذى هو الأصل فيما يطلق عليه « وادى بيشة » وهى تبعد عن الروشن مركز بيشة أكثر من يومين للجمال الحملة . ويمتد الوادى بعد قرى بيشة التى آخرها الخينة إلى أن يصل إلى منطقة الرمال فيغور فيها فى الرمل المسى رغبة عند مكان اسمه ظاغن .

خامساً — وادى رنية ، ومنبعه الأصل فى بلاد غامد الواقعة إلى الشمال من بلاد بنى شهر من موضع اسمه ثراد ، وبعد أن يصفى ديار قبيلة غامد ومض زهران وبالخارث وبنى عمرو يبدأ العمران فيه عند نخيل اسمه الأملح ، بعد أن يسقى القرى الكثيرة الموجودة على أطرافه والتى آخرها من جهة مصبه بلدة العاير إلى أن يصل إلى رغبة وينتهى عند هجلة المستحتمية . ويصب فى هذا الوادى أودية فرعية كثيرة أهمها : (١) غتران (٢) الهجرة (٣) قرّة .

سادساً — وادى تربة وأصل منبعه فى غلود فى ديرة زهران وبنى مالك ، ولكن أكثر مياهه تأتى من ديرة البقوم فى حضن وأطرافه من حرة سبيع الواقعة إلى الشرق والجنوب من الخرمة ، وينتهى الوادى فى عرق سبيع الرمل عند القنصلية والعرق يبعد مسيرة مرحلة للطية عن الخرمة ، ويفصل وادى تربة عن وادى رنية حرة سبيع المشهورة . ويصب فى وادى تربة عدة أودية أهمها : (١) الهجرة (٢) المبايع (٣) سعدانات (٤) الجوفا (٥) الحرملية (٦) الشضو (٧) الجنينة (٨) الظلم ومفيد والسدرى .

٣ — « نجران » فى كتب العرب

ورد ذكر نجران فى كثير من الكتب العربية ، غير أنه يتراءى لى أن الذين كتبوا عنها فى الأعصر القديمة إنما كتبوا ماسمومه كأفضل المتأخرون والفرق بين كتابة

السامع والمشهد عظيم ، وأكثر المؤلفين من العرب يذكرون أن نجران مغلاف من مخالفين اليمن وأنه يقع بين صنعاء واليمامة (نجد) ويذكر بعضهم أن اسمه مشتق من اسم أحد حفدة يعرب بن يشجب ، ويغلب على الظن أنهم كانوا يسيرون إلى نجران كأنه علم لمدينة كبيرة لأنهم يذكرون أن نجران وجرش مدينتان هما دون صعدة إلى جهة مكة وأنهما متشابهتان (ذكرت عن جرش أنها خربة وقد بقيت منها أطلال دارسة في علو وادي بيشة) . وقد ذكر اسم إحدى قرى نجران المسماة بالأخدود في القرآن الكريم في سورة البروج ، وورد الاسم أيضاً في السيرة النبوية بمناسبة وفود أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في الإسلام قبيل وفاته . وورد ذكر أهل نجران بمناسبة أخرى أيضاً وهي حديث النبي عن مشاهدته لقس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب المشهور وقد كان قس أسقفاً لنجران قبل الهجرة . وقد كشف جوزف هاليفي المستشرق الفرنسي مساعد كثيرة نقشت على جدران القصور القديمة ونشرت في مجموعة النقوش السامية ، وأصبحت هذه المساند الحجرية مصدراً مهماً لتاريخ نجران .

٤ - النصرانية واليهودية في « نجران »

يذكر مؤرخو العرب ما استفاد منه أن النصرانية سبقت اليهودية إلى نجران وأن محاولة أحد ملوك اليمن الحيريين الذين هادوا أن يرغم نصارى نجران على اعتناق اليهودية أدت إلى تدخل قياصرة الروم بواسطة الحبشة ، وإلى فتح اليمن من قبل الأحباش كما هو مشهور في الكتب العربية . وقد نلخص السير ولیم مویر في كتابه « حياة محمد » أقوال مؤرخي العرب في ذلك ، ونقل الدكتور هيوز في كتابه « قاموس الإسلام » ما هذه خلاصته :

كان ذونواس الحيرى في أحد أسفاره إلى المدينة اعتنق الديانة اليهودية ، وحينما عاد إلى اليمن حاول نشرها فيه أيضاً . فلقى مقاومة عنيفة من أهل نجران الذين كانوا يدينون بالنصرانية ، فغضب عليهم جيشاً كبيراً وهدم كنيسهم وقتل كثيراً منهم ، وكان يحفر لهم حفراً يرقفهم فيها ، ومعنى الحفرة الأخدود وهو المقصود بالآية الكريمة الواردة

في سورة البروج : « قتل أصحاب الأخدود الخ . . » وكان من أثر ذلك أن استبعد نصارى نجران بالقسطنطينية التي كانت حامية للدين المسيحي ، فعهدت هذه إلى ملك الحبشة بنصرة نصارى نجران ، وكان ما كان من استيلاء الأحباش على اليمن (عام ٥٢٥ م) ونصر النصرانية فيه وشروعهم في مهاجمة الحجاز لهدم الكعبة المسكية وإقامة كعبة أخرى مكانها في صنعاء يسميها العرب (القليس) وربما كانت محرفة عن كلمة أخرى .

ومن المعلوم أن النبي ولد في العام الذي غزا الأحباش مكة فيه . ولم يدم ملك الأحباش في اليمن ، كما أن النصرانية ظلت في نجران إلى ظهور الإسلام ، وظل في اليمن كثيرون من اليهود ومن العرب الذين دانوا باليهودية إلى يومنا هذا . وحينما انتشر الإسلام أوفد أهل نجران أساقفتهم ورؤساءهم إلى النبي وصالحوه على أن يظلوا على نصرانيتهم ويؤدوا الجزية ، ولكن حينما قرر الخليفة عمر ألا يبقى في جزيرة العرب دين آخر مع الإسلام صدر الأمر بإخراج من بصر منهم على النصرانية ، وعوض على من خرج مالا مقابل أملاكه .

٥ — الإسماعيلية في « نجران »

يتمذهب أهل نجران كما يتمذهب سائر أبناء عمومتهم وإخوانهم من قبيلة يام بالمذهب الإسماعيلي ، وهو مذهب إحدى الفرق الشيعية الباطنية في الإسلام ، وأتباعه يعتبرون أئمة سبعة من أهل البيت آخرهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويختلفون عن الاثنى عشرية بأن هؤلاء يقولون بإمامة اثني عشر إماما آخرهم محمد الحسن العسكري ، ولا يمتزفون لمحمد بن إسماعيل ؛ بل يتبعون موسى الكاظم . والإسماعيلية بأنفسهم منقسمون إلى عدة فرق أهمها :

١ — فرقة الخواجية التي يترأسها آغا خان .

٢ — فرقة الداودية التي يترأسها طاهر سيف الدين من بومباي .

٣ — فرقة السليمانية التي يترأسها الداعي المكرمي الذي له منصب في الهند في بدر باغ وهو غلام حسين أرهندي .

أما كيفية دخول الإسماعيلية بين أهل نجران وسائرهم فلا نستطيع الجزم به ولا تحديد وقت معين لحصوله ، إلا أن الذي يتراءى لي أن طبيعة اليامية جعلتهم يميلون إلى مخالفة جيرانهم من القبائل في العقائد الدينية وفي العادات الاجتماعية ، ومع أن اليامية بطن مهم من بطون همدان بن زيد فإنهم يختلفون عن مجاورهم بأنهم عرفوا بمزيتين : الأولى اختلاف المذهب ، والثانية كونهم من أشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومعتادين الغزو والغارات ، ولم تشتد دعوة الإسماعيلية في نجران وتصبح لرؤسائهم سيطرة مدنية وقوة عسكرية حكومية إلا منذ ثلاثة قرون ونصف قرن تقريباً حينما قدم إلى نجران الداعي الإسماعيلي المسمى محمد بن إسماعيل المكرمي فاراً من بلدة « طيبة » التي تبعد عن مدينة صنعاء مسافة بضع ساعات إلى جهة الجنوب^(١) .

٦ — زعامة المكارمة

كنت مخطئاً في ظلي أن المكارمة من السادة العلويين إلى أن أتيت لي فرصة الاجتماع المتكرر مع نائب المنصوب عن الداعي والمسمى حسين بن أحمد ، فأعلمني أن المكارمة قحطانيون ، وسرد لي سلسلة نسبه إلى يعرب (حسين بن أحمد بن حسن ابن حسين بن علي بن حسين بن علي بن حسين بن أحمد بن محمد ، وهذا أول من سكن بدر من المكارمة ، ابن الفهد بن صلاح بن داود التامر بن محمد بن عبد الله ابن عمر بن علي بن صبيح بن حسان بن مكرم بن سبأ بن حمير الأصغر بن المنتهب ابن عمرو بن علاق ابن ذى أبين بن ذى يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حيدان بن قطر بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهمسيع بن حمير الأكبر ابن يشجب بن يعرب بن قحطان) .

(١) ذكر لي المكرمي أن بلدة طيبة كانت تسمى في الزمان القديم دورم .

وسرد على المكرمى حادثة قدوم محمد بن إسماعيل إلى نجران ، ثم كتب إلى خلاصة وافية نقلها عن كتاب جامع لتاريخ أئمة الإسماعيليين ودعاتهم وأعمالهم في مدة الدعوة ، ولكنه رفض أن يطلعني على أصل التاريخ الذي عنده مع أنه قديم ويتناقله الدعاة خلفاً عن سلف . وفهمت أن سبب امتناعه عن اطلاعي عليه يعود إلى أن مافيه عائد لشئون باطنية محضة ، وقاعدة أهل الباطن في الإسلام المحافظة على أسرار معتقداتهم وعدم إطلاع الأجانب عنهم عليها .

كان المكارمة مقيمين في « طيبة » ولكن الدعوة لم تنقل إليهم إلا متأخرة ، فقد قرأت فيما كتبه إلى المكرمى أسماء أربعة دعاة من الهند قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام ٩٧٤ إلى ١٠٨٨ هجرية وهم : داود بن عجب الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداودية عن العلمانية وسليمان بن حسن هندي وجمفر بن سليمان وعلى بن سليمان ، وحين وفاة هذا أوصى بالأمر لشخص اسمه إبراهيم بن محمد بن الفهد (راجع سلسلة النسب) ابن صلاح المكرمى فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة ٤٤ سنة وحين وفاته عهد بها إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، فحصل بينه وبين الزيود حرب غلب فيها فهرب إلى القنفذة ومنها دعاه إسماعيل بن نجران ليكون بينهم ، فحضر إلى بلاد نجران ، وسكن في بلدة بناها وأسمها الجمعة ، ولكنها الآن خراب .

ومع أن المكارمة غرباء عن نجران وليس لهم سلطة زمنية (لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع لكل فرع رئيس زمني قوى) فإنهم نجحوا في أعمالهم وأصبحوا أصحاب الشأن في الأمور الدينية والزمنية وامتدت فتوحاتهم إلى الأطراف المجاورة ، ووصل بعضهم إلى تريم في حضرموت ، وبعضهم إلى أواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل مقفر .

أما الذين تعاقبوا من دعاة المكارمة في نجران فهم :

(١) محمد بن إسماعيل توفى سنة ١١٢٩ هـ

(٢) هبة بن إبراهيم توفى سنة ١١٦٠ هـ

- (٣) إسماعيل بن هبة توفى سنة ١١٧٤ هـ
 - (٤) حسن بن هبة توفى سنة ١٢٤١ هـ
 - (٥) عبد الله بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم توفى سنة ١١٩٥ هـ
 - (٦) عبد الله بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٢٥ هـ
 - (٧) يوسف بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٣٤ هـ
 - (٨) حسين بن حسين بن علي بن هبة توفى سنة ١٢٤١ هـ
 - (٩) إسماعيل بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٢٥٦ هـ
 - (١٠) حسن بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٢٦٢ هـ
 - (١١) حسن بن إسماعيل، وهو من آل شبام ومن غير المكارمة توفى سنة ١٢٨٩ هـ
 - (١٢) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن حسن بن هبة توفى سنة ١٣٠٦ هـ
 - (١٣) عبد الله بن علي توفى سنة ١٣٢٣ هـ
 - (١٤) علي بن هبة توفى سنة ١٣٣٠ هـ
 - (١٥) علي محسن بن حسين آل شبام توفى سنة ١٣٣٠ هـ
- وهو الداعي إلى الآن ، وخليفته غلام حسين الهندي والمنسوب الآخر حسين ابن أحمد المكرمى . وجميع المكارمة الأحياء الموجودين في بدر ونجران وشهارة في اليمن أربعة أخاد ، ويجتمعون في جد أعلى اسمه محمد بن الفهد المار ذكره في سلسلة النسب ، وحسين بن أحمد المكرمى الخليفة للقبيل يقول إن فخذ اسمه آل ذى الجدين دليلاً على أنه مكرمى أباً وأماً .

٧ — سكان « نجران »

يقطن نجران فرع من فروع قبيلة همدان بن زيد القحطانية ، كما أنه يوجد فيه عدد قليل من الذميين (اليهود) بعضهم من أصل يهودى والبعض الآخر من العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية ، ويوجد فريق ثالث من السكان يحسب من الطبقات المنحطة التي لا يحترمها العرب ، ومكانة هذا الفريق أعلى من مكانة اليهود

وأحط من مقام القبائليين . أما اليهود فإنني قد علمت بعد البحث الدقيق بواسطة زعماء المكارمة واليامية أنهم لا يزيدون عن مائة عائلة منتشرة في قرى وادى نجران وحبونة وعلمهم في الصنائع التي يحسب العرب القبائليون أنها حِطّة في قدرهم ؛ مثل الخرازة وسائر أشغال الجلود والحِذّادة والسّكرة وسائر الأعمال الصناعية . ولليهود كاهن يقيم في الخلاف يسميه الأهالي « الدّباح » وهم يستون يوم السبت ويجمعون غالباً في بيت الكاهن ويقرون بالعبرانية . واليهود متمتعون بحماية زعماء اليامية الثلاثة وحماية المكارمة أيضاً ، ويظهر أنهم مسرورون من معيشتهم ، وهم يؤدون الجزية سنة فسنة ، ويبلغ مقدارها ريالاً واحداً عن البالغ ذكراً أو أنثى . وذكر لي بعضهم أن أحد هؤلاء اليهود أغرى على السفر إلى فلسطين فأقام فيها مدة ، ثم عاد منها إلى قومه ، فسئل عن أسباب عودته ، فقال : « وجدت معاملة المسلمين والنصارى غير التي نعرفها عنهم في بلادنا ، وغير ما نقرؤه في كتبنا ، ووجدت اليهود غير اليهود الذين نعلمهم ، فقتعت نفسي ، وعدت إلى قومي » .

٨ — قبائل اليامية

أما العرب القبائليون أو اليامية فإنهم ثلاثة بطون :

أولاً : بطن آل فاطمة — كبيرها جابر بن حسين أبو ساق :

(١) آل سالم	(٨) آل زمانان	(١٥) آل زابن بدو
(٢) آل شرية	(٩) آل القفلى	(١٦) آل معجبة »
(٣) آل مسعد	(١٠) آل بشر	(١٧) آل راکة »
(٤) آل الحامض	(١١) القشانين	(١٨) آل فطح »
(٥) آل سليم	(١٢) الشركان في هداة	(١٩) آل رشيد »
(٦) آل ذيبان	(١٣) النكاييل في حبونة	(٢٠) آل فهاد »
(٧) الزبادين	(١٤) آل مخلص بدو	(٢١) آل العرجاء »



حسين بن أحمد الكري
النصوب الذي يخلف « الداعي » « الإسماعيلي » في حالة موته

(٢٢) آل سالم بدو، وحضرم في بدر وفي جبونة

» » » » » » (٢٣) آل فروان

» » » » » » (٢٤) آل سفران

(٢٥) آل لبید بدو في بدر

(٢٦) آل عمرو بدو، وحضرم في بدر

(٢٧) آل معمر بدو

(٢٨) آل زائد حضر في جبونة

(٢٩) آل شرار حضر في نجران (يطلق عليهم آل أبو غبار) .

» » » » » » (٣٠) آل دكان حضر في نجران

» » » » » » (٣١) آل معيط حضر في نجران

(٣٢) آل سعد حضر في جبونة

» » » » (٣٣) آل فائد

» » » » (٣٤) آل الخريث

» » » » (٣٥) آل الطويل

» » » » (٣٦) ابن قنة

(٣٧) ابن حامد حضر في نجران .

ثانياً : بطن آل أم واجد ، كبيرها ابن نصيب آل المهري :

(١) وهم ثلاثة أقسام آل غانم وآل علي بن سعيد وآل حسن المحمد
وابن الحزوب يسكنون نجران .

(٢) آل الحارث وفيهم آل بحري — آل الحارث في نجران — وآل بحري
في جبونة .

(٣) ابن الحزوب (٤) آل عامر (٥) الدولابن

- (٦) آل بنيان
(٧) العظارة
(٨) آل علي بن عامر
(٩) آل صليح بدو وحضرم في حبونة
(١٠) الخضر في حبونة
(١١) آل هيم في حبونة
(١٢) آل بحري
(١٣) آل عباس في نجران
(١٤) وادعة في نجران
(١٥) آل قريع بدو، وحضرم في حبونة
(١٦) الهيسان » » »
(١٧) آل رزق » » »
(١٨) آل علي بن الأحسن في نجران وحبونة حضر

ثالثاً : بطن أدشم « أجشم » وكبيرها سلطان بن منيف :

- (١) آل مقاتل ، ومنهم بنو منيف في نجران
(٢) آل حرث في نجران (٣) زيد في نجران
(٤) آل أبو زيدة » » (٥) آل منصور » »
(٦) آل سليمان وفيهم آل بدر وآل مطيف والחסان وآل كليب وآل مطارد
وآل خطاب وآل سنان وآل جريشة والدويس ، في نجران
(٧) آل حسن ، في نجران
(٨) ابن سليمان وهم وآل هتيلة بن علي آل مشرف وآل حابس وآل سوران
وآل حوران ، في نجران
(٩) أباء الحارث في نجران (١٠) الصقور
(١١) آل جعفر في نجران ، ويقال لهم آل جبير
(١٢) آل ربة في نجران (١٣) آل مصعب في نجران

(١٤) آل ربيع في نجران (١٥) الأشراف في نجران هجرة آل الهندي

(١٦) آل جعران في نجران في بدر

(١٧) آل الهندي ، وقد ورد ذكرهم بصفة متفرقة ، ولكنهم كما يأتي :

آل حسن وآل سليمان وبالحارث وآل منصور وآل مقاتل وآل حرث
وآل أبو زيدة وآل جبر الربعة والأشراف هجرة آل الهرفي وآل جبر .

ومن اليامية بدو يتبعون الأقسام السابقة ، وبعضهم ليس فيها :

أولا :

- | | |
|--|-----------------------------|
| (١) جماعة ذيب المهان (من آل فطحيح) | يتبعون جابر بن حسين أبو ساق |
| (٢) جماعة أبو نقايا » » » | |
| (٣) جماعة حسين بن سداح بن آل معجبة | |
| (٤) جماعة الخلدري من آل مطلق وآل مخلص | |
| (٥) جماعة منير الرشيد من آل زائد من الرشيد | |
| (٦) جماعة فلاح بن سمحة من آل عمرو | |
| (٧) جماعة إبراهيم الأسلمي من آل عامر بن نصيب | |
| (٨) عوض بن حليلة من آل فروان | يتبعون جابر بن حسين أبو ساق |
| (٩) مفاشر آل سالم من آل سالم | |
| (١٠) صالح بن حمد آل لييد من آل لييد | |
| (١١) جابر بن دكام يتبع ابن نصيب | |

ثانيا : آل أم واحد وكبيرهم ابن نصيب وأكثرهم في حيوة ولم في نجران ثمانى
قرى سأذكرها فيما بعد .

ثالثا : أدشم أو أوجشم وكبيرهم سلطان بن منيف ولم في نجران ١١ قرية كبيرة
سنأتى على ذكرها حين إيراد أسماء القرى ومواقعها فيما يأتى .

٩ — قبائل اليمن المشهورة ونسبة اليامية إلى همدان بن زيد
علمت من الكثيرين من الثقات أن القبائل العربية التي تقطن جبال اليمن

الواقعة إلى الشمال من صنعاء حتى حدود بلاد ابن سعود ترجع أنسابها إلى أصلين كبيرين ويحدهما من شماليهما قبائل عربية سعودية تنحدر من أصل آخر سأذكره أيضاً . أما الأصلان فهما : أولاً همدان بن زيد ، والثاني : خولان بن عامر ، والأصل الذي يجاورهما من شماليهما هو قحطان بن عامر (وربما كان ابن عمرو) . أما قبيلة همدان بن زيد فإنها تنقسم إلى قسمين كبيرين (١) حاشد وهو أقربهما إلى صنعاء ، (٢) بكيل ، وتنقسم بكيل إلى عدة أقسام أذكرها فيما يلي :

أولاً — دم ، وتتألف من فرقتين : ذوى محمد وذوى حسين ، وهما رأس بكيل .
ثانياً — سفيان أهل الحرف . ثالثاً — أرحب . رابعاً — وائلة وأهل الفرع .
خامساً — اليامية ، وهى أهل نجران وجبونة وآل مرة والعجمان في نجد .
سادساً — وادعة التى تقيم في بلاد ظهران .

وأما قبيلة خولان بن عامر فإنها تقيم في السروات إلى جهات الغرب من أقسام وفروع بكيل . ولخولان ثلاثة مراكز رئيسية في الإدارة ، الأول : مركز رازح ، والثاني — مركز ساقين ، والثالث : مركز صعدة ،
وأما أم أقسام خولان فإنها كما يأتى :

أولاً — قبيلة سحار ، وهى في صعدة وأطرافها وفي بلاد الصعيد المجاور لصعدة وفيها قرية واحدة منفصلة عن بقية سحار بواسطة بنى جماعة وهى أقرب القرى اليمنية إلى حدود الملك ابن سعود واسمها (يباد) قرية ابن صبحان . ثانياً — قبيلة بنى جماعة وهى في بلدة باقم وأطرافها . ثالثاً — قبائل رازح والنظير . رابعاً — قبائل بنى مشيح وبنى منبه . خامساً — قبائل فيفا وبنى مالك وبنى عبد الله التابعون لابن سعود .
وفهم مما ذكرنا آنفاً أن اليامية أقارب في نجد وفى اليمن على السواء .

الفصل الثانى

جغرافية نجران

صفة الوادى — القرى — قرى وادى حبونة — مراكز المكارمة — أسواق نجران
الطرق الموصلة إلى نجران — الآثار القديمة — الحاصلات — المسافات

١ — صفة الوادى

يقع نجران فى منبسط من الأرض السهلة المرتفعة التى يخرقها فى وسطها مجرى الوادى المعروف بوادى نجران من أعلاه إلى أسفله حيث يغور فى رمال الربع الخالى . ويحيط بنجران من الجنوب والشمال سلسلتان من الجبال والهضاب تفصل السلسلة الجنوبية بينه وبين بلاد الفرج وواثلة ، وهى متفرعة من جبال السراة المرتفعة متجهة من الغرب إلى الشرق ، ويقل ارتفاعها كلما اتجهت إلى الشرق إلى أن تغور فى رمال الربع الخالى . وأهم جبال هذه السلسلة جبل همدان وهو مرتفع عن سائر أقسام السلسلة التى تسمى باسم جبال نجران . وأكثر مواقع هذه السلسلة صعبة المرتقى بحيث يكون الاجتياز من نجران بواسطتها مستصعباً جداً إلا فى مواقع معينة فيها فجوات تعرف بالعقبات أهمها عقبة (نهوكة) التى تبعد عن بلدة الحضن مسافة بضع ساعات إلى جهة الجنوب . وأما السلسلة الشمالية فهى أقل ارتفاعاً من جبال نجران وفى سطوحها مرتفعات منبسطة تصلح لرعى المواشى ، ولذلك سماها أهلها (الصحن) ومع أن طرقاً كثيرة تتخلل هذه السلسلة فإن المسافر ما بين حبونة ونجران يخرقها فى مواقع معينة سنأتى على ذكرها حين البحث فى الطرق الموصلة إلى نجران . وهذه السلسلة تفصل كما ذكرنا بين نجران وحبونة وتغور فى الرمال قبل أن ينتهى الواديان فى منقعهما فى الرمال الكثيفة .

أما من جهة الغرب فإن نجران متصل ببعض بلاد واثلة وهى قرايا نعمة ووعار ووادى نشور بواسطة عقبة ومضيق تنحدر منهما السيول المتجمعة من بلاد سحار فى الصعيد بقرب صعدة ، وتؤلف هذه السيول المجرى الأعلى لوادى نجران . ويكون لوادى نجران أسماء أخرى قبل قطعه المضيق المعروف باسم مضيق مروان والعقبة المعروفة بعقبة رفادة ، ولكن اسم نجران لا يطلق عليه إلا من بعد اجتيازه للعقبة والمضيق . ويتصل نجران من الشمال الغربى بأعلى وادى حبونة المسمى بالقرن والخانق . وأول القرى العامرة فى علو وادى نجران بعد تشكله من مضيق مروان وعقبة رفادة قرية تعرف بالموجة أو قرية ابن الزين ، وهى تبعد عن صعدة مسيرة يومين للجمال الحبل إلى جهة المشرق .

وقد شيدت القرايا على أطراف مجرى الوادى من بعد الموجة إلى أن يستعرض الوادى وتنبسط الأرض الموجودة على ضفتيه ، وتبعد الشقة بين سلسلتى الجبال الشمالية والجنوبية . وبعد أن يجتاز الوادى أربع قرايا تصبح وضعية القرى من بعد ذلك مختلفة ، بحيث يمكن حساب أن القرى واقعة على الضفة اليمنى (الجنوبية) للوادى وعلى الضفة اليسرى (الشمالية) . والقرايا التى على الضفة اليمنى أقل من القرايا التى على الضفة اليسرى ، فالأولى تبلغ عشر قرايا ، ولكن الثانية تزيد عن العشرين وبلغ طول الوادى من علوه عند قرية الموجة إلى منتهاه وراء قرايا المذنب المعروفة ببلاد ابن منجم أكثر من يوم للسائر المستعجل ، ويمتد بعد ذلك مسافة يوم آخر فى مواضع خالية من المياه إلا فى موضعين أو ثلاثة فيها آبار يستقى منها الرعاة إلى أن ينتهى مجرى الوادى عند عرق رمى اسمه عرق المهرة ، بقربه المنقع ، أى المكان الذى تتجمع فيه فضلات سيول الوادى بين الرمال الكثيفة .

أما ارتفاع نجران عن سطح البحر فإنى لم أستطع تحقيقه ، غير أننى قياساً على ما علمته من أن بلاد نجران هى بلاد البمير والخييل وعلى ما اختبرته بنفسى من أن بلاد عسير لا يعيش فيها النخيل لشدة البرد أيام الشتاء ، بينما هو يعيش بنجاح

في بلاد خيبر التي ترتفع عن سطح البحر ٨٠٠٠ قدم ، فإننى أحسب أن ارتفاع علو نجران مثل ارتفاع خيبر .

٢ — القرى العامرة

يبلغ عدد القرايا الكبيرة والصغيرة في وادى نجران نحواً من خمس وثلاثين قرية ساذكرها فيما يأتى مبتدئاً بها حسب ترتيبها من أعلى الوادى متجهاً إلى جهة مصبه . وقبل سرد أسماء القرى هذه أحب أن أبين أن عدد البيوت التي ذكرتها إلى جانب اسم كل قرية يقصده البيوت الكبيرة التي تسمى حصوناً ، وهي نوع من البناء على أطرافه سور مرتفع لا يمكن الدخول منه إلى وسطه ، أو إلى البناء المرتفع إلا من باب صغير محكم ، ويقدم البرج عليه فلا يستطيع الدخول إلا من هو مأذون له . وأما البيوت الصغيرة والحقيرة فلا تدخل في حسابنا هذا . والاحظ أيضاً أن أهل نجران يظلب عليهم تسمية القرايا باسم العائلات التي تملكها وتسميها « وطن » أو « حلة » .

أولاً : القرايا التي في مجرى الوادى قبل أن يستعرض :

(١) قرية الموجة ، وهي حلتان لابن الزين وابن الحزوبر ويبلغ عدد حصونها ١٠ — ١٢ حصناً .

(٢) زور وادعة ٤٠ — ٥٠ حصناً .

(٣) الخلاف الأعلى ، وهو عدة حلل لآل فرحان وآل قضيع وآل الحزوبر ، وتبلغ ٤٠ — ٥٠ حصناً .

(٤) زور آل الحارث ، وهي عدة حلل لآل عسكر وآل خديش وابن دومان وتبلغ ٥٠ — ٦٠ حصناً .

ثانياً : القرايا التي يمكن عدها على الضفة اليمنى لمجرى الوادى « الجنوبية » :

(١) الصفا ٨ بيوت .

(٢) سلوى ١٥ — ٢٠ بيتاً

(٣) قرية آل عقيل ؛ وهى ثلاث حلال : سهلة ، وأم در بين ، وآل عقيل ،

وعدد بيوتها ٢٠ — ٣٠ بيتاً

(٤) الحصن ، وهى قرية كبيرة ، وتتألف من عدة حلال أهمها آل حيدر

وآل عباس ، ويقال إن أكثر أهلها من وائلة ، وعدد بيوتها ١٠٠ بيت

(٥) الجرية ، بلاد آل حسن ١٠٠ بيت

(٦) القابل ١٠٠ بيت « آثار الكنيسة فى القابل » .

(٧) رجلة ، بلاد آل منصور . بين قريتى القابل ورجلة آل منصور بعيداً

عنهما وعن مجرى الوادى إلى جهة الجنوب فى طرف النخيل على الطريق

الذاهبة إلى عقبة نهوق ، بقرية آثار خرائب كثيرة يسميها أهل نجران

باسم الحصن ، أو حصن الأخدود ، وفيه آثار مهدومة وآثار كنيسة ،

وكثيراً ما يجردون بين أطلالها عاديات قديمة وعلى حجارتها بعض الكتابة

القديمة أيضاً . ويدعى أهل نجران أن هذا المكان هو مكان الكنيسة

المشهورة التى كانت تابعة لأسقفية نجران ، ومن بعد هذا المكان يقل

العمران وتكثر المزارع والمياه فقط مثل الحصين والروخة والدريب .

ثالثاً : قرايا الضفة اليسرى « الشمالية » :

(١) شعب آل بران ٢٠ بيتاً

(٢) العان واقمة بقر جبل ، وهى بلد المكرمى وفيها قصره وهى ١٠ بيوت

(٣) المراطة ٣٠ بيتاً

(٤) الشهبان ٢٠ بيتاً

(٥) المشراح ٦ بيوت

(٦) المرفع ١٠ بيوت

(٧) خشية وهى بلدة أنشأها حسين المكرمى منذ ٢٥ سنة ٣ بيوت

(٨) باطن بنى سليمان ١٠٠ بيت

(٩) الحجابة ، وهى بلاد الأشراف وفيها أربع حقل ٣٠ — ٤٠ بيتاً

(١٠) البطحاء ٤ بيوت

(١١) دحضة ٤٠ بيتاً

(١٢) بوغبار ٢٠ بيتاً

(١٣) طرزة ٤ بيوت

(١٤) غزيمة ٥ بيوت

(١٥) عكام ٤٠ بيتاً

(١٦) عركلة ٢٠ بيتاً

(١٧) الحامية ٤ بيوت

(١٨) صاغر بلاد أبو ساق ١٠٠ بيت

(١٩) بير الأتلة ٥ بيوت

(٢٠) الخلاف الأسفل ٤٠ بيتاً

(٢١) الحزم أو المذنب بلد ابن منجم ١٥ بيتاً

وبلاد المذنب آخر العمران من جهة الشرق فى نجران ، و بعدها تأتى آبار وعميون
دامرة وآثار خربة منها العربية والخضراء إلى أن ينتهى مجرى الوادى ويفور فى الرمال .
والقرايا التى تتبع ابن نصيب هى : زور وادعة وسلوى والصفا والحسن وزور آل الحارث
وشعيب آل بران والشهبان ، والقرايا التى تتبع ابن منيف هى : سلمان والحجابة والجربة
وبلاد آل بالحارث والقابل ورجلة ، والقرايا الباقية تابعة لجابر بن حسين أبو ساق .

٣ — قرى وادى حبونة

(١) القرن بيوتها ٣٠ (٢) آل قنة بيوتها ٤

(٣) آل دواخ (٤) آل سعد » ٢٠

(٥) الشهابلة (٦) ابن جمعة » ١٠

(٧) ابن قديلة بيوتها ٣	(٨) آل فائد
(٩) أم الحوض » ٨	(١٠) الجفة بيوتها ٣٠
(١١) مجمع آل بحرى » ١٠٠	(١٢) النقاء » ٦
(١٣) بنو هميم » ٢٠	(١٤) شط الخضره » ٤٠
(١٥) قابل منيف » ٢٠	(١٦) سلوى : عين ماء فى قصره
(١٧) الحصينية .	

٤ — مراكز المكارمة

المكارمة عدة مراكز فى نجران وبلاد يام ، وقد كان نزول الداعى المكرى الأول حوالى عام ١٠٩ هـ حين قدومه إلى نجران فى مكان اسمه الجمعة ، وهو الآن خراب . والبلدة الدينية للمكارمة والإسماعيلية فى نجران هى بلدة العان ، وكذلك بلدة بدر فأنها مركز دينى مهم ، ولهم علاوة على ذلك ثلاث قرايا هى خشيوه ، وقد كانت خربة خفر آبارها القديمة المنسوب الحالى حسين بن أحمد عام ١٣٣٧ هـ ، وقرىنا هداة وسهله للمكارمة أيضاً .

٥ — أسواق « نجران »

لكافة القبائل العربية عادات قديمة فى إقامة أسواق أسبوعية فى مواقع شتى من البلاد المتجاورة ، وكثيراً ما يطلق على المكان اسم اليوم الذى يعقد فيه السوق ، ولذلك فإنه من المعتاد جداً أن نجد بلداناً كثير كل واحد منها اسمه « سوق الجمعة » أو الخميس ، أو أى يوم آخر من أيام الأسبوع . والسوق مجتمع أسبوعى لأجل تبادل السلع والحاصلات الصناعية والتجارية ، ومع أنه قد توجد مخازن للبيع والشراء الدائم فى مواقع مختلفة من القرى الكبيرة ، إلا أن الأهمية هى ليوم السوق حيث تقضى الأمور والدعاوى وتحل النزاعات وتراجع هيئات الحكومة وتبجى الرسوم الحكومية وتبلغ الإعلانات العامة ، وعلى الجمعة فإن السوق يوم عام للنظر فى جميع حاجات

أصحاب البلاد المجاورة المادية والمعنوية من مشتري السلع وتبادلها إلى مشتري الحيوانات إلى حل القضايا ومراجعة الحكومة ، إلى عقد الخطب للزواج وغير ذلك .
وعادات أهل السوق أن يكونوا آمنين ما زالوا فيه ، ويكون الدخول إليه في وجه زعيم من الزعماء الذين قد سمى الموضوع باسمهم ، مثل سوق خميس ومشيط فإنه يعقد في بلدة اسمها الدرب من القرى الكثيرة الواقعة في علو وادي بيشة ، ولكنها تسمى باسم حامى المكان وزعيمه ابن مشيط ، ونظراً لأنه يعقد يوم الخميس فقد سمى المكان سوق الخميس . أما نجران ففيها عدة أسواق نذكرها كما يأتي :

- (١) سوق الأحد في دحضة بحماية ابن منيف .
- (٢) سوق الاثنين في بنى سلمان » » » .
- (٣) سوق الثلاثاء في بدر بحماية أبو ساق .
- (٤) سوق الأربعاء في قرب العان بحماية ابن نصيب .
- (٥) سوق الخميس في القابل بحماية ابن منيف .
- (٦) سوق الجمعة في صاغر بحماية أبو ساق أولاً .

٦ — الطرق الموصلة إلى « نجران »

الطرق الموصلة إلى نجران من جهات الشمال والغرب والجنوب كثيرة . وأما من جهة الشرق فإن الرمال القفار لا تجعل سبيلاً لطرق معلومة مطروقة . وهذه أهم الطرق المشار إليها :

أولاً : طريق السيارات من خميس مشيط إلى نجران بطريق وادي تثليث وحبونة ثم نجران معينة بالكيلومترات .

كيلومتر

- ٤٩ من خميس مشيط إلى وادي طريب .
- ٧٠ من طريب إلى السبيخة (بلد ابن شفلوط) .
- ٥٦ من السبيخة إلى زعوان (في وادي تثليث)

كيلومتر

٤١ من تثليث إلى المواء

٢٠٩ من المواء إلى الحصينة في أسفل وادى حبونة .

٤٧ من الحصينة إلى نجران عند الروضة في أسفل وادى نجران .

[ملاحظة : مسافة السبعة والأربعين الكيلومترات الأخيرة تدل على البعد بين مجرى وادى حبونة ووادى نجران]

ثانياً : طريق المشاة وجمال الحل من خيس مشيط إلى نجران ، وهو طريق بعيد نوعاً ما ، وتقدير السير فيه بحساب المشاة أو سير الجال الحمله ونهار المشى المذكور هو مرحلة متوسطة أى من ٣٥ — ٤٥ كيلومتراً بحساب السير المتوسط :
المسافة باليوم

١ من خيس مشيط في اتباع مجرى وادى ييشة إلى جهة علوه إلى جهة الجنوب الشرقى ماراً ببلاد رفيده « قرية الجوف » ثم قرية غص إلى بلاد ابن سالم في قرية يعقد فيها السوق يوم الخميس وتسعى خميس عبيدة والمبيت هنا .

١ المسير صباحاً من خميس عبيدة ماراً في قرايا وادى الحسينية ثم قرايا وادى الفرحة ثم قرية أبو قبرة في وادى شربة إلى أن يحين المساء فينزل في بلدة أبو لعة « ابن دليم » في أسفل وادى يعوض

١ المسير صباحاً من بلد أبو لعة ماراً بمجمع الفيض إلى بلاد مجمع سنحان .

١ من سنحان إلى بلدة بدر ، ولا يوجد بينهما قرايا .

١ من بدر إلى قرايا وادى الحمضة ، ومنها إلى الخائق الذى هو أعلى بلد في وادى حبونة .

١ من الخائق إلى بلاد آل سعد في وادى حبونة متجهماً من الغرب إلى الشرق إلى قرية آل فائد ، ثم إلى الجفة ، ثم مجمع آل مجرى ، ثم بلاد بنى هيم والمبيت في الشطين التى هى قريتان قابل منيف وشط الحضرة وهى حد العمران في أسفل وادى حبونة من جهة الشرق .

المسافة باليوم

- ١ المشى صباحاً من شط الخضره والمقليل فى سلوى وهى بئر فى أسفل وادى حبونه والمسى فى جداء وهو ماء فى قفرة فى أسفل وادى حبونه .
- ١ المسير من جداء والمسى فى رغام وهو بئر ، ومن رغام إلى بلاد ابن منجم فى أسفل نجران ساعات قصيرة .

ثالثاً : الطريق من خيس مشيط إلى نجران ، وهو أخصر من سابقه ، والمسافة مدونة بالأيام على حسب السير المعتدل .

المسافة باليوم

- ١ من الخيس إلى الفرعين
- ١ من الفرعين إلى قرية آل بسام فى وادى الحسينية .
- ٢ من آل بسام إلى الرفضة فى بلاد سنحان
- ١ من سنحان إلى بدر « عند الظهر » ومنها إلى الجزعة .
- ١ من الجزعة إلى الخائق « عند الظهر » ومنها إلى الجفة
- ١ من جفة يترك وادى حبونه على يساره ويحتاز عقبة حلاحلة التى تفصل وادى حبونه عن نجران والمسى فى عش الضحى .
- ١ من عش الضحى إلى الرغام عند الظهر ، ومن الرغام يمسى فى الخلاف الأسفل فى نجران .

رابعاً : الطريق من أبها هى نفس الطريق من خيس مشيط ، ما عدا المرحلة الأولى فإن السائر من أبها إما أن يحضر إلى الخيس وإما إلى حجلة الواقعة فى منتصف المسافة بين أبها والخيس ، ومنها إلى بلاد عبيدة ، ومن بلاد عبيدة تتعدان .

خامساً : الطريق من صعدة إلى الموجة فى علو نجران تستغرق يومين ، وهى تمتد من الموجة غرباً إلى أن تحتاز عقبة رقادة ثم مضيق مروان ، ومنها إلى رهوان إلى القرب من وعار ونقعة ومن رهوان التى هي أول قرايا سحار يصل إلى أول بلاد الصيد المحيط بصعدة .

سادساً : الطريق من نجران إلى بلاد الفرع وواثلة يكون من بلدة الحضن ومنها إلى عتبة نهوة ، والمسافة بضع ساعات أيضاً ، فالمسافة بين بلاد الفرع وواثلة ونجران لا تزيد عن يوم واحد .

٧ - الآثار القديمة

أخبرني المكرمى أنه حينما أسس قريته الجديدة خشوية منذ ١٦ سنة اختار لها موقعاً قديماً خربا علم أن فيه بقايا آبار دامرة فأصلحها فوجدها غزيرة . وأن هنالك مواضع كثيرة في نجران فيها آثار خربات قديمة وآبار دامرة . وذكر لي أن أهل نجران يذكرون أن المعمور الآن من بلادهم يبلغ نصف ما كان في الزمن القديم أو أقل من ذلك بقليل . وهنالك مواقع شتى وجدوا فيها آثار فخار وآثار عملة ذهبية وتماميل صغيرة معدنية كانوا يأخذونها ويبيعونها في صعدة ، وتوجد أما كن فيها حجارة عليها كتابة قديمة لا يعلون ما هي . أما المواقع المهمة الأثرية فإنها في بلدة الحضن وفي المكان الذي يسمونه بقصر الأخدود بين القابل ورجلة كما ذكر آنفاً وبقرى الخلاف الأعلى والأسفل . ولكنه لم يقدر أن يزيد على ذلك من المعلومات شيئاً . وهو يؤكد أن خربات الأخدود تحوى آثاراً قديمة عديمة النظير وإنما تحتاج إلى بحث وتنقيب .

٨ - الحاصلات

أهم الحيوانات الداجنة في نجران النعم والجمال ، وبهذا الاعتبار تختلف عن بلاد عسير واليمن الجبلية فإن الجبال فيها معدومة . وبهذا الاعتبار أيضاً يمكن عد نجران مماثلة في الحيوانات لنجد . وأما النباتات فإن الاعتداد على البر والشعير والذرة والنخيل ، وتروى الحاصلات بالمياه التي تستخرج من الآبار بالسواني الابتدائية المستعملة في سائر بلاد العرب .

ذكرت أنه ليس للداعى المكرمى سلطة زمنية على أتباعه ، ولذلك فإنه يعيش من الواردات التي يتبرعون له بها ، وهي على كل حال ليست كل ما يجبي من أهل نجران

(لأن قسماً كبيراً يأخذه المشايخ والأمرء) وأما الزكاة السنوية التي يحصل عليها
المسكرى فهي ١٠٠٠ رأس من الغنم و ٩٠٠٠ صاع من الذرة ومثلها من الحنطة
(الصاع يعادل وزنه ٢٣٠ ريال فرنسا) و ٢١٦٠٠ من التمرفى كل سنتين مرة .

٩ - المسافات

من قرية الموجة إلى زور وادعة	نصف ساعة
من زور وادعة إلى الخلاف الأعلى	تقريباً كذلك
من الخلاف الأعلى إلى زور آل الحارث	» »
من زور آل الحارث إلى الصفا	» »
من الصفا إلى سلوى	تقريباً ساعة
من سلوى إلى قرية آل عقيل	نصف ساعة
من قرية آل عقيل إلى الحضن	نصف ساعة
من الحضن إلى الجربة	ساعة
من الجربة إلى القابل	نصف ساعة
من القابل إلى رحلة بلاد منصور	ساعتان
من الموجة من علونجران بالحملة (إلى الرهن)	عشر ساعات
ثم من رهوان إلى صعدة	١٦ ساعة

محتويات الكتاب

القسم الأول - أهل الوديان

الفصل الأول : مقدّمات الرحلة

الفصل الثاني : سهل ركبة

الفصل الثالث : ديار البقوم وسبيع

الفصل الرابع : تربة والخرما

الفصل الخامس : وادي رنية

الفصل السادس : وادي ييشة

الفصل السابع : بلاد شمران

القسم الثاني - عسير السراة

الفصل الأول : بلاد عسير

الفصل الثاني : قبيلة عسير

الفصل الثالث : عمران عسير

الفصل الرابع : العادات الاجتماعية في عسير

الفصل الخامس : بلاد وداعة وقحطان

الفصل السادس : بلاد ألمع ورجال الحجر

القسم الثالث - نجران

الفصل الأول : نجران

الفصل الثاني : جغرافية نجران

ملحقاه :

خريطة عسير

خريطة نجران

